

# **TIGHT BINDING BOOK**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190427**

UNIVERSAL  
LIBRARY



OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۸۹۲۳۷۳/۲۸  
Accession No. ۱۷۳۱۱  
Author: جعفر زکریا  
89273  
Title: منازل فنا و غنائت عبداللہ 17311

This book should be returned on or before the date last marked below.



# فَتَايَا عَسْبَا

— \* رواية تاريخية غرامية \* —

\* شرح حال الاسلام من أوّل ظهوره \*  
\* الى فتوح الشام والعراق مع بسط عوائد العرب \*  
\* في آخر جاهليتهم وأوّل اسلامهم ووصف \*  
\* أخلاقهم وأزبائهم وسائر أحوالهم \*



تأليف

عرجي زيدان

« منشيء الهلال بمصر »



الجزء الثاني

---

« طبعت بمطبعة ( الهلال ) ببول شارع النجالة بمصر سنة ١٨٩٨ م »

---

# الهلال

مجلة علمية شرقية ادبية تاريخية

لمنشئها

جرجي زيدان

أنشئت بمصر في اول سبتمبر سنة ١٨٩٢

تبحث في كل المواضيع المصرية وفي التواريخ الشرقية وخصوصاً  
الاسلامية مع رسوم مشاهير الناس وتواريخهم ومستحدثات الاختراع ورسوم  
مشاهير العصر وتاريخ الحوادث الجارية في كل اقطار العالم وروايات تاريخية  
اسلامية تبدأ بظهور الاسلام وتدرج فيه دولة دولة وعصرًا وعصرًا على  
اسلوب حديث كثير انشوبق للمطالعة تصدر مرتين في الشهر في كراس  
كبير صفحته اربعون صفحة جيدة الورق جميلة الحروف متقنة الطبع  
بدل اشتراكها في السنة خمسون غرضًا داخل القطر المصري واما خارجه  
فهو ١٢ شلينًا او ١٥ فرنكًا او ٢ روية او ٣ ريالات اميركانية او ٣  
ريالات مجدية ونصف تدفع سلفًا فمن اراد الاشتراك فيها فليخبر « ادارة  
الهلال بمصر » واذا اراد احده الحصول على مثال منها فليطلبه فيرسل  
اليه مجانًا .

هدايا الاصدقاء

افضل هدية تهديها الى صديقك اذا كان ممن يحبون المطالعة  
« اشتراك سنة في مجلة الهلال » فان قيمته زهيدة ومطالعته سهلة ومواضيعه  
لذيذة مفيدة

# فتاى احسبنا

— \* رواية تاريخية غرامية \* —

\* نشرح حال الاسلام من أول ظهوره \*  
\* الى فتوح الشام والعراق مع بسط عقائد العرب \*  
\* في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف \*  
\* أخلاقهم وأزبائهم وسائر أحوالهم \*



تأليف

جرى زيدان

« منشىء الهلال بمصر »



الجزء الثاني

---

« طبعت بمطبعة ( الهلال ) بول شارع النجالة بمصر سنة ١٨٩٨ م »

---

# مقدمة

✽ الجزء الثاني من فتاة غسان ✽

هذه هي الرواية السادسة من رواياتنا التاريخية ولكنها تمتاز عنها كلها بأنها الحقيقة الاولى من سلسلة روايات متتابعة تضمن تاريخ الاسلام من اول ظهوره الى الآن سننشرها تباعاً في مجلتي « الملال » فهذه الرواية الاولى منها وتضمن الحوادث التي وقعت من ظهور الاسلام الى فتح الشام والعراق وتليها رواية في فتح مصر وهذه سبق اننا نشرناها في السنة الرابعة من الملال وهي « ارمانوسة المصرية » ولم يكن في عزنا تأليف هذه السلسلة اما وقد عزمنا على ذلك فصارت « ارمانوسة المصرية » الحلقة الثانية من تلك السلسلة

واما الحلقة الاولى التي نحن في صدها ( فتاة غسان ) فقد نشرنا الجزء الاول منها في السنة الخامسة من الملال وهذا الجزء الثاني نشر في السنة السادسة وبناءً على الحاح حضرات اقراء طبعناها على حدة رغبة في نشرهما وسنعتقبهما برواية اخرى نشرها في السنة السابعة تتضمن مقتل عثمان وخروج الخلافة من اهل البيت الى بني امية ثم روايات اخرى في اهم حوادث الدولة الاموية في الشام وفي الاندلس وحوادث الدولة العباسية والفاطمية والايوية وهكذا الى آخر تاريخ الاسلام

فعسى ان يلاقى هذا المشروع اقبالاً من حضرات القراء الادباء فنشابر على العمل والاتكال على الله

## الفضل التاسع والأربعون

## ❖ المناجاة ❖

تركنا حمادًا وسلمان في مكة وقد غلب عليها اليأس بعد أن تكبدا مشاق  
الأسفار ولم يظفرا بشيء ما أملاه وخصوصًا حماد فإنه أصبح يشتاق تنفاذه عوامل  
الحب من جهة وعوامل الشبهة من جهة أخرى وهويين ذلك لا يرجو لقاء والذ  
ولا يأمل الظفر بحبيبتيه فكان كلما تصوّر ذلك ثارت الحمية في رأسه وعظم عليه  
العود إلى اللقاء فحدثته نفسه أن يبتعد عن الناس ويأوي إلى مكان لا يعرفه فيه  
أحد أو أن يقيم في دير أو نحوه لأن الحياة أصبحت لديه شرًا من الموت

أما سلمان فإنه أدرك حال سيد وعلم ما هو فيه من اليأس فنارت في نفسه  
عاطفة الشبهة وعوّل على أن يبذل نفسه في سبيل تعزيتهم فخرج من الغرفة ذات  
صباح متظاهرًا بحاجة ينتش عنها وترك حمادًا وحده فلمه خلا حماد بنفسه خرج من  
الغرفة وصعد إلى سطح الخان وقد ضاق صدره وصغرت نفسه والسطح نظلة خيمة من  
ورق الشجر فجلس على وسادة وأخذ ينظر إلى مكة وما يحيط بها فإذا هي عبارة عن  
أرض منبسطة في واد تحف به الجبال فلم تشغله تلك المناظر الأهنية ثم عاد إلى  
هواجسه فتذكر حبيبته وإذ تحف به الجبال فلم تشغله تلك المناظر الأهنية ثم عاد إلى  
الفشل وقد قطع البراري والفنار حتى جاء الكعبة للبحث عن قرطبي مارية مهرًا لحطابيه  
هند ومرضاة لوالديها فعلم من حرب الخزاعي أن القرطيين لا يمكن العثور عليها هناك  
وبعد أن كان على أمل من لقاء والذ مع أبي سفيان في مكة تحقق ضياعه ويأس من  
حياته فتصوّر نفسه مغلول اليدين مقصوص الجناحين فعظم الأمر عليه كثيرًا واشتد  
به اليأس حتى تآثرت الدموع من عينيه ثم تذكر أنه في غربة لا يجدد به الاستسلام  
للعواطف فامسك نفسه ولكن اليأس غلب عليه فانقبضت نفسه واشتد به الهيام  
فاخذ يناجي هندًا قاتلاً

آه منك يا هند بل آه من هذا القلب الذي عصاني وإطاعك ونعم ما فعل

فانك والله جدير بحبي ولكن والدك آه من والدك فانه انما اراد مستقيلاً فطلب مني  
 مهرًا العشاء اقرب منالاً منه وكأني بولا يرضاني لؤ صهرًا وعذره مقبول طالما كان  
 نسبي مجهولاً . . . . . فالفرطان لم يوجد فهند بعيدة المنال مني آه يا هند أعود اليك  
 بصنفة المغبون وإذا عدت كذلك ما يكون رأيك . . . . . لا ريب عندي ان  
 ذنبك الفرطين لأ بهك امرها ولا رضى ان اشقى في سبيل التفتيش عنها الأ مجارة  
 لوالدك . . . ولكن ما هذا يا حماد كيف تعود الى هند صفر اليدين وكيف تقابل  
 جبلة وماذا تقول له لا لا لا لن اعود الى اللقاء على هذه الحال وقد فقدت والدي  
 في بلاد لا اعرف فيها اليمناً ومن يدريني ابن هو واين النذر ووفاء النذر يا ليتني قص  
 شعري قبل ضياعه فقد كنت على موعد معه انه متى وفي النذر وقص الشعر يطلعي  
 على امور نهني وقد يكون لها علاقة بأمر زوجي فابن والذي الآن آه يا ابتاه ابن  
 انت أهلك لا تزال في قيد الحياة من يعلمني ابن مقرك فاطير اليك مسرعاً أما اذا  
 يئست منك ومن هند فلا يعود لي في الحياة ما رب فاما ان الجا الى دير او صومعة  
 أفضي بقية الحياة منفرداً لا ارى انيساً او ان ألقى نفسي في نملكة . . . ولكن لا لا  
 ان قتل النفس ضعف ومذلة وكيف افعل ذلك ونفسي رهينة امر هند وهند لا  
 تريد قتلها اذن لأصبر صرا الرجال واعيد الكفة في البحث عن الفرطين فاذا  
 نيقنت فقد انهما عمدت الى هند وبسطت لها امري وأطلعنها على كنه ضميري فاذا  
 رأيتها تؤثر مرضاة والديها وحفظ تقاليد عائلتها على رضاي قلت على الدنيا ومن  
 فيها السلام والأ فاني ارضى من الدنيا برضاها فتعاقد وتراضى على امر يكون لنا فيه  
 منجاة من والديها . . . . . واما والذي آه ابن انت يا ابتاه ان ضياعك عرقل مساعي  
 وغل يدي ولا ريب انك لو شاركني في هذا الامر لسهلت كل صعب وهديتني  
 صراطاً مستقيماً . . . ولكن الاقدار أبت الأ معاندي فصبراً جبلاً . . . . . »  
 مرّت كل هذه الخيالات في ذهن حماد وهو متكئ على الوسادة تارة يبكي  
 وطوراً يحرق اسنانه وآونة يصبر نفسه وكان لم يمت في الليل الماضي الا قليلاً فغلب  
 عليه التعب والملل والضجر فجاءه النعاس فغمضت جفناه



## الفصل الخمسون

### \* حسان بن ثابت الانصاري \*

مضى بعض ذلك النهار وحماد بين ناغم وهاجس فوق السطح لم يذق طعاماً حتى اذا كان العصر أفاق من صوت سلمان خادمه ففتح عينيه فراه واقفاً فوق رأسه بناديه وعلى وجهه امارات البشر كأنه أتى امرأاً جديداً فانسطت نفس حماد فهب من رفاده وجلس وصاح ما وراءك يا سلمان

قال ما ورأى إلا الخير باذن الله

قال ارى على وجهك امارات البشر فهل اهتديت الى طريق جديد يوصلنا الى ساحة الفرج

قال نعم يا سيدي اظني توفقت الى شيء من هذا القليل

قال قل ما هو

قال خرجت في هذا الصباح على بركة الله وقد عولت في باطن سري أن لا اعود اليك إلا ببشرى خير فسرت في اسواق مكة وأنا اتوسل الى الله ان يلهمني رشداً وسداداً او يهديني سبيلاً اخفف به اليأس عن مولاي فمررت ببعض البيوت فرأيت عند بابي بغلة عليها بردعة ثمينه وإلى جانبها غلام فحدثني نفسي ان أسأله عن صاحب البغلة فقال هو حسان بن ثابت شاعر الانصار فتذكرت اني اعرف هذا الاسم فأخذت في التفكير لعلني اذكر الرجل فعلت اني كنت اسمع اسمه منذ كنت في العراق وأنه كثيراً ما كان يأثم الحيرة فينظم القصائد في مدح الملك النعمان رحمه الله وكثيراً ما كان يند على ملوك بني غسان فيمتدح جيلة والحارث بن ابي شمر<sup>(١)</sup> وغيرهم فقلت في نفسي اظني اصبت ضالتي ان الرجل يجالس اعظم ملوك العرب فربما كان له المأم بامر القرطيين فسألت الغلام عن حسان فقال انه في البيت فاستأذنت في الدخول عليه فاذن فدخلت عليه حتى اقبلت على الرجل فاذا هو جالس على وسادة في بعض زوايا الغرفة فتأملته فاذا به قد تبدلت حاله عما كنت اعرفه فاحناه الكبير وضعف بصن وشاب

شعره واسترسلت لحيته<sup>(١)</sup> فبادرت الى يد فقبلتها وجيبته فرد التحية ورحب بي واجلسني الى جانبه وسألني عن امري فازلت ادخل معه في حديث واخرج من آخر حتى توصلت الى الفرطين فسألته عما يعرفه من امرها ففكر قليلاً ثم قال اظنني سمعت ذكرها في بعض مجالس النعمان بن المنذر في الحيرة فكنت وكيف كان ذلك

فقال يغلب على ظني ان بعض تجار الفرس الذين يحملون الاقمشة الفارسية الى مكة عاد منها ذات عام ومعه قرطاً مارية فعرضها على النعمان واظنه اشتراها منه فاذا صدق ظني كان الفرطاني الآن في خزينة الملك النعمان في الحيرة

فلما سمعت ذلك هرولت اليك مسرعاً لنسيرا اليه فهل تسير معي

قال نعم ولا بد من المسير اني ارى في كلام الشاعر باباً للفرج هلم بنا فنهض حماد وقد انسطت نفسه وعادت اليه بعض الآمال وإن لم يكن في الخبر ما يدعو الى الامل ولكن المرء اذا كان في ضيق كان سريع التعلق بالامل ولو كان اوهى من خيط العنكبوت . واحسن حماد بفراغ معدته فتناول شيئاً من التمر يسد بها جوعه وخرج مع سلمان ماشيين حتى اتيا بيت حسان فاستأذنا ودخلا فتقدم أولاً سلمان وسلم وذكر اسم حماد امام حسان وقال انه سيك وإنه من امراء العراق ولما سمع بوجود حسان هناك اراد المثلول بين يديه فتقدم حماد وهم بتقبيل يدي الشيخ فمنعه ولكنه رفع نظره اليه وتفرس فيه كأنه يراجع في ذاكرته صور امراء الحيرة لعله يعرف حماداً فتشابه عليه امرء فسأله عن اسمه واسم عائلته فقال حماد اني حماد بن الامير عبد الله

فقال حسان لا اذكر رجلاً بهذا الاسم في بلاط النعمان او لعلي نسبته فقد قتل النعمان رحمه الله قتلوه غدرًا منذ ثيف وعشرين عاماً وتفرقت اصداقاه على انني انقطعت عن الحيرة قبل ذلك العهد فلم اعد اقدمها ولا رأيت احداً من امرائها ولكن سقى الله تلك الربوع واعاد سلطة المناذرة فقد كانوا زينة الدولة الفارسية وبيت قصيد وخصوصاً النعمان بن المنذر رحمه الله وجازى الباغيين عليه شرّاً

فقال حماد وهل كنت تند عليه كثيراً

قال لم يرض العام قبل ان ازوره مراراً فاركب ناقتي من المدينة حتى آتي البلقاء فادخل على جبلة بن الابهيم او الحارث بن ابي شمر الغسانيين ثم اقصد العراق فادخل

جلس النعمان بن المنذر فيخلع علي الخلع وبأمر لي بالعطايا وهكذا كان يفعل الغسانيون ايضاً ثم كان ما كان من امر قتله فانقطعت عن العراق الى البلقاء حتى ظهر الاسلام واسلم اهل المدينة فكنت في جملة من تشرف بالاسلام ولازمت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسير معه او الحق به حيثما اقام . وقد عاد الآن بجيشه الى المدينة ولا البت ان اتبعه عاجلاً

فقال سلمان ذكرت يا مولاي ان الفرطين يبعث لهلك النعمان فاذا تم لها بعد موتي قال لا ادري وربما كانا في جملة ما استولى عليه قائلوه من الخف فاذا صح هذا الظن كان الفرطان في خزينة ملوك الحيرة الآن

وكان حسان يخاطب سلمان وعيناه لم تحولا عن وجه حماد وهو يتفرسه ويلاحظ حركاته كأنه يعرف له شياً وحماد غافل عن ذلك بما كان غارقاً فيه من الهواجس بعد ان سمع ما سمعه من امر الفرطين وصعوبة الحصول عليها بعد وصولها الى خزينة ملوك الحيرة ولكنة عول على البحث عنها ما استطاع الى البحث سيلاً وبعد قليل هم حماد بالخروج فساء له حسان ابن نقصدون

قال سلمان اتنا نقصد منزلنا لننتهي للخروج في الغد .

قال هل تريدون الذهاب الى المدينة

قال ربما مررنا بها في طريقنا الى البلقاء

قال ارى انكما غريبان فرما عسر عليكما المسير منفردين وقد آتست فيكما عنصراً جيداً فهل قبلان مرافقتي الى المدينة نقيماً فيها ريثما تعزمان على البلقاء وربما ارفقتكما بن بوصلكما اليها

فنهض سلمان بهوض الاحترام واثني على حسان ثناء طيباً وقال اتنا نشكر لنفضل الشاعر شكرياً جزيلاً ولا نعد ذلك منه الاً كرمًا ومنه عرف بها عرب انحجاز منذ القدم قال غنوا يا اخا نحم اني لا اجود الاً بال المناذرة ولا ارنع الاً في مجبوحة خيرم فاني لا انكر فضل العراق علي وعلى كل من نزل ديارهم من الغرباء وذلك امر مشهور لا يجهله احد فكيف باهله فاذا سئما المسير الى منزلكم الليلة فاعدوا حوائجكم وها اني مرسل معكم من يحملها اليها فنييت الليلة هنا ونصعب سائر من ان شاء الله

## الفصل الحادي والخمسون

### \* اللقاء \*

فبانوا تلك الليلة في منزل حسان واصبغوا جميعاً قاصدين المدينة وحسان يطرفهم في اثناء الطريق بطائف منظر وماتو في مدح ملوك الحرية وملوك غسان وحماد يستزيد ما نظم في جيلة بن الابهيم ويطرب كل بيت يسمعه ولم يكن ذلك الا ليزيد الشجاعة ويذكر بخطيبته هند ثم تذكر ثعلبة واباء الحارث بن ابي شمر فقال

وكيف رأيت الحارث بن ابي شمر  
قال رأيت كرمًا محباً للشعراء ولكنه كان حاسداً لجيلة فكنت اذا مدحت جيلة في حضرته كان الحسد يظهر على وجهه مع ما كان يحاول اخنائه من عواطفه <sup>(١)</sup>  
فحقق حماد ان ثعلبة انما ورث ذلك الخلف عن والده وزاد عليه اللؤم والخساسة ولما تذكر ذلك غلب عليه الانتباض واوجس خيفة على هند من غدره اثناء غيابه وخصوصاً اذا عاد خالي الطواب فاستولى عليه السكوت فادرك سلمان منه ذلك فاراد اخنائه الامر عن حسان فقال وكيف رأيت جيلة

قال رأيت شهماً عزيز النفس كرم الخلق كثيراً ما عرضت بحسد الحارث امامه وهو لا يبالي بل كان يلتمس له عذراً ويغالطني متجاهلاً فكنت لا ازداد الا اعجاباً به فقال سلمان واي الملكين اشد بطشاً الآن

قال ان جيلة ارفع مقاماً واعز جانباً ولكن بعض القادمين علينا من البلقاء انبأنا بوفاة الحارث

فبغت سلمان واتبه حماد من هواجسه فقال سلمان وهل تحفتم وفاته  
قال نعم وقد نقله الينا بعض الذين ارسلناهم لتجسس احوال الروم بعد واقعة مؤنة <sup>(٢)</sup>  
فالتفت سلمان الى حماد فراه يتشم ولكن البغته ما زالت ظاهرة على وجهه يتخللها

(١) الاغاني

(٢) لم يرد في تواريخ العرب ذكر السنة التي توفي فيها الحارث ولكنهم ذكروا انه كان في واقعة مؤنة ثم اغفل خبره

بعض الانتباض فإشار إليه بلامح وجهه إشارة فهم حماد منها انه يهتف بانكسار شوكة ثعلبه لكنه تحول حالاً الى حسان وقيل له وما ظنك بمن يرث الامارة بعد  
قال لا اظن احداً من اهله اهلاً لهذه الامارة والغالب ان نجتمع كلمة قبائل  
غسان تحت لواء جبلة بن الايهم

فانشرح صدر حماد ولكن امر الفرطين بما زال حاجزاً بينه وبين كل سرور  
وساروا حتى اتوا المدينة فوصلوها صباحاً فوجدوا اهلهما في فرح وعز لما اتوا  
من النصر بفتح مكة المشرفة ورأوا الناس عكوفاً على الصلاة وما زالوا سائرين حتى  
اناخروا جماهم امام منزل حسان فهم الخدم يحمل الامتعة الى المنزل واخذوا الجبال  
الى العلف ونزل سلمان وحماد وقد اعجبوا بما آتاه من عكوف المسلمين على الصلاة  
وما رأوا من خشوعهم وتدينهم فضلاً عما شاهدوه من بسالتهم في فتحهم مكة  
اما حسان فلم يكذب يصل منزلة حتى طلب الراحة من وعناء السفر لشيوخه وعجنه  
ودعا ضيفيه اليه فجلسا متأديين فقال لما تذكرت امرًا اظنه يهكم كثيراً وقد فاتني  
ذكره لكما قبل الآن

قال سلمان وماذا عسى ان يكون ذلك

قال ذكرت لكم واقعة مؤنة واطنكم لم تفهموا ماهي

قال سلمان كلا يا سيدي لم نفهم المراد جيداً

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل جنداً من المسلمين لحرب الغسانيين  
في العام الماضي فسار الجند وحاربهم في مكان يقال له مؤنة بالقرب من بصرى  
وستسمعون خبر هذه الواقعة الآن ولكنني اردت ان اوجه التفاتكم الى رجل اسره جندا  
في أثناء تلك الحملة وقد حملوه اليها فلما رأته معهم عرفت انه أسر ظملاً ولما سألت  
عن خبره علمت انه ليس من اهل البلقاء بل هو عراقي ومن اهل الحيرة ذكر انه كان  
يراني اثناء وفودي على الملك النعمان منذ نيف وعشرين عاماً وبما انكم من اهل  
العراق فربما استأنستم بالرجل والوطن احسن جامعة بين الناس قال ذلك ونادى  
رجلاً واقفاً بالبواب فحضر فقال له ادع ضيفنا العراقي

قال ليلىك وخرج ثم عاد بتبعة رجل كهل ملتف بعباءة منقطبة الوجه وكان  
حماد وسلمان لا يزالان محبرين خمار السفن فحالما وقع نظر سلمان على ذلك الرجل

أحس بخفتان قلبه كأنه آتس فيه مشابهة لسيد عبد الله ولكنه رأى في سمته ملامح تخالف ما لعبد الله أيهما ان عبد الله كان طويل الشارين مستدقها ومسترسل شعر اللحية مع خفية أما هذا فهو قصير الشارين واللحية على أن سلمان ما زال ينظر إليه ويتأمله حتى دنا منه فوقف له وهم بمصافحه فلم يكذبوه بأول كلمة حتى تحق سلمان انه هو سيد بعينه فهم به وقبله وناداه باسمه

وكان حماد في شغل من هو اجسو في هند والقرطين ووالد فلم ينتبه الا وسلمان ينادي بأعلى صوته سيدي الامير اهلاً سيدي الامير فالتفت حماد فاذا هو والد عبد الله فهض وهض سلمان فهم عبد الله بحمد وضمة وجعل يقبله ودموع الفرح تنساقط على وجهه وسلمان يقبل يد عبد الله رهنها بعضها ببعض فانبسطت وجوه الجميع وزالت منهم العيوسة وجلسوا وعبد الله بجانب حماد قابضاً على يده بين يديه وحسان جالس الى جانب وقد عجب لما رآه وسمعه فسأله عن امرهم فاحكى له عبد الله عما تم من الاتناق الغريب وان حماداً ووالد وسلمان جاؤوا معه ففرح حسان لما تم على يده من الخير . ثم جلسوا يتحدثون

فقال سلمان لقد رأيت في وجه سيدي تغييراً كاد يحول بيني وبين معرفتي فاني أعهد شعر وجهه طويلاً مسترسلاً فما لي أراه قصيراً فضحك عبد الله وقال ان لهذا التغيير حديثاً غريباً سأقصه عليك بعد ان اسمع حديثكم وما كان من امر الاسد وضياح الفرس

## الفصل الثاني والخمسون

### \* واقعة مؤتة \*

فحكى سلمان حكايته مع حماد والاسد وكيف نجوا منه بتسليق تلك الشجرة وما تم لهم بعد ذلك من حديث هند والديتها والديها وحب حماد لها ثم ما كان من خطبة حماد وما اقترحه عليه جيلة بن الهم مهر الأبتو وما لاقاه حماد في سبيل ذلك من الاسفار والاحطار حتى جاؤوا مكة وشهدوا فتحها وكيف يسئل من وجود القرطين هناك حتى نجدد املهم بوجودها في خزينة النعمان بن المنذر في الحيرة

وكان عبد الله في اثناء الحديث مصغياً صامتاً وإمارات الاستغراب ظاهرة على وجهه كأنه سمع اموراً لم يكن يتوقع حدوثها ولا برضاها ولكنه سكن عن ذلك واخذ يقص عليهم حديثة فبدأ بوقوعه بالاسر في غمام ثم مسيره الى بيت المقدس . ومقابلته هرقل امبراطور الروم وما سمعه من حديث ابي سفيان ثم سفره معه وما كان من مشاهدته الفرس واستدلاله منها على ضياع حماد وكيف رافقه ابوسفيان في مسبعة الزرقاء للتنشيط عن حماد وما شاهدوه من عظام الفرس الآخر وبعض الآثار حتى انتهى الى مسيره منفرداً الى عمان ووقوعه اسيراً بين يدي الحجازيين الذين ساروا لمحاربة اهل الشام وما دارينه وبين بعضهم عن السبب الذي جاءت تلك الحملة من اجله الى ان قال

فلبثت اسيراً عندهم وأنا على مثل الجمران املي لم ينقطع من لقاء ولدي حماد على اني كنت في بعض الاحايين لا ارتاب من فقدته واحياناً اراجع ما شاهدته من الادلة على ذلك فلا ارى ما يقطع بوقوع القضاء فكان سجنى في معسكر جيش الحجاز قيلاً ثقيلاً عليّ وخصوصاً انهم متبعوا القرى عني فقد كنت استأنس به فيبعد ان قضيت منه مجوار عمان علت ذات يوم ان الروم قد جندوا جنداً كبيراً يبلغ عدده نحو مئتي الف وفيهم الروم والعرب من بني غسان ونجم وجذام وبهرام<sup>(١)</sup> فلما بلغ المسلمين ذلك خافوا النشل لان عددهم لا يزيد على ثلاثة آلاف فضلاً عما في جند الروم من المعنة والسلاح وبلغني ان امراء جند المسلمين اجتمعوا في خيمة ابن رواحة احد امرائهم وتشاوروا في الامر فقال اكثرهم نكتب الى رسول الله في المدينة نخبره الخبر فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يأمرنا بأمر فنمضي له فقام فيهم ابن رواحة وخطب خطاباً انهم همهم فقال « يا قوم والله ان التي تكمون هي التي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما تقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما تقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا انما هي احدى الحسينين اما ظهور واما شهادة » فقال الناس « والله صدق ابن رواحة »<sup>(٢)</sup> واشتدت عزائمهم وصموا على المحرم وكنيت اعجب لبسالهم واقدامهم واتحاد كلمتهم واستهلاكهم في سبيل نصرته دينهم فيبعد ايام نوذي بالجنود فقاموا وسرت انا فيهم مخفوناً ارى كل حركاتهم وسكناتهم

(١) السيرة الثانية (٢) السيرة الحلبية

فما زلنا سائرين حتى دنونا من بلدة على رحلتين من بيت المقدس يقال لها مؤتة وكان جند الروم قد عسكر هناك فالتفت الى ذلك الجند فاذا هو مالى السهول هناك وفيهم الفرسان والمشاة ورأيت في وسط المشاة مشاة عليهم ملابس كثيرة الالوان تبهر النظر تتلأأ في ضوء الشمس فلم أكن اظن المجازيين ينظرون الى ذلك الجند حتى يعودوا التفهروا وجلاً ومهابة ولكن رأيت فيهم ثباتاً لم أر مثله في اسفاري كلها وما ذلك الا لثوقهم برهم وعدم مبالاتهم بانفسهم في سبيل نصرة دينهم

وخلاصة القول ان المسلمين تقدموا تحت قيادة ثلاثة من الامراء ساروا امامهم مشاة على اقدامهم وما ذلك الا لاستهلاكهم في الجهاد والطاعة حتى التقى الجيشان وانتشبت الحرب وكان اللواء اولاً يد اخدم زيد بن حارثة فقاتل وهو يعلم ضعف الجند ولكنه ظل مكاثماً حتى قتل طعناً بالرماح فتقدم الامير الثاني وهو جعفر بن ابي طالب فقاتل به وهو على فرس شفاء فأجبه القتال واحاط به فنزل عن فرسه وبقرها وقاتل حتى قتل فأخذ اللواء عبد الله بن رواحة وهو على فرسه ثم نزل عن فرسه وحارب حتى قتل فوق الرعب في قلوب المسلمين وكادوا يفشلون لولم يبق فيهم رجل لم أر مثله باسلاً اسمه خالد بن الوليد وسمعت بعضهم يسميه سيف الله فجمع كلمة الجند وهجم هجمة واحدة فظن الروم ان نجدة قد جاءتهم فاستولى الخوف على جند الروم وفشلوا وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً<sup>(١)</sup> ولكنهم لم يبقوا على الحرب فعاد المسلمون يريدون المدينة وكنت انا في اثناء هذه الموقعة في حيرة شديدة ولو كانت الحياة عزيزة عليّ لفررت من المعسكر ساعة اشتغال المسلمين بالحرب ولكنني وددت ان اصاب بنيلة اقتل بها فلم يفض الله بذلك فلما عاد المسلمون الى هنا عدت انا معهم أسيراً فاصابني في اثناء الطريق انحراف صحي فاصبحت وشعر لحيتي يتساقط وكذلك شعر شاربي حتى لم يبق منه الا القليل فلما وصلت المدينة التقيت بشاعرنا ( وأشار الى حسان ) فتعارفنا ودعاني للاقامة في داره فأقيمت عنده كما نرون وفي اثناء ذهاب الجند الى مكة للفتح الذي شهدتموه زارني الحرث بن كلفة طبيب العرب<sup>(٢)</sup> فوصف لي دهناً من عشب فأخذ الشعر ينمو وارجوان يعود الى ما كان عليه

## الفصل الثالث والخمسون

### \* يوم الشعانين \*

فلما اتمَّ عبد الله حديثه هنا وا بعضهم بعضاً بالسلامة ثم قال حماد وابن فرسي الآن  
قال هومعي هنا فهل تريد ان تراه

قال نعم وخرجوا الى بستان بالقرب من المنزل وكان الجواد مشدوداً الى نخلة  
فلما وقع نظره على صاحبة اخذ في الصهيل كأنه يرحب بقدمه ويقدم حماد اليه فلمس  
جبهته وقبله بين عينيه ثم عادوا جميعاً والفرح ملء قلوبهم الا حماد فانه عاد الى هواجسه  
في هند وابيها والقرطين فلما وصلوا المنزل وجلسوا نظر عبد الله الى حماد وقال له  
العلك لا تزال مصمماً على الاقتران بهند

قال نعم يا ابناه ولا اضني قاذراً على العدول عنه بعد ان كان ما كان  
قال وهل نسبت نذرنا لدير بحيرة

قال واي نذر

قال نذر يوم الشعانين الذي سنقص فيه شعرك

قال وما دخله بمسألة الاقتران

قال ان له دخلاً كبيراً لاني سأتلو عليك في ذلك اليوم حكاية واطلعت على

امور ذات بال لها علاقة كبرى بامر الزواج

فخاف حماد ان يكون هناك ما يحول بينه وبين هند

فقال وهل في ذلك السرما بمعنى من هند

قال لا اقدر على التصريح بشيء من ذلك الآن ولكن احد الشعانين يكشف لك

كل شيء

فقال ان يوم الشعانين بعيد فهل يسوغ لنا استبداله بسواه

قال كلاً يا ولدي بل يجب علينا اتمام النذر حرفاً حرفاً فوقع حماد في حيرة واوجس

خيفة لئلا يكون في قصة يوم الشعانين ما يحول بينه وبين هند فود ان يطلع على

حقيقة ذلك ليعلم كيف يتصرف وقد كان عازماً على الجيرة للبحث عن القرطين وكان

يظن ان والدك سيكون أكبر مساعد لك على ذلك لكثرة اصدقائه هناك فاصبح بعد ما سمعته منه لا يستطيع مكاشفته بالامر لانه قال لك صريحاً ان لا بخطو خطوة في مسألة الاقتران قبل يوم الشعانين فصمت برهة يفكر في الامر فخطر لك ان يستطلع سلمان على حدة لعله يكون عالماً بشيء من ذلك السر

فانفرد به في مسألة ذلك اليوم وسأله عما يعلمه من امر يوم الشعانين فقال لك ان سر ذلك اليوم مكتوم عن كل بشر اعرفه وقد قضيت مع سيدي والدك احوالاً منذ كنت طفلاً حتى صرت شاباً وانا اسمع انه نذر قص شعره في دير بجبراء عند ما تبلغ هذا السن وانه سيطلعك في ذلك اليوم على امور تهلك كثيراً ويكون لها علاقة كبرى بمستقبل حياتك واعترف لك اني بذلت قصارى جهدي في استطلاع شيء من ذلك السر فلم اتوفق وتراني أكثر رغبة منك في معرفته فمالنا الا الانتظار الى يوم الشعانين

فقال وكيف اقضي هذه الايام وماذا افعل بهند . فقد افصح لك عن امور انت تعلم اني اكتمها عن سائر العالمين فهل يخفى عليك ما بيني وبين هند من المحبة والرابطة وقد تركتها على موعد من اللقاء فمضت سنة منذ تركتها ولم افعل شيئاً ما تعهدت لها به بعد فان القرطين لم تنف لها على اثر ولا ارى ان اعود اليها الا والقرطان في يدي وعلمت ان الامل معنود بالتفتيش عنها في العراق ولا نستطيع ذلك الا بمساعدة والدي وقد سمعت قوله الدال على رغبته في ايقاف كل حركة قبل يوم الشعانين فكيف اقضي هذه المدة وانا بعيد عن هند أنظنها لا تزال على عهدي

قال سلمان اما ما عرفته من حبها لك وثباتها في حبك فلا يترك محلاً للشك في بقائها على عهدك وانها لا يمكن ان تتحول عنك يمينه ولا يسرق ولكني ارى ان تكذب اليها كتاباً او تنفذ اليها رسلاً تبثها ما عندك وتستعملها في افاذ المهمة التي انت سائر بشأنها وتطلب منها جواباً ومن جوابها تفهم ما يمكنه ضميرها

فقال سلمان وهل نظن والدي عازماً على البقاء هنا الى يوم الشعانين قال لا اظنه يطيل البقاء هنا لان اهل المدينة لا يفترون عن الاستعداد للحروب اما لغزو او لدفع مهاجم ولا وطر لنا في ذلك فالغالب انه يفضل الذهاب الى بصرى بقم فيها بقية هذا العام

قال فاذا كنا ذاهبين الى بصرى فليس ثم حاجة الى الخارج لاني الاقبحا هناك واجتمع بوالديها او بأحدهما وتلوجعليهما ما وقع فما عليك الا اقعاع والدي بالذهاب بنا الى البلقاء

قال حسناً ولكنك اذا اردت مقابلتها هناك فليكن ذلك على غير علم من والدك قال ننظر في ذلك ثم افترقا واخذ سلمان في تحريض موله عبدالله على الخروج من المدينة والاقامة بقية ذلك العام في البلقاء وخصوصاً لأن الحارث قد مات وخرج النوذ من يدي ابنه ثعلبة

فوافق عبدالله على ذلك ففضلوا بضعة ايام في المدينة يشاهدون ما أحدثه المسلمون فيها من الابنية واحسنها المسجد الجامع على انهم كانوا يفاهدون في كل يوم شيئاً جديداً من الاعدادات الحربية للغزو او غين ما زأهم تهبباً لجند المسلمين وحسبوا لمستقبل دولتهم حساباً كبيراً

ثم أخذوا في الاستعداد للمسير فودعوا حسناً فارفقهم بدليل يعرفه وساروا يقطعون البراري والقفار حتى أتوا بصرى فتشاوروا في مكان يقيمون فيه فاتفق رأيهم على الاقامة في دير بجيرة فاتخذوا فيه غرفة اقاموا فيها

أما حماد فان عودته الى ذلك الدير اذكرته اموراً هاجت اشجاناً فتذكر اجتماعه بهند هناك لأول مرة وما كان من محبي ثعلبة بغنة الى آخر ما حدث في حينه ثم عزم على المسير الى جيلة للسلام عليه ثم الى صرح الغدير للملاقة هند وبثها ما في ضمير وما بلغت اليه مهمته وما يرجوه من العثور على القرطين في العراق ولكنه كان كلما تصور وقوفه امامها موقف المعذر او المستهل اشأزت نفسه وعسر عليه ذلك الموقف



## الفصل الرابع والخمسون

❁ هذ في صرح الغدير ❁

فلترك حمادًا ووالك وسلمان ولنعد الى صرح الغدير لنرى ماذا تمَّ لهذ بعد  
سفر حماد لثلاً بظن الفارثي انا نسينا عواظنها واشجانها ولم نبال بما قاسته اثناء  
غيايو من الوحشة والخوف عليه ولا سيما بعد ان سمعت بنفخ مكة ودخول المسلمين  
اليها عنوة وهي تعلم ان حمادًا انما سار الى هناك التماساً للفرطين

ودعت هذ حمادًا يوم سنن وقلبي واجف عليه ليلها انه سار في تلك المهمة  
والخطر ظاهر فيها ولكن ثقتي بشجاعته وتعقله هوئت عليها الامر لأوّل وهلة ثم اشتغلت  
عنه بالاخطرابات والخواف اثناء حرب مؤتة وحمدت الله لغيايو خوفًا عليه ان يصاب  
بسوء اذا تعرض لسهام الحجازيين -

فلما انقضت الحرب وعادت البلقاء الى السكينة عادت هي الى الاضطراب  
واستبطأت حمادًا لأنها كانت تتوقع رسالة منه او خبراً عنه فلما طال الامد ولم تسمع  
عنه شيئاً انقبضت تنسها واستولت عليها المخاوف

وكانت والدتها تراقب حركاتها وسكناتها وقد ادركت ما بها فاخذت تشاغلها  
بالآمال وتوسيتها بالوعود وهي لا يهدأ لها بال ولا ترتاح الى حديث على انها كانت تعلل  
نفسها بالذهاب الى دير بجيرا ايام مرور قوافل الحجاز به لعلها تسمع من احد حديثاً  
يطمئنها . وصارت تستأنس بالحجازيين وترتاح الى كل قادم من الحجاز وخصوصاً الذين  
يقدّمون من مكة ولكنها كانت كلما سمعت اسم الكعبة اخليج قلبها واضطربت جوارحها  
وهي مع ذلك لا يهدأ لها بال الا بالسؤال عنها والبحث عن اخبارها حتى النفث يوماً  
بغافلة قادمة من مكة فسمعت الناس يتحدثون عن فتحها وما كان من دخول المسلمين  
اليها عنوة وقتل بعض اهلها فارتعدت فرائضها وتصورت حمادًا في تلك المدينة  
عرضة لسيف المسلمين فازدادت بلباها وودت لو انها تطير الى الحجاز فترى ما تمَّ  
لحبسها

ثم رأت نرددها الى الدبر واستماع تلك الاحاديث لا يريدها الا قلقًا فانقطعت

عنه وانزوت في صرح الغدير لا ترى احداً ولا تسمع خبراً مخافة ان يكون في ما تسمعه نبأ يسوءها . ثم سمعت موت الحارث بن ابي شمر والد ثعلبة فاحست بارتياح لعلها ان موته يقلل من نفوذ ابنه لدى والدها . على ان ذلك لم يزد شيئاً من اسباب معاديتها فالهموم ما زالت تترامك عليها وليس لديها من تشكوها اليه غير والديها لكنها كانت تخاف مخاطبتها بهذا الشأن لئلا تسمع منها ما يزيد بها بأساً ففضلت الكتمان وهي مع ذلك لا تزدد الا انحولاً وانقباضاً وميلاً الى الخلوة .

وكانت كلما خلت بنفسها نظرت الى الاساور في يدها فجعلت نقبلها وتنسم منها رائحة حماد فاذا اشتد بها الهيام بكى وتحركت ونفت على والديها لانها أبعدا حماداً عنها وخيل لها انها ارسلته الى تلك الاصقاع للتخلص منه وما زال هذا الفكر يتمكن منها حتى اصبح بمنزلة الاعتقاد وصارت تنفر من مجالسة والديها وتسيء الظن بها فلم يزد بها ذلك الا رغبة في الخلوة والانقطاع عن الناس

وأما والديها فقد كانت لنباهتها وحدة ذهنها لا تغفل عن خاطر ير في ذهن ابنتها وكانت تعذرها على ذلك لانها شعرت هي ايضاً بارتكابها امرأ قبيحاً بارسال حماد في مهمة خطيرة الى هذا الحد . وقد زاد ندمها خبر وفاة الحارث بن ابي شمر وضعف نفوذ ثعلبة مع كره هند له فتحقت عند ذلك ان هنداً يستحيل عليها الاقتران به وقد أصبح بعدموت والك وضعف المنزلة ولم يعد جيلة يخشى بطشه لو رد طلبه

فاصبحت سعدى بسبب ذلك شاعرة بخطأ فظيع ارتكبه امام ابنتها فأحرمها شهماً يجبها ونحوه وصارت هي اكثر رغبة من هند في عود حماد وصمت في باطن سرها على انه اذا عاد ولو خائئاً لتساعدته في الحصول عليها ولو أبى والدها . على انها لم تكن تستحسن مخاطبة هند بهذا الشأن لئلا توطد آمالها ثم ربما لا يعود حماد من الحجاز فيكون ذلك سبباً في زيادة احزانها فصبرت نفسها لتري ما يأتي به القدر ولكنها ما برحت تنتسم الاخبار لعلها تسمع شيئاً جديداً

أما جيلة فقد كان في البقاء مشغولاً عن مثل هذه الامور بما كان من الحرب في مؤنة فما عزم ان يرجع المسلمون حتى توفي الحارث فزاد اشتغاله وعظم اهتمامه بضم قبائل العرب في الشام والبقاء اليه لان العرب المنتصرة هناك قبائل ويطون لكل منها راية وأمير وكانت في زمن الحارث منقسمة الى فئتين احدها تابعة للحارث

والاخرى لجبله فلما توفي الحارث اشغل جبله بضم بعض قبائل الحارث اليه ان لم يكن كلها ولم يطمع بذلك الا لعلهم يضعف ثعلبة عن القيام بما قام به والد قبله ولاعتقاده ان امراء القبائل انفسهم يكرهون ثعلبة لدناءته وشراسة اخلاقه . فوقع بسبب ذلك تنافر بين جبله وثعلبة واحس هذا بضعفه وخاف العاقبة لكن سوء خلقه لم يهده الى سبيل يسترضي به عمه فاخذ يطعن فيه امام الامراء يريد تحقيرهم في اعينهم فلم يحقروا الا ثعلبة وبلغ ذلك جبله لمحفدها عليه وزاد سعيه حتى اخرج كل العرب الفساسنة من حوزته ولم يترك له منهم الا شذمة قليلة

فازداد ثعلبة لؤماً وسناهة واخذ يطعن في جبله وابنته وسائر اهل بيته فندم جبله لما وقع منه في حق حماد واسف لانفاذه في تلك الرسالة الخطرة ولم يزد مع الزمان الا ندماً ولكنة كتم ندمه ينتظراً ما يجيء به القدر ولكنه صم في باطن سمه ان يكفر عما ارتكبه في حق حماد بان يزوجه بابنته سواء عاد بالقرطين او بدونها فضلاً عما في ذلك من النكابة في حماد .

## الفصل الخامس والخمسون

### ❁ هند والقمر ❁

وما زالت هند حال هند حتى كاد ينقضي العام ولم تسمع عن حماد خبراً فترجح لديها انه اما قتل او قتل وشق عليه الرجوع خائباً فهاجر الى مكان بعيد او لعله فنك بنفسه فراراً من اقبال النسل وتخلصاً من عذاب الحب فتراكت عليها الهوم . وفي ذات يوم قضت هند نهارها في مثل هذه الهواجس والدتها تسارقها للحظ وتغتنم فرصة لتخاطبها وهي تجهل وتبتعد فلما سدل الليل نقابة دخلت الى غرفتها واوصدت الباب وراءها وجلست الى النافذة المطلة على الحديقة والفت جنبها على وسادة وجعلت رأسها على كفها وكانت الليلة مقمرة والجو صافياً والبرد عندا دول بزوجه من وراء التلال وقد ارسل اشعنه على الاودية والجبال . فاخذت تتأمل بما احدثه من الاظلال الطويلة على السهول والسانين ونظرت الى حديقة القصر فرأت اشجارها متشاعمة تناطح السحاب لكن اظلالها اطول منها كثيراً وقد وقعت تلك الاظلال على

ما هنالك من اغراس الرمان وغيد من انواع العطريات فحجبها عن البصر ولكنها لم تحجب رائحتها فوضوح القصر منها . وقد هدأت الطبيعة واوت الطيور الى اوكارها وسكنت الرياح فلم تسمع الا خريف ماء الغدير في وسط البستان ونفارت الى ضفاف ذلك الغدير فرأت اشجار المحور مرتبة صنوفاً كأنها عذارى حزن للاستقاء فهالهنّ سكون الطبيعة فيهنّ ووقفن على ضفاف الغدير صامتات .

فما برح القمر ان اعلى وظهر وجهه واضحاً فاستقبلته همد وجعلت تتأمله فاحست بارتياح الى منظره فتذكرت ارتياحها الى روعة حبيبها فباخلت قلبها فعاتت الى الانقباض فارسلت نظرها الى القمر لعلها تسترحع ذلك الارتياح فامتنع عليها ولكنها ما لبثت ان تأملت وجه القمر حتى ترقرت الدموع في عينيها واخذت تخاطبه قائلة « العلك مشرق الآن على منازل مكة وجبالها اعلّ حبي هناك يظن اليك ويستقبلك بوجهه ليته يفعل ذلك فيلتي طرفانا عندك فنجتمع على بعد الدار »

الى الطائر النسري انظري كل ليلة \* فانيه اليه في العشية ناظر

عمى بلتي طرفي وطرفك عند \* فنشكر اليه ما تكن الضمائر

« نعم اني ارى على وجهك صورة كأنها ظل وجهه فهل يرى هو مثل ذلك ايضاً »

ثم عادت الى البكاء فاطلقت لنفسها العنان حتى لم تقالك عن الشهيق وهي تظن نفسها منفردة لا يسمعها احد ولكنها ما لبثت ان سمعت قارعا بفرع الباب فعلمت انها والدتها سمعت صوت نكاتها فجاءت لتعزينا فودّت اللقاء في خلوتها فظنّاهرت بالنوم ولم تنهض لفتح الباب ففرغت والدتها الباب ثانية والحت عليها ان اتحة فسمعت عيونها ونهضت ففتحت الباب ولم يكن في الغرفة نور غير ضوء القمر الداخل من النافذة فدخلت سعدى وهمت بهند وضمتها وجعلت تقبلها وتظار الى وجهها لتحقق بكائها وهد صامتة مطرقة لا تبدي حراكاً فقالت سعدى ما بالك يا ولداد ما الذي بيكيك لما ذا لا تشكين اليّ هك السّ والدتك اما انت ولدي وفلتة من كيدي الا تعلمين انني احبك

فلبثت هند صامتة ولكنها نظرت الى والدتها بطرف عينيها نظراً تأييب ولم تته بكلمة فهتمت سعدى انها توبخها لما ارتكبتها بشأن حماد ولكنها ارادت مغالطتها فاخذتها بيدها الى السرير واجلسنها الى جانبها وقالت ما بالك لا تحبينني يا هند انتكمتين عني

شيئاً لم أكن خزانة اسرارك قولي يا ولداه ما يبكيك  
فنظرت هند اليها وكان ضوء القمر واقعاً على وجهها فرأت سعدى الدموع تتلألاً  
وهي ساقطة من عينيها فانظرت لها قلبها وهمت بها ثانية وضمها وتناولت مندليها  
وجعلت تمسح لها الدموع فحوّلت هد وجهها نحو النافذة وتهدت وهي تنظر الى القمر  
وضوءه على السهول والجبال

فنهضت سعدى ووقفت معترضة بينها وبين النافذة وقالت لها قولي يا ولداه  
ما الذي يبكيك لقد قطعت قلبي ولم يعد لي صبر على بكائك ألا تعرفين قلب الوالدة  
فوقنت هند ثم مشت نحو النافذة والديتها تعترضها وتمسك يدها ثم وقفت وقفة  
من ينتظر جواباً فنظرت هند اليها شذراً وقالت « نعم يا اماء اني اعرف قلب  
الوالدة ولكن الوالدة لا تعرف قلب ابنتها »

فادركت سعدى مرادها فقالت ومن قال لك يا هند اني لا اعرف قلبك  
فقال لوعرفت قلبي ما سببت لي هذا الشقاء لاني اعرف حوك  
قالت كيف لا اعرف قلبك يا ولداه وقد كسنت لي غوامض اسراره  
قالت اذاً عرفت حاله ولم تشقني عليه فلا بأس ساعذك الله وسامح والدي  
و..... وشرقت بدموعها

فابتدرتها سعدى واظهرت الاسغراب قائلة كيف تقولين ذلك يا هند كيف لم  
تشقني على قلبك وكل ما حصل انما حصل بصادقك ورضاك لما فيه من الفراق  
فهزت هند رأسها وهمت بالجواب ثم سكنت فابتعدت والديتها الكلام قائلة ومع ذلك  
فان الاحوال قد تغيرت بهوت الحارث واذلال ثعلبة فسواء جاء حماد بالقرطين ام  
جاء بدونها فليس ثم من ينق في سبيله

فلما سمعت اسم ثعلبة ارتعشت جوارحها فقالت « آه يا اماء لقد قضى الامر ..  
ابن حماد الآن .. آه ابن هو .. هل تعلمين ابن هو وقد انقضى العام منذ سار من هذا  
المكان ولم نسمع عنه شيئاً » ثم حولت وجهها نحو النافذة وقالت وهي تبكي « آه يا حماد  
آه يا حماد سامح الله من كان سبباً في بعادك .. ابكي يا اماء على هند ابكيها وارثها  
ولا ينعب ضميرك او تندي على ما حدث لي وله على يدك ويد والدي انما هي الاقدار  
قد كتبت علينا هذا الشقاء » ثم قالت وقد غلب عليها الشفق وعلا صوتهما

« آه باحاديبي اين انت الآن العلك على الارض ام في السماء ام اين انت من يخبرني  
بمكانك لكي اطير اليك فاما ان اعيش بقربك او ان ادفن تحت قدميك فقد كفاني  
ما سببته لك من الشقاء وما جزاء عملي هذا غير الموت . الموت الموت ! .. »

قالت ذلك ورمت بنفسها على السرير والدتها لا ترال ممسكة بيدها تحاول  
تلطيف ما بها فلما ألقت نفسها خافت سعدى ان يغى عليها فبادرت الى الماء لترشها  
به وامسكها بيدها . وجعلت تخاطبها وقلها يتقطع ولو لا اشتغالها بتعزيبها لكانت هي  
المغنى عليها لا محالة ولكن اشتغال الانسان بن محبة ينسيه نفسه : فهمت بها وخاطبتها  
فتخففت انها لم يغم عليها فحاولت اجلاسها وجعلت ثقلها وهدت مشتغلة بالبكاء والشهيق  
ويداها على وجهها

فرأت سعدى ان تتركها هيمه رثيلاً يهدأ روعها فلبثت صامتة مطرقة تفكر في  
امرها حتى اذا آتست منها سكينة وهدوء اجاءت بكاس من الماء وقدمته اليها لشرب  
فشربت وهي مطرقة خجلاً لما ظهر من عواطفها رغماً عنها  
فابتدرتها والدتها قائلة خني عنك يا ولداه فانك مثال الثعلقل والرزانة عندنا  
فكيف اطلقت لفسك العنان

فلظنت هدا انها توبخها فقالت كذابي توبخاً فقد علمت اني اتيت امرأ يعاب  
عليه امثالي ولكن الكاس قد طُخ والامر نهد  
قالت سعدى لم يند شيء بعد يا هند ان حماداً نصيبك وقد قلت لك سواء  
جاء بالفرطين ام لا فانه لك وانت له

فتنهدت سعدى وقالت هذا اذا قدر لنا ان نراه لا اظنه اذا فشل في مهمته  
الآضارباً في بطن الارض ولا يعود اليها صفر اليدين  
قالت تدبري الامر بالصبر والحكمة واتكلي على الله انه قادر على كل شيء وهلم  
بنا نصلي ونطلب اليه تعالى ان يعينه سالماً

فتأملت هند في حديث والدتها فترجعت عدها انها تقول الصدق بشأن حماد  
واقترانه بها سواء جاء بالفرطين ام لا فسرّها ذلك ولكنها ارادت ان تستطلع ما يكمن  
والدها من هذا القيل فقالت لوالدتها

هي انك رضيت بذلك شفقة على صباي فهل برضى والدي به

قالت ان والدك اكثر رغبة مي في الامر وخصوصاً بعد ان وقع ما وقع بينه وبين ذلك الخائن من النور على انزودة والدك اخارت فطبيبي نساً وقرري عيماً وانكلي على الله ولنطلب اليه تعالى ان يخط لك خطيبك ويعينك اليك سالماً معافى ونسي انعابتا فسكن روع هند وسارت الى فراشها وسلمت امرها الى الله

## الفصل السادس والخمسون

### ﴿ نبشارة ﴾

واصبحت في اليوم التالي فعاد اليها الاكتاب فودت اها لم تستيقظ او انها نضلت نائمة فلا تفيق الا على صوت حماد فلبثت في الفراش تلتبس النوم واخذت تثقل عبتاً فلما كان الصبح جاءت والدتها تستنقدها فلما رأتها في الفراش انشغل بالها واستطلعت السبب فشكت لها نكاسها عن القيام فجلست الى جانبها تحادثها بما يذهب عنها الهواجس وهند تسمع وافكارها تائهة حتى كانت الظهيرة فسمعت صوتاً خارج الصرح ينادي " من يذر نذراً لجبران المبارك " فتحق قلب هند لذلك الصوت وهبت من فراشها بغنة وبغيت ايضاً والدتها لانهما نسمتا منه صوت سلمان وتذكرتا قدومه اليها قبلاً بشأن حماد فهرولتا الى الباقية فرأتا راهباً على فرس مثلاً رأتا سلمان قبلاً فتحققتا انه هو بعينه فخالته هند نسها في منام لقدومه عليها بغنة على غير انتظار فنادتاه فتحول ودخل فخرجت سعدى لاستقباله وظلت هند في الغرفة جالسة وركبتها ترتجنان من التأثر ولم تستطع الوقوف الا بعد هنيهة وقد سمعت وقع اقدام الرجل مع والدتها داخلين الى النصر فوقفت لاستقبالها فوصل الرجل الى باب غرفتها وحالما وقع نظرها عليه عرفته فعلمتها البغنة ولم تعد تعلم كيف تكلمه فابتدرها هو بالسلام وتبسم ومثم بتقبيل يديها فمعهته وصاحت ما وراءك يا سلمان وكانت والدتها قد اغلقت الباب

قال ما وراي الا اخبر يا سيدتي كيف انت

قالت نحن في خير وكيف حماد وابن هو اخبرنا

قال هو في خير وقد تركته في دبر بحيرة ينتظر امرك ويدعوك

قالت هل هو في خير وعافية

قال نعم يا مولاتي انه في خير وقد التقى بواله في المدينة  
فخرت هند الى الارض قبلتها وقالت نحمد الله على سلامته قالت ذلك وقد  
انبسط وجهها وابرت اسرها

فقالت سعدى ابن هو حماد ولماذا لم يأت معك

قال انه بقي في الدبر حجلًا من مفايلكم

قالت وما الذي يجعله انما لا نريد منه شيئًا غير سلامته .

قال والفرطان

قالت لا حاجة بنا اليها فقد زال السبب الذي دعا الى طلبها

قال ان امر الفرطين قد عاد علينا بالمثل فقطعنا النياقي والنفار حتى اتينا  
الكعبة فلم نقف لما على خبر . وقص عليها حكاية سفرهما من يوم خروجها من صرح  
الغدير الى ان اعادة وكيف التقيا بعبد الله وما عزموا عليه من البحث عنها في العراق  
فقالت هند دعنا من الاقراط قد اغناها الله عنها

فغضب لذلك النغير واراد ان يعلم اذا كان جبلة ايضا في مثل رأبها  
فقال وهل سيدي الملك جبلة في خير

قالت سعدى نعم هو في خير ينتظر قدوم صهر حماد بفارغ الصبر

فلما سمع قولها ( صهر ) زاد اطمئنانا برضاها عن حماد فقال وهل هو ايضا  
مغفل امر الفرطين

قالت انه لا يريد شيئًا غير سلامة ولدنا حماد فادعه اليها لنراه

قال انه يود ذلك من صميم قلبه فأذن له بفرصة آتي و اليكم

قالت فليأت باقرب وقت ولكننا نود حضوره وواند هند حاضر ليفرح بعودته

ولیکن ايضا والد معه لينم النرج

فرح سلمان بهذه الاخبار ولكن خاطرا مرّ يدهم فاسكنه بغنة فلمعت هند شيئًا  
غيره فقالت ما بالك يا سلمان ما الذي اسكنك فهل هناك ما يمنع حضوره اخبرني  
قال كلا يا مولاتي انه ينتظر هذا الاجتماع انتظار الظمان للماء الزلال وهو انما

تحمل الاخطار ومشاق الاسفار طمعاً بذلك ولكنه ...  
فبغيت هند وسعدى معاً وقالنا ما الذي يدعوك الى ترددك قل يا سلمان لقد  
شغلت بالناس

قال لا يخفى عليكما ان سيدي حماداً تشرف بخطبة سيدي هند والى لا يعلم  
ولما علم بذلك يوم اجتماعنا في المدينة سرّ كثيراً ولكنه استعمل حماداً في اتمام هذا  
الامر ربنا يأتي يوم الشعانين  
قالت سعدى وما علاقة يوم الشعانين بذلك

قال لا علاقة له به الا من حيث النذر فقد علمتم ان سيدي حماداً منذور ان ينص  
شعره في دبر بجيرا من يوم ولادته وان يكون قصه في يوم الشعانين في السنة الحادية  
والعشرين من عمره فلما كان اليوم المعين منذ عامين حدث ما حدث لنا فعلمنا وفروا ولم  
بتمكن من وفاء النذر فلما عاد من هذا السفر قال سيدي عبد الله لولع انه سيقتض شعره  
في يوم الشعانين القادم بعد بضعة اشهر ونقدم اليه ان لا يباشر عملاً مهماً قبل ذلك  
اليوم لانه سيطلعه فيو على امورهم ولكنتي لا اظن لها علاقة بهذا الامر  
فلما سمعت هند ذلك الكلام تعودت بالله ما هو محبها لها في عالم الغيب  
وقالت في نفسها الهم امامنا عراقيل اخرى غير التي انقضت

فقالت سعدى لا بأس ولكن ذلك لا يمنع سيدك من الحضور ليلتقي بوالدهند  
وخصوصاً لانه غريب فقد استأنس به ومن يعرفه على يد في البلقاء اما ذلك الامر  
فما نحن في عجل اليه وانما المراد ان نصلي قلوبنا ويهدأ بالنا ونرى بعضنا بعضاً وقد  
تمت العقبات بموت الحارث وسقوط نود ثعابة بين اليه

فقال سلمان نحمد الله على نعمه ولا اقدر ان اصف لكم مقدار سرور مولاي حماد  
بهذه الاخبار فعين المكان والزمان الذين تريدان الاجتماع بهما لايخير سيدي

قالت هند فليات حماد اولاً لنراه ثم نعين يوماً يجتمع به والى الدان لانا نخشى  
اذا انتظرنا اجتماعهما ان يطول الاجل فان والدي في البلقاء وربما لا يستطيع المجي  
الاً بعد بضعة ايام . ما ادت هند بذلك ان تجتمع بمجاد فلاً على افراد استوضع امر  
النذر وعلاقته بالاقتران

فقال سلمان ما اني ذاهب لادعوه واطمئنه يكون هنا في صباح الغد ان شاء الله

فخرج وقد ندم على ما فرط منه في حديثه عن عبد الله وعلم انه اخطأ فيما ذكره بشأن الذر وخاف ان يشق ذلك على حماد فعول على التخلص من هذه النعمة بالحيلة فاسرع حتى اتى الدبر في مساء ذلك اليوم وكان قد سار في هذه المهمة ولم يخبر عبد الله لعله انه لا يريد ذلك

فلما وصل الدبر كان حماد في انتظاره فاستقبله وهو ينظر الى وجهه لعله يقرأ على ملامحه ما يبشره فأراه يتنسم ووجهه منبسط فرحب به وسأله عن الخبر فقال ابشربا مولاي ان الله قد محاك كل شفاء كتب علينا وزالت كل الموانع التي كنا نخاف وقوعها بينك وبين هند

قال وكيف هند هل هي مسرورة برجوعي وهل علمت اننا لم نعتز على القرطين وماذا قالت

فضحك سلمان وقال ان القرطين لم بعد لما دخل في امر اقترانكما فقد تغير وجه المسألة بموت المحارث بن ابي تمر . وقصّ عليه الخبر الى ان قال واذا شئت الاقتران في صباح الغد فهو لك لان والدة النناء والدة هاراضيان بك لا يريدان منك شيئاً ولما هند فانت تعلم قلبها قال وهل طلبت مواجعتي

قال كيف لا وقد طلبت ايضاً ان يشرف سيدي والدك على ان يكون الملك جبلة موجوداً لنتم المعرفة بينها واني واثق باقبال نجم سعدنا لان اقترانك بهند فضلاً عن انه من أهم اسباب سعادتنا فهو سبيل الى اكتسابكما نفوذاً لدى ملك غسان فقال ولكنك تعلم ان والدي لا يرضى الذهب معي بهذا الشأن

قال أعلم ذلك وقد ذكرته امام سيدي هند

فبغت حماد وقال كيف ذكرته وماذا قالت

قال ذكرته على اسلوب لطيف فقلت ان سيدي عبد الله سرّ كثيراً بخطبتكما ولكم بود وفاء الذر قبل عقد الاقتران

قال حماد اخشى ان تكون هند قد فهمت شيئاً بجملها على اساءة الظن

قال لا اظنها فهمت شيئاً من ذلك وعلى كل فانك ذاهب اليها في صباح الغد وقد اجلنا اجتماع والديكما الى فرصة اخرى فاذا اجتمعنا افهمنا المحكاية كما تريد

قال اذا نذهب الى صرح الغدير في صباح الغد وماذا نفعل مولدي هل نخبر  
قال ارى ان نخبر باننا ذاهبون لطائفة اهل الصرح بعودتنا واننا لا نتحدث بشأن  
الخطبة أو الاقتران مطلقاً  
قال هذا هو الصواب

## الفصل السابع والخمسون

\* حماد وهند \*

وفي مساء ذلك اليوم خاطب حماد والدة في امر هند وقال له ان وفاة المحارث  
ربما سهلت امر اقتراؤنا وربما عدلوا عن طلب القرطين . وظهر حماد سروره  
بذلك فلم يجب عبد الله بكلمة

فقال حماد ألم تسر يا سيدي بذلك

قال اني اسر لسرورك ولكني لا ازال الح عليك بالانقصار في هذا الموضوع  
ربنا يأتي يوم الشعانين ونفي نذرنا

قال اعاهدك باني لا ابشرا مرأ قبل ممي ذلك اليوم ولكني عازم في صباح الغد  
على الذهاب الى الصرح لاشاهد هنداً والذئبا لاجل الاطمنان واظنهم يودون مشاهدتك  
قال دع ذلك لبعد يوم الشعانين اما انت فاذهب لمشاهدة اهل صرح الغدير

واحذر ان تمضي امرأ

قال حسناً يا مولاي

وفي صباح اليوم الثاني ركب حماد باكرآ وركب سلمان معه وسارا قاصدين الصرح  
اما هند فانها لم تنم ليلتها تلك لعظم تأثرها فرحاً بقدم حماد الا عند الفجر  
فاغضض جفناها فنامت منبهة فافاقت والشمس قد طلعت فظنت تنسها قد ابطأت  
في الفراش وخافت ان يأتي حماد وهي نائمة فنهضت ولم يؤثر فيها السهر شيئاً لتنبيه  
عواطفها فاغتمست ولبست ثيابها وعادت الى غرفتها وفيها نافذة تشرف على طريق  
بصري فجلست اليها وعيناها شائعتان نحو الافق لعلها ترى حماداً قادماً وكانت كلما

رأت شجراً أو ظلاً أو سمعت صوت صهيل أو وقع أقدام خفق قلبها ولا يكاد يحدث في الصرح صوت إلا سمعته كأنها كلها آذان لعظم تأثرها

أما سعدى فقد كانت توصي الخدم في أعداد ما يلزم للضيافة من الذبائح ونحوها فلما فرغت من ذلك فكرت في هند وما يكون من حالها عند ملاقاتها حماداً بعد طول غيبته فخافت من شدة تأثرها لئلا يظهر منها ما تعاب عليه أو يؤثر في صحتها فرأت ان تسير إليها وتساغها لئلا يذهب ما بها من قلق الانتظار فجاءتها فإذا هي في مثل ما خافتها عليها

فلما سمعت هند وقع أقدام والديها كادت تغت اولاً تعودها سماع ذلك فاستقبلت والديها باشه فابتدرتها سعدى قائلة ما بالك منفردة يا هند اظنك تسعين عدول حماد عن المحبي.

فضوكت ولم تجب

فقالت هيأ بنا الى الحديقة ننسم رائحة الازهار لأن بقاءك هنا مل قال ذلك واسكت بيدها ومشتا حتى نزلنا الى البستان واغزلنا بين الاشجار وهند تسارق النظر من بين الشجر لعلها ترى حبيبها قادماً ولكن والديها سارت بها في الحديقة حتى غابت عن الطريق وكانت هند انما تمشي محارة لها وقلبيها يحدثها بالرجوع الى النصر لئلا يصل حماد اثناء غيابها

وفيما هما في ذلك سمعنا صوت صهيل عرفت هند حالاً انه صهيل جواد حماد فخنق قلبها فنظرت اليها سعدى متجاهلة فاذا هي قد بغتت وهمت بالرجوع فقالت لما دعينا هنا فانه لا يليق ان يأتي فنراه وقد ارادت سعدى ان يكون الملتقى على انفراد مخافة ان يحدث في اثناء ذلك الاجتماع ما لا يستحسن اطلاق اهل النصر عليه

فسكتت هند ولكنها ما فتئت تنظر من خلال الاشجار نحو باب الحديقة تنتظر مجيء حماد بفارغ الصبر ولم تنص هنيهة حتى رآته قادماً وعلى رأسه الكوفية والعمال وقد تقلد الحسام تحت عباءة حريرية مزركشة بالنصب فلما وقع نظرها عليه زاد خنقاً قلبها واصبر وجهها ثم ما لبث ان علت الحمرة وظلت واقفة اما والديها فتقدمت حتى التفت بحماد فسلمت عليه فهم بتقيل يدها احتراماً فمعتة وهند لا تزال واقفة

وقلبها بمحدثها بالمسير نحوهم ولكن الحشمة والحياء منعها  
اما هو فاسرع نحوها ومد يده مساماً ووجهه يطفح سروراً وعيناه شاخصتان  
اليها تفقدان ذكاء وهياماً

مدت يدها وهي تنظر الى الارض خجلاً ولكن الانسام غلب عليها ولما امسكت  
بده شعرت بقوة انبثت في كل اعضائها ثم نوردت وجنتاهما وأبرقت أسرتها كأن  
نلك القوة مجرى كهربائي انتشر في اعضائها ثم انحصر في وجهها فاضاء . فقال حماد  
كيف انت يا هند لقد اطلت الغيبة عليكم ولكنني عدت مع ذلك بخفي حنين

فغلب عليها الحياء ولكنها نظرت اليه بعينين براقبتين تبعث أشعة الهيام منها  
وقالت لا حاجة بنا الى الحنين ولا الفرطين وإنما حاجتنا الى عودتك سالماً فالحمد لله  
على ذلك . قالت ذلك ودموع الفرح تنثثر من عينيها وهي تنسم فارادات اخفاء دموعها  
فتعول نحو شبح بالقرب منها تحتها مقعد من حجر للجalous وتحول حماد وسعدى  
والكل سكوت ولكن فلي العاشقين يتكلمان او لعلها يضمكان فقط ولو تركا على  
انفراد لانطلق لسانهما وتعاثبا وتغازلا ولكن وجود سعدى حملها على الاكتفاء  
بحديث القلبين

ولما استقر بهم الجلولس قالت سعدى لقد اطلت الغيبة علينا فانشغل بالناس كثيراً  
ولما سمعنا حكاية سفرهم من سلمان حمدنا الله على عودتك سالماً بعدما فاسينته من الخطر  
قال لا يهمني من امر سفرتي هذه شيء ولا احسبني اتيت امراً ولا تحملت شفاء  
طالما كان سفري عقيماً وان يكن ذلك لغير قصور مني لان السبب فقدان الفرطين  
من الكعبة اثناء هدمها وبنائها اما انا فاني عازم على مواصلة البحث عنها في العراق  
او غيرها حتى اتي بها

فابتدرته هند قائلة لا لا حاجة بنا الى الاقراط فان عندنا من فضل المولى ما  
يكفيها مؤونة هذه الاسفار

قال وماذا يقول الناس عني وقد عدت صفر اليدين اليس عاراً على حماد ان  
يرجع خائباً عن امر طلبته هند !! قال ذلك وعيناه تظفران الى هند ويكاد النور  
ينثني منها

فالتفتت في اليه وقالت وهي تنهم لاه بعد حماد خائباً لانه جاهد في سبيل

الفرطين جهادًا حسنًا ولا يزال ساعيًا في التفتيش عنها في خرائب الحيرة ولكننا نحن حولناه عن عزمو فما ذلك من قبيل الحيلة لا سمح الله

ثم قالت سعدي ان امر الفرطين يا ولدي لا يهنا مطلقًا فمثل هذه الافراط كئبر عندنا من نعم الله . من ذلك لؤلؤتان معلتان بناج الملك جيلة هما مثل لؤلؤتي قرطي مارية تمامًا حتى لقد يمجسها الناس نفس الفرطين <sup>(١)</sup>

قال حماد اني لا أجهل نعم الله على ملوك غسان زادكم الله نعمًا ولكنني وددت ان اجعل لي سيلاً استحقى به هندا فان نسي وجداً ولا حسي يخولاني هذا الشرف ولكن ذلك أحسن من جملة كرم الغسانيين على الغرباء . قال ذلك وتيسم والتفت الى هند فاذا هي تبسم ايضاً وتنظر الى الارض

فالتفت سعدي اليه وقالت ان النسب يا ولدي لا يجعل الانسان انسانا وان الرجل باصغريه لا يرد به فان ما شهدناه من شهامتك وكرم اخلاقك لجدير بان يرفع منزلتك الى أوج الملوك وكم من ملك تحطه دناءة الى مصاف الصعابك وشاهدنا على ذلك قريب . قالت ذلك ونظرت الى هند كأنها تذكرها بدناءة ثعلبة والمقابلة بينه وبين حماد فادرك حماد ذلك فاطرق خجلاً لما سمعه من الاطباب ولكن قلبه رقص طرباً لتخصيه من امر الفرطين وتمثل له ملاك السعادة طوع ارادته فابرقت اسرته ثم تذكر يوم الشعانيين وتأخير الافتران بسببه فانقبضت نفسه على ان اجتماعهم في تلك الساعة انساه كل تقباض . ثم اتت سعدي كلامها قائلة ارى على ثيابك اثر الغبار الا تحتاج الى تدبيل وغسيل فاذا شئت هلم بنا الى النضر

قال لا اشعر تعب وان الغسيل والتدبيل امران مستدركان ولكن الجلوس في هذه الحديقة بين الاشجار ومجاري المياه والاستظلال تحت هذه الشجرة ما ترناج اليه نفسي . ولا اخني على سيدتي اني لم اكن ارجو مثل هذا الاجتماع بعد ما فاسيته من المشاق ولا انسى يوماً قضيته في مكة على سطح غرفتي لا اذكر يوماً كنت فيه كما كنت في ذلك اليوم لا اعاده الله

قالت هند وكيف كنت

قال لا فائدة من ذكر ذلك غير الكدر ولكنني امثل لك الامر مثلاً . تصويري

اني ركبت متن الاسفار وقطعت البراري والقفار للبحث عن قرطي مارية مهراً لحبيبتني هدى والتميش عن والدي فنزلت بلداً شهدت فيه حرباً وخطراً ثم تحققت فقدان الفرطين وضباع والدي فلما تراكمت كل هذه المضائب عليّ صعدت الى سطح غرفتي وقد ضيق صدري وتذكرت هدى والدي وما انا فيه من البأس فماذا تكون حالي فقالت سعدي لقد سرنا العثور على والدك هل هو في خير وهل ينوي زيارتنا فاني احب نعيمه بالملك جبلة لينم سرورنا فقد زالت كل المحاجز وعهدت كل العقبات والحمد لله

فتذكر حماد مسألة الذر وحكاية يوم الشعابين فقال في نفسه لم ترل امامنا عفة لا ندري ما وراءها. ولكنه اجاب سعدي قائلاً ان سيدي الوالد بسرٌ كثيرٌ بمقابلة الملك جبلة وهو شرف بنماء امامنا ولكنه الآن في شاعل وسيغتنم اول فرصة لمقابلة سيدي الملك ولما كذلك

## الفصل الثامن والخمسون

### \* جبلة \*

وفيما هم في مثل هذه الاحاديث اتسوا في اهل النصر حركة واهتماماً ثم جاءهم مخبر بينهم من جاء بشعر قدوم الملك جبلة الى النصر فغلت الجميع لقدموه على غير انتظار ونهضوا يطلبون النصر ينتظرون قدوم الملك فمشوا صائنين كل منهم يفكر في امر وكان حماد اكثرهم بغنة واهتماماً لانها اول مرة يقابل بها جبلة بعد عودته فخاف ان يكون فشله في البحث عن الفرطين سبباً في فنور نعمته له ولما هند فكانت تنوقع من والدها حواً الى حماد بناء على ما سمعته من والديها ولما سمعوا فلم تستغرب قدومه لانها هي التي اتذنت ابو رسولا بالامس بخبر مجيء حماد وانه سيزورهم في ذلك النهار فاذا استطاع المجيء فعل فوصلوا النصر ودخلوا داعة الجلوس وما استقر بهم المقام حتى نودي في النصر بمجي الملك فخرج اهله لا استقباله وخرج حماد وهند والديها الى الحديقة

وكانت الفرسان قد وصلت فتحول جيلة عن جواده وعليه لباس السفر من العباءة والكوفية وقد تقلد الحسام ومشي بلفت ذات اليمين وذات الشمال يبحث عن حماد حتى اذا وقع نظره عليه دنا منه فتقدم حماد وهو يقدم قدماً وبؤخر اخرى ليرى ما يبدو منه . اما جيلة فاسرع اليه وسلم عليه مصافحة وقبلته قبله الوالد لولك والناس ينظرون . وكانت هند تراقب حركات والدها فلما رأت منه ذلك وقص قلبها طرباً وتناثرت دموع الفرح من عينها وكذلك والدتها اما حماد فانه قبل يدي عمه وقد شفق رضاءه عنه . فقال له جيلة اهلاً بولدي وعزيزي نحمد الله على عودتك سالماً فاجابة حماد ( وملاح الامتنان ظاهرة على وجهه ) له الحمد على كل حال ولكنني احمد الله على رضا ملك غسان فانها نعم لا اقدر على نقدها يا عمه

ثم تحول جيلة نحو هند فقبلت يدها وقبلها وحماد ينظر ففكرت فيه عاطفة الغيرة عليها حتى من والدها ثم حياً سعدى ومشي الجميع نحو القاعة وعينا حماد على هند كما يريد ان يلتقها بنظره وقد شق عليه مفارقتها بعد ان نقر له الحصول عليها وكان سلمان في جملة اهل النصر الوقوف في انتظار جيلة ولم يثنأ دخول الحديقة على حماد عند اول مجيئها مراعاة لما قد يدور بين المحبين من عبارات العتاب مما لا يهون الفتوة به امام احد

ودخل جيلة وسعدى وهند وحماد القاعة فسأل حماد عن سلمان فاجاب فدعاه للجلوس هناك فتوقف توقيراً للجلسة فنهض حماد واسكته بيده وقدمه الى الملك فاتلاً اقدم لكم يا عمه رفيقي وصديقي سلمان فانه كان معتمدي في اسفاري وهو محب غيور للملك جيلة وسائر آل منزله

فرحب به جيلة وامره بالجلوس فجلس والجميع جلوس ثم التفت جيلة الى حماد وسأله عن والد فقال اني تركته في دير بجبراء علي ان يجيئ بمقابلة مولاي في فرصة اخرى

قال لقد سررت كثيراً باجتماعكما بعد طول التفتت بسبب ذلك الغلام الغر ( يريد ثعلبة ) وقد كنت في غفلة عن امره الى ما بعد وفاة والدك فتبعثر اصدقاؤه فاخبرني بعضهم بما ارتكبه هذا الخائن في سبيل الفلك بك على اثر ما اظهرته من

الشهادة وكرم الاخلاق ويكفي انك عفوت عن قتلو في حلبة السباق بعد ما عاينت من غدره وسوء قصده ولكن ذلك الخائن قد نال جزاء ما جنته يداه وكان الناس انما يرمقونه ببعض الاحترام مراعاة لمصعب والى فاكاد بتوفى الحارث حتى بُذِذَ النواة وصار مضغة في الافواه ومن انقل المصائب عليه ان يعلم بمجيبك ونيل مرامك ولا اظلم بسمع بافتراكك معنى يقع ميتا لثمة لؤم وحسد فجبه الله . وكان جبلة يتكلم ولحنه تهتز وعينه تفقدان غضبا مع محاولته اخفاء ما في نفسه وتخفيف ما به فلما اتم كلامه اخذ بتلافي بمشيط لحنه باصابعه ويداغل نظره بالالفاظ الى خيل مربوطه خارج النصر كانت تتزاحم وتتضارب

اما الحضور فانهم لبثوا بعد انما حديثه مكوثا طويلا من غصوه ولكن قلوبهم كادت تطلع سرورا بما قاله عن ثعلبة . ثم وجه جبلة خطابة الى سعدى قائلا اسقينا شيئا نرطب به اجوافنا ونشربة نخب اجفاننا فرحا بقدم صهرنا سالما . فقالت الا ترى ان نجلس الى المائدة فنناول الطعام والمداام . قال حسنا تفعلين

فصنعت فجاء غلام . فقالت هل تمت معدات الطعام قال نعم يا مولائي

فنهض جبلة وشي فنبعة المجمع حتى دخلوا غرفة مدت فيها الاسمطة وعليها الاطباق والمطعمين وكلها من الذهب او الفضة <sup>(١)</sup> فجالسوا يأكلون وبشربون والفرح شامل لم

فلما فرغوا من الطعام وقاموا عن المائدة تقدم جبلة الى حماد وأشار اليه ان اتبعني فنبعة حتى خرجا من النصر وجعلتا يتمشيان في بعض طرقات المدينة فلما خلوا قال جبلة اعلم يا حماد انك الآن بمنزلة وادي وقد قسم الله ان تكون صهرا لي وهذا امر احسبه من حظ هند لانك شهم يفخر بشهامته وشجاعته ما يربو على الافتخار بالحسب والنسب . وقد تركت اليك تعيين زمن الاقتران ولكنني اوجه التفاتك الى امر واحد وهو ان هنداً كما تعلم وحيدة ليس لنا ولد سواها فيشقى علينا فراقها فأشترط عليك اذا تم الاقتران ان نقيم عندنا انت والدك ومن تربك من ذويك فتزولون على الرحب

واحدة فان البلاد تحتاج الى من يتولاها وليس لي ولد ذكر فاذا احسنت السياسة مع القبائل اجتمعوا بعدي تحت لوائك وكنت ملكاً عليهم  
فلم بعد يعرف حماد كيف يشكر نعمة ولكنه وقف وكانا ماشيين فوقف جبلة فقال حماد ان هذه النعم وهذه الشئمة ما يقصر لسان الناس عن اداء الشكر عليها . ان شرطاً اشتراطوه يا غناه ان هو الا نعم انعمت بها علي جزاك الله عني خيراً . انا وقت الاقتران فلا يمكننا تحديق الان لدواع لا اخفيها عنك  
قال وما هي

قال لعل مولاي رأى طول شعري لما لبست الدرع يوم السباق

قال نعم اذكر ذلك وما سبب طول

قال ان والدي نذراني اذا عشت لا ينصر شعري الا في السنة الحادية والعشرين من عمري في دير بجبراء وضرب لذلك اجلًا يوم ان عاين في آن ذلك اليوم منذ عام وبضعة اشهر فجننا البلقاء فحدث ما حدث من سعي تعدد ضدي والقبض على والدي ثم لم نجتمع الا من امد قريب في المدينة فهري والدي ان نبتلر يوم الشعانين القادم ونقص شعري في الدير وقد اخبرني ان عندك حكاية سينصها علي في ذلك اليوم واعز الي ان لا اقطع بامر من الامور المهمة الا بعد ذلك اليوم فإ رأي مولاي فغضب جبلة لذلك السر وقال لا اري مانعا من تأجيل الاقتراز الى ما بعد الشعانين فيجعله في يوم القيامة ولكنني استغربت هذا السر الا نعلم ما موضوعه  
قال كلاً يا غناه لا اعرف عنه شيئاً ولا يعلم به احد سوى والدي وقد اخبرني انه لما وقع في الخطر من وخاف الموت لم يأسف على شيء اكثر من اسفه على ضياع ذلك السر

قال جبلة فلتنظر يوم الشعانين وكل آت قريب

ثم تحولوا نحو النضر وكانت هند والديها وسلمان جالسين في القاعة فدخل جبلة وحماد وقضيا بقية ذلك اليوم في الاحاديث المتنوعة

فلما كان العصر التمس حماد العود الى الدير لئلا يستطاع والدة فيشغل باله عليه فقال له جبلة افعل ما بدا لك ولكن اعلم يا ولدي ان صرح الغدير وسائر قصور البلقاء مفتوحة لاستقبالك متى اردت القدوم . فهم حماد بيد عمه فقبلها وكذلك

فعل سلمان وودع هنداً وسعدى وكان قد امر فاسرجت الخيل وأراد الاسراع في  
 الشخصوس الى دير بيجراء ليخبر والدك بما لاقاه من الاحثناء وما عرضة عليه جبلة من  
 الانعام لعله يرغب في القدوم على جبلة  
 فركبا وساروا وهند تشيعها بنظرها خلسة حتى تواریا فعاد اهل الصرح فاحكى  
 جبلة لسعدى ما دار بينه وبين حماد ولما عاد هو الى البلقاء احكت ذلك الى هند  
 فكادت تطير من الفرح  
 اما حماد فانه وصل الدير في مساء ذلك اليوم وكان والدك في انتظاره فاستقبله  
 ودخلا الغرفة فاحكى له حماد ما لاقاه من الاكرام والاحثناء وما دار بينه وبين جبلة  
 ما لم يكن يرجوه .. وكان حماد يتوقع ان يرى من والدك بعد هذا الحديث اعجاباً او  
 انبساطاً فلم ير وجهه يزداد الا انقباضاً ولم يجب بكلمة فلبث حماد ينتظر يوم الشعانين  
 بفارغ الصبر

## الفصل التاسع والخمسون

### ❖ قص الشعر ❖

وكان عبد الله كلما دنا ذلك اليوم زاد انقباضاً حتى قبل غداً يوم الشعانين  
 فعلم ان الدير سيكون مزدحماً في ذلك اليوم وهو انما يلتمس الانفراد بمجاد ليتلو عليه  
 الحكاية فسار الى رئيس الدير واطلعه على قصده  
 فقال واي الغرف تريدون  
 قال يريد صومعة بيجراء نفسها فانها منفردة وفيها كرامة وبركة  
 قال ولكن الناس يقدمون اليها في مثل هذا اليوم زائرين  
 قال يزورونها بعد خروجنا منها فربما مكثنا فيها ساعات قليلة من الصباح الى  
 الظهر . وكان عبد الله جليل الطلعة ممتزجاً فاذعن له الرئيس  
 ثم قال عبد الله اعرف راهباً شيخاً من تلامذة بيجراء الراهب صاحب هذا الدير  
 كان يقيم في الصومعة فهل هو باق هنا

قال انه باقى ولكنه بشكو شدة الضعف لشيخوخته فلا يخرج من غرفته الا نادراً  
قال الا نظنه يخرج في صباح الغد اذا توسلنا اليه ان يرافقنا الى الصومعة ويص  
شعر غلامنا

قال لا اعلم ولكن عندنا من الرهبان والفسس كذبرين يفعلون ذلك  
قال صدقت ولكنني افضل ذلك الراهب الشيخ لاني اعرفه  
قال هلم بنا اليه نسأله فعساه ان يرضى

وسارا الى غرفة من غرف الدبر مغلقة الباب فقرعاه وانتظرا ريثما ينهض الشيخ  
لفقوا وبعد هنيهة فتح الباب وبان من ورائه شيخ هرم قد ابيض شعره باضاً ناصعاً  
واسترسل من رأسه ولحيته وحاجبيه وشاربه حتى لا تكاد ترى من جلد وجهه الا بعض  
وجنيه وقد تجعدتا وثنتت جبينه وبرزانه اعقف واحدودب ظهره حتى لا يستطيع  
النظر الى واقف امامه الا مجهود وعناية فتقدم الشيخ وبه الواحدة على الباب وبه  
الاخرى يتوكأ بها على عصا قديمة العهد ربما رافقته في صباه وقد قبض عليها بانامل  
لم نترك الشيخوخة عليها لحماً فلصق المجلد بالعظم حتى كان اعرض ما في الكف عند  
الامشاط عند اتصالها بالاصابع

فلما فتح الباب رفع الشيخ نظره وحدق بزأريه وكان قد عرف الرئيس من  
مجيئ قيافته ولكنه لم يعرف رفيقه فنظر اليه نظر المتأمل وشعر حاجبيه المسترسل  
يججب معظم النظر عنه فارسل به يرفع بها شعر الحاجبين وهي ترتعش لضعف  
الشيخوخة فابتدره عبدالله بالسلام وهم بتقبيل به فعرفه الراهب فقال اهلاً  
بولدنا الامير عبدالله ابن الوطن العزيز تفضل يا ولدي ادخل . فدخل ودخل  
الرئيس معه وجلس كل منهما على وسادة وهما لا يحسمران على فتح الحديث احتراماً  
لشيخوخة الراهب

ثم تكلم الرئيس فقال ان ولدكم الامير عبدالله يلتمس حضوركم الاحتفال بقص  
شعر ابنه وفاء لنذر نذره منذ بضع وعشرين سنة

فتأمل الشيخ برهة ثم رفع نظره الى عبدالله بغنة والنور ينبعث من حدقه في  
خلال شعر الحاجبين كأن الزمن لم يؤثر على حديثها وقال ما اسم غلامكم  
قال حماد

قال نعم حماد اذكر اني رأيتك في الصومعة منذ عامين واخبرني انه جاء لنص  
شعره وكان يوم الشعانين قريباً ألم تقول النذر بعد  
قال لا يا مولاي لم نستطع ذلك لاسباب فرقت بيننا اعماماً فلما اجتمعنا جئنا  
ليني النذر فهل تريد ان يكون وفاؤه على يدك  
قال انني شيخ ضعيف لا استطيع الوقوف لتادية الفروض اللازمة اثناء  
الصلاة

قال يؤديها القسيس وتكون انت معنا بعد الصلاة فتفردانا وانت وحماد  
لكلام اقصة عليكما  
قال حسناً يا ولدي ومتى يكون ذلك  
قال غداً صباحاً ان شاء الله  
قال سلتني اذا صباح الغد في الصومعة قال ذاك وهو يتلاهي بمسبحته ويدها  
ترنجات

ثم نهض عبد الله فودع الراهب وخرج تَوّاً الى غرفته وجلس ينتظر عودة حماد  
وكان حماد يختلف الى صرح الغدير مراراً في الاسبوع يتمتع برؤية هند فيفضي  
النهار عندها مع والدتها واحياناً سلمان وقد شمر ان ملاك السعادة بحرسه وخصوصاً  
بعد ما قصة عليه جبلة ما يتوبو له في مستقبل حياته واصبح لا هم له الا محبي يوم الشعانين  
ليني النذر ويقترب بهند على انه كان اذا جلس اليها ودار الحديث بينها نسي النذور  
وغفل عن مستقبل الايام . اما والد فلم يجتمع بجبلة وكان حماد يلمس ذلك منه  
احياناً فينخل اعذاراً يخلص بها من المسير

فلما كان آخر يوم كما قد سنا عاد عبد الله الى غرفته وجلس ينتظر حماداً وكان  
قد سار الى صرح الغدير في صباح ذلك اليوم وسلمان معه فعاد في الاصيل على فرسه  
وسلمان وراءه على فرس آخر فلما وصلا الدبر ترجلا ودخلا وهما يتوقعان ان يكون  
عبد الله في انتظارهما فرحب بحمد وقال له الا تعلم يا ولدي ان غداً يوم الشعانين

قال نعم يا ابتاه واني في استعداد لوفاء النذر  
قال جعله الله نذراً مقبولاً . وقد خاطبت الراهب الشيخ الذي كان يجلس في  
صومعة مجبرا هل تذكره

قال نعم اذكر اني جلست اليوم مرة وقص عليّ خبر الراهب مجبرا استاذ  
قال قد خاطبته في ان يقص شعرك ويسمع ما اتلوه عليك بعد ذلك  
وكان سلمان لا يزال واقفاً بالقرب من الباب يصلح كوفيته وعقاله وكان قد  
انحلاً وهو يقول عن جواده فلما سمع ما قاله عبد الله تقدم نحوه ونظر اليه قائلاً لا  
نظن خادمك .. لمان يستغنى الاطلاع على هذا السرايضاً .  
قال بلى انك اولى الناس بذلك وستكون انت ايضاً معنا  
وقضوا بقية ذلك اليوم بعدون انفسهم وخصوصاً عبد الله فانه مال الى الانفراد  
بعد بعض الثياب

وفي صباح اليوم التالي ساروا الى الصومعة باكرًا فرأوا مضيفة بالشموع وهي  
كما تعلم عبارة عن غرفة كل من جدرانها الاربعة حجر واحد والمفتح حجروا الارض  
حجر وابلها حجر واحد يتفتح ويغلق <sup>(١)</sup> وهذا هو شأن ابنية حوران حتى الآن نظراً  
لكثرت صخورها وقلة خشبها فهبنون البيوت من الحجر ويجعلون درف نوافذها وابوابها  
وسقوفها من الحجر ايضاً

فدخلوا الصومعة فرأوا الراهب، الشيخ ومعه قميس آخر، وشماس فلما اجتمعوا  
جميعاً اخذوا في الصلاة فاحرقوا الخور وحلوا شعر حماد حتى استرسل على ظهره وكنهه  
وطافوا به بالترانيم والتسابيح على جاري العادة والقميس يحملون الصلبان والمباخر  
يتزنون حتى تمت الصلاة وقرأوا فصلاً من الكتاب المقدس وكان الراهب قد نعب  
فجلس على مقعد الحجري ليرتاج فلما انقضت الصلاة تقدموا نحوه واعطوه مقرأً ودنا  
حماد منه وشعره مجللة فمد الراهب يده وامسك خصلة من شعره وبارك وقصها اشارة  
الى وفاء النذر وبقي الشعر مسترسلاً على نية ان يقصه عند عودته الى المنزل  
فلما انقضى الاحتفال اشار عبد الله الى الراهب انه يريد الخلوة فاورع الى الحضور  
فخرجوا وبقي هو وعبد الله وحماد وسلمان واطننت الشموع ولم يبق من الانوار الا  
مصابيح الزيت المعلقة امام الايقونات فاشار عبد الله الى سلمان ان اغلق الباب فهم  
باغلاقه وهو لا يحسب نفسه قادراً على ذلك الضخامة فاذا هو طوع به لان لاهل  
حوران صناعة دقيقة في تركيب تلك الابواب حتى تغلق بسهولة <sup>(٢)</sup>

فلما أغلق الباب وضعف النور أحسوا بانقطاعهم عن عالم الاحياء وخيل لهم انهم في عالم آخر وخفى قلب حماد نطعاً لما سيسمعه من غريب الاحاديث . فنزع عبدالله جبنه وهم بصرة كانت معه فحمها واستخرج منها رداء مزركشاً بدمية الطيلسان كان قد اذخره واحتفظ به . منذ اعوام فقلته ثم بسطته وجعلته على كتفيه ونشر على الارض امام مجلس الراهب جلداً جثا عليه وجلس حماد وسلمان امامه والجميع سكوت براعون حركات عبدالله وسكناؤه ويتظرون ما يبدو منه

## الفصل الستون

### \* كشف السر \*

فلما استتب بهم الجلوس التفت عبدالله الى الراهب وقال اعلم يا مولاي اننا الآن في بيت الله وقد اجتمعنا فيو لعل مقدس فلا يعلم بما سيدور بيننا الا الله وحده وساقص عليكم حكاية او غمت عليها منذ بضع وعشرين سنة فارجو ان تصغوا اليّ حتى آتي على آخرها ومتى فرغت منها الشمس منكم كتمانها عن اهل الارض كافة فهل نعاهدوني على ذلك

قال الراهب نعم يا ولدي ان سرك لن يتجاوز جدران هذه الصومعة  
قال الشمس من قدسكم ان تنلو علينا الصلاة الربانية قبل الشروع في الكلام  
وليفس كل منا بكتان هذا السر عن البشر كافة  
فقال الراهب « ابانا الذي في السموات الخ » واقسم كل منهم بالصلوب والمعمودية بكتان ما سينتلي عليهم

ولما تم القسم نظروا الى عبدالله فاذا هو يتأدب في فعوده كانه في مجلس رهيب وقد امتنع لونه فما به منظر . وما زادهم هيبه ضالة الانوار واختلاؤهم في ذلك المكان فنظر عبدالله الى حماد ووجه الخطاب اليه قائلاً

تعلم يا ولدي ان العرب يرجعون في انسابهم الى اصلين كبيرين هما قحطان واسماعيل ومن نسل قحطان عمّرت اليمن وما جاورها ومن نسل اسماعيل عمّرت أنجاز وما جاورها وبني نسل اسماعيل الاسماعيليه او العدنانية نسبة الى جد من اجدادهم بعد اسماعيل اسمه عدنان وبني بنو قحطان القحطانية

وقد قامت من القحطانية دول . لمكت الخافقين منهم التابعة المشهورين وغيرهم من دول حمير وسبأ . ومن مملكة سبا خرجت ملكة سبا التي ذكرت التوراة انها زارت الملك سليمان وما زالت اليمن عامرة آهلة حتى حدث سيل العرم <sup>(١)</sup> فنفرق اهلها ايدي سبا . انعرفون ما هو سيل العرم

قال حماد لا يا أبناه لا اعرفه .

قال عبد الله اعلم يا ولدي ان اليمن وسائر جزيرة العرب ارض ثقل فيها الانهر والينابيع واعتماد الناس في ري مغارسهم انما هو على مياه المطر فانها تجتمع في مجاري الودية وتسيل كالانهر فاذا انقضى الشتاء جف معظمها فملافة لذلك كانوا يعملون في عرض الودية سدوداً من حجر تعترض مسير الماء فيعنيج ويرتفع حتي يسقي اعالي الارض

وكان من تلك السدود في اليمن سد كبير يقال له العرم بناه ملوك اليمن قديماً بمجارة ضخمة متمسكة بالفار وفيه خروق بصرفون منها الماء على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم وكانت له حنطة يقومون بشعب وتوزع مياهه فتقدم عنهم حتى تصدع وخيف سقوطه . وعرب اليمن اذ ذاك بنو كهلان بن سبا من القحطانية

وكانت دولتهم قد ضعفت واخذل نظامها واكّلت الى السقوط فاهل امر السد وقتلت المحافظة عليه فظهر به الخطر اولاً فالوا تخاف الناس تهدمه بغية للتلايسيل الماء عليهم فيغرقهم ويحرب منازلهم فاخذل يتزحون احباء وبطوناً وبقيت منهم بقية اصحبل ذات اليوم وقد انجر السد وطافت المياه فاغرقت بعضهم ونجا البعض وتفرقوا في البلاد وسي ذلك السيل سيل العرم <sup>(٢)</sup> وكان ذلك منذ ستمئة سنة او اكثر وكان السامعون مصفين لاستماع حديث عبد الله وهم لا يرون فيه ما يوجب

الممارسة ففعلوا لذلك ولكنهم صبروا انفسهم ليرى ما يكون بعد فادرك عبد الله ضائهم فقال لم لا ترون في حديثي ما كنتم تتوقعونه من الانباء المهمة فاني انما اقص عليكم اخباراً متناقضة على العنة الناس ولكنني اردت ان اسط لكم اصل نسب ملوك الحيرة المقيمين في العراق ثم انطرق من ذلك الى كشف السر فامهلوني ولا تغفلوا

## الفصل الحادي والستون

### \* ملوك الحيرة \*

فلت لكم ان بني كهلان تفرقوا قبل سبل العرم وبعك وكنوا احياء عديدة نذكر منها ثلاثة هي لحم والازد وطى اما لحم فهم اجدادنا الذين افاموا في العراق ومنهم المناذرة ملوك الحيرة ( قال ذلك وتهدي ) واما الازد فبنو غسان عرب هذه البلاد اما طى فافاموا بنجد والحجاز في جيلي اجا وسلمى<sup>(١)</sup>

فسرّ حماداً أن يكون بين اللخمين والغسانيين قرابة ولكنهم ما زال قلقاً للوصول الى آخر الحديث وكذلك سلمان اما الراهب فكان اقلها قلقاً واشتياقاً كأن الشيخوخة وكثرة الاخبار علامه الاستخفاف بمجداث الزمان فضلاً عن ان ما قصه عبد الله عليهم الى ذلك الحين لم يكن بالشئ المجهول عنده

اما عبد الله فانه اتهم الحديث قائلاً : علمتم ان ملوك الحيرة لحييون يتصل نسبهم بكهلان بن سبا من عرب اليمن القحطانية فتزل بنو لحم العراق وافاموا في وقت على حالم من البدايق واول من حكم العراق من العرب قوم من حي يقال له دوس وهو بطن من الازد وهم اقرب نسباً الى الغسانيين منهم الينا ولم تقص مدة حتى تغلب اجدادنا عليهم وملكوها العراق تحت رعاية ملوك الفرس على مثال ما هم عليه الآن واتخذوا مدينة الحيرة كرسياً لملكهم وسلموا المناذرة جمع ( المنذر ) وهو لقب ملوك العراق كما تعلمون ولا اطيل الكلام عليكم خوف الملل فاقول بالاختصار انه تعالى على كرسي الحيرة بضعة عشر ملكاً اشهرهم امرؤ القيس بن عمرو وما يؤثر من فضله ان اللخمين لما قدموا

من الذين كانوا على عبادة الاوثان فلما ملكوا وخالطوا الرهبان واهل النصرانية تصرولوا  
 واول من تصرمن ملوكهم امر والنبيس هذا <sup>(١)</sup> ثم ملك النعمان بن امرى القيس ويقال  
 له الاور وهذا الذي بنى النصرين المشهورين (الخوروق والسدير) ومن غريب امره  
 انه لما عظم ملكه وامتلأت عبياءه من خبرات الارض مال الى الزهد فترك الملك  
 وتنسك <sup>(٢)</sup> . وملك بعده المنذر ثم الاسود وهذا حارب اصحابنا الغسانيين منذ مئة  
 وخمسين عاماً واسرعده من ملوكهم وكان ذلك سبب عداوة مستمرة فيما بيننا  
 وبينهم <sup>(٣)</sup> . وتولى بعد الاسود ملوك كثيرون منهم المنذر بن ماء السماء وكان معاصراً  
 لكسرى انوشروان ملك الفرس المشهور وله معه وقائع وحوادث بطول شرحها  
 فلنتركها وننتقل الى آخر ملوك الحيرة النعمان بن المنذر .  
 فلما ذكر اسمه ابتدره الراهب فائلاً اظلمك تعني ابا قابوس  
 قال نعم انه كان يلقب ابا قابوس

قال الراهب هذا الذي قتله كسرى رويرو بسبب قتله صارت واقعة ذي قار <sup>(٤)</sup>  
 وقد كنت شاكاً وشهدت هذه الحوادث وكنت اعرف الملك النعمان هذا رحمه الله ولي  
 معه حديث طويل

## الفصل الثاني والستون

### مقتل النعمان بن المنذر \*

فتنهذ عبد الله وهو بعندل في مجلسه ووصلح الرداء على كنفه وقال قد وصلنا الى  
 المراد من حديثي فارعوني السمع لاقص عليكم غرائب ما اعلمه عن هذا الملك . قال  
 ذلك وشرق بدموعه خلسة ولولا ضعف النور لظهر الدمع متلألئاً في عينيه ولكنه  
 تجلد واعاد الحديث فقال

ان الملك النعمان هذا لا احتاج في وصفه الى تطويل ولكم يعرفه الاحاديث  
 ويكني في وصفه انه شجاع صادق وقد اعاد النصرانية الى الملك <sup>(٥)</sup> بعد ان فسدت

( ١ ) ابن خلدون ( ٢ ) ابو الفداء ( ٣ ) ابن خلدون ( ٤ ) الطبري ( ٥ ) ابو الفداء

وأدناها اسلافة بالوثنية<sup>(١)</sup> . ولا تنفع لكم دخيلة حديثي إلا إذا ذكرت لكم كيفية تولي النعمان الملك . فقد كان أبوه المندر ملكاً قبيلة وكان في بلاط كسرى على عهد رجل عدناني اسمه عدي بن زيد كان بحسن العربية والعربية وكانت له منزلة كبرى وتفوذ لدى كسرى وكان مقام كسرى في المرائن والمندر في الحيرة كما تعلمون . وكان المندر ١٢ ولداً أحدهم النعمان الذي نحن في صدره وكان قد ربي في حجر عدي بن زيد ورضع في اهله<sup>(٢)</sup> وكان من أبناء المندر أيضاً فتى اسمه الاسود رباؤه قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينصبون الى اللحم

فلما مات المندر خاطب كسرى عدني في من بلي الحيرة بعد وقال له « اني اري ان اخرج الملك من أيدي هؤلاء واجعله في يدي واحد من خاصتي فهل بين أولاد المندر من يصلح للملك » قال عدي انهم بضعة عشر رجلاً كلهم أشداء فاذا امر مولاي جئته بهم قال اليهم . فبعث يستقدمهم وفي نفوسهم يسهل سبيل الملك الى النعمان سرّاً لانه ربي عنده فخلابو قبل اجتماعهم وأسر اليه اشياء يقولها في حضرة كسرى ففعل وتولى الملك فثقت ذلك على ابن مرينا لانه كان يرجو ان يكون الملك للاسود التماساً للتفوذ على يد . فاخذ يجرض الاسود على الانتقام من عدي بدعوى انه عدناني ( اي من نسل عدنان وبين القضاة والعدنانية مناظرة ) فوافقه وسلم التصرف في ذلك اليه فجعل ابن مرينا يتقرب من النعمان بالهدايا والخف وبشيء بعدي فيذكره بالخبر وينوطاً وبعض الحضور على الطعن فيه فيروون عن لسانه انه يقول بان النعمان تحت امره وانه هو الذي ولّاه الملك وما زالوا كذلك حتي اضعفوه عليه . فبعث النعمان الى عدي بدعوه الى زيارته فجاء وفي حال وصوله امر بسجنه في مكان خارج الحيرة لا يدخل عليه فهو احد فعلم عدي انها وشاية فجعل يكتب الى النعمان يستعطفه نظراً ونوراً فلم يجد ذلك نقياً فكتب الى اخ له اسمه أيّي بجرضة على اتقائه فقام ايّي الى كسرى وأنبأه بخبره فكتب الى النعمان في اطلاقه فجاء اعداء عدي واكثرهم من بني قبيلة واصلهم من عرب غسان<sup>(٣)</sup> أهل هذه الديار وحرضوا النعمان رحمه الله على التلصق بعدي قبل وصول كتاب كسرى اليه وحسنوا له ذلك بحيلة يطول شرحها وكان الرسول قد مرّ قبل وصوله الى الحيرة بسجن عدي واخبره بكتاب كسرى ثم

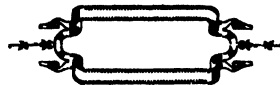
خرج من عنده الى النعمان وفي اثناء ذلك ارسل النعمان الى عديّ اناساً قتلوه فلما فضّ كتاب كسرى كذب البهوان عديّاً مات . ولكن النعمان ما لبث ان عرف انه اساء عديّاً فقدم وصادق ان لقي ولدًا من اولاده اسمه زيد بن عديّ حتى همّ باكرامه وورفع شأنه تكفيراً عما فرط منه بشأن والده واوصى بكسرى فجعله في منزله والده عديّ<sup>(١)</sup> فلم يغفل اهل الوشاية عن اطلاع زيد على كنيه قتل ابيوه فحفظوها على النعمان وسعى ضده لدى كسرى بحيلة غريبة . وذلك ان الاكاسرة كانوا يبعثون الى ايلانهم يطلبون نساء لهم على اوصاف مخصوصة ولكنهم لم يكونوا يلتصقون ذلك من احباء العرب لعلهم يظلم بكرائهم . فقال زيد لكسرى منع ان في الحيرة نساء جمع من كل اوصاف الرجال فاذا بعثت الى النعمان ارسل اليك منهم . وكان زيد يعلم ان العجاف لن يرضى بذلك فوقع الذناب بينه وبين كسرى فانفذ كسرى رسولا معه زيد الى النعمان فاخبره بطلب كسرى فعظم ذلك عليه فالتفت الى زيد وقال له « اما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ كسرى به حاجته ان الذي طلب كسرى ليس عندي » قال الرسول لزيد بالفارسية ما معنى المها والعين » قال « البئر »

فلما رجعا الى كسرى اخبراه بما قال النعمان واقنعاه انه انما اراد الحط من منزلة كسرى بقوله « اليس في بئر الفرس ما يكفي » فغضب كسرى غضباً شديداً ولكنه كتم ذلك والنعمان قد شعر بغضه فاخذ يستعد ويتوقع حتى اناه كتاب كسرى يستقدمه اليه فعلم انه انما يدعوه لقتله فحمل سلاحة واهله والنفس الفرار . وكنت انا من لازم النعمان زماناً وكان يستأنس بي ويرتاح الى رفعتي فقال لي كيف انت يا عبدالله قلت اني يامولاي لاحفك بك اينما توجهت فقال ان في ذلك خطراً عليك قلت ما انا باحرص على نفسي مني على نفس مولاي النعمان فقال بورك فيك . فصحبته من ذلك اليوم وسرنا حتى اتينا قبيلة طي في اعالي نجد وكان النعمان قد تزوج منهم فطلب ان يجمعوه بين المجبلين ( اجاوسلى ) فقالوا « لا يكاد ذلك ولولا صهرك لقتلناك فانه لا حاجة بنا الى معاداة كسرى »

فتركناهم وسرنا الى قبائل اخرى فلم يقبلنا احد منهم خوفاً من كسرى حتى لقينا رجلاً من قبيلة بكر بن وائل اسمه هاني بن مسعود<sup>(٢)</sup> وكان سيداً منيعاً وكان للنعمان

فضل عليه فقال له « اني مانعك ما امنع نفسي وإهلي وولدي منه ما بقي من عشرين  
الآدين رجل ولكنني لا ارى ذلك نافعاً لك لانه مهلكي ومهلكك فاذا اذنت لي فاني  
مدير عليك بالذهاب الى كسرى مستعظماً واحمل اليه الهدايا فاذا صنع عنك عدت  
ملكاً والألموت خير لك من ان يتلاعب بك صعايلك العرب » فاستحسن مولاي  
النعان الرأي ولكنه قال ما افعل بجري قال هاني « هن في ذنبي لا يخلص اليهن حتى  
يخلص الي بناتي » فقبل النعان بذلك وأنا خائف من عاقبة الامر وقد حدثني  
ننسي في صدمه عن الذهاب فلم اجسر لاني شاهدت وجهه وكانت ابرش احمر كما  
تعلون<sup>(١)</sup> قد امتنع حتى صار كمن اصابه البرقان ونهض وقد همة الامر كثيراً  
وجعل يحظر ذهاباً واياباً وقصر قامته ظاهر وهو ينقل شاريه الاشقرين كأنه خائف  
من الذهاب وكان ضمه دليلاً

ثم فكر قليلاً وقال له اني اري يا اخا بكر ان ارسل الى كسرى هدايا فان قبلها سررت  
اليه فقال هاني نعم الرأي رأيت نارسلها اليه فقبلها كسرى خداعاً منه فجاءه الله . فهم  
مولاي النعان بالمسير فقلت اني سائر معك والله لا ارحك لحظة فقال اري ان تنقي  
عد نسائي خير من ان تذهب معي قلت اني فاعل ما تريد ولكنني اري النساء آمنا  
في حمى هاني . بن مسعود فأذن بذهابي معك فأذن وكان ننسي حدثني بحظر  
قريب فسرنا حتى اتينا المدائن فلقينا زيد بن عدي فتشاهمت برؤيته ونحفت سوء  
قصه وكنت مريباً في ذلك لانه لم يكذب بلقانا حتى قال النعان « انج نعم ان استطعت  
النجاه » فقال النعان « فعلتها يا زيد فولله ان عشت لاقتلك قتلة لم يقتلها عري قط  
ولا تحملك باييك » فضحك زيد لعنه الله وتوعد فعلتها انها حيلة اعداه له وتحقق  
النعان ان الساعة قد دنت وان القضاء واقع لا فر منه . فلما وصل الى كسرى أمر  
فقدومه وبعثوا به الى سجن في خاتنين<sup>(٢)</sup> وكنت اتردد اليه في السجن خلسة وأنا ارجو  
الافراج عنه أما هو فلم يكن يرجو نجاه



## الفصل الثالث والستون

## \* السر \*

وسرتُ اليو ذات يوم صباحاً فرأيتُ قد تغير حاله وامتنع لونه كأنه خائف من امر قريب ولا انسى منظره الرهيب في ذلك اليوم فوفقت انتظري امر فقال لي يا عبد الله قلت ليك يا مولاي

قال ارى ان اسرّ اليك امراً فهل تعاهدني على حفظه  
قلت كيف لا

فبدّ به واعطاني هذا الرداء المزركش ( قال عبد الله ذلك ومرع الرداء عن كتفي ووضعه امامه ) فاخذته منه ثم استخرج من به خاتماً عليه اسمه واقبه وهو هذا ( وبدّ عبد الله به واستخرج الخاتم من جيبه ووضعه على الرداء ) وكان الحضور شاخصين يحسون انفسهم اصغاء لما سيقوله عبد الله وتوقعاً للخطر القريب . وكان عبد الله قد تغيرت سمته واختنق صوته وتخلله ارتعاش زاد الحضور تهيّباً

ثم قال فلما تناولت الخاتم قال لي النعمان اعلم يا عبد الله اني في هذا السجن حتى ينتضي اجلي فيخرج ملك الحبنة من ايدي اللخبين لان عدياً هذا سيدخل جهنم في اذلالهم خوفاً من ينتقم لي ولا اعرف من اولادي من يصلح لرفع هذا العار عنا ولكن بين اهلي عند هاني بن مسعود زوجتي سمية وهي حامل وسنلد قريباً فاذهب اليها بهذا الخاتم وهذا الرداء . وقل لها ان هي وضعت غلاماً ان تعهد اليك بتربيته فتربيته تربية رجال القتال حتي يشبّ شهياً حراً واحذر ان تنص شعري او تخبر عن نسو قبل الحادية والعشرين من عمري فاذا بلغها قص شعري في دبر مجبرا . واخبر عن نسو والبسة هذا الرداء وهذا الخاتم . . . »

ولم يكذب عبد الله كلامه حتى استولت البغته على الحضور وخصوصاً حماد اذ خيل له انه في حلم وساعده على ذلك الوهم ضعف الدور وهوا المكان وكان لا يزددون انفسهم الا وهم مجذرون ان يمتنع حديث عبد الله فلما وصل الى هذا الحد تمحلقوا ان حماداً هو ابن الملك النعمان فيجعلوا ينظرون اليه نظرة الاحترام . اما عبد الله فحالما بلغ الي قوله « والبسة هذا الرداء وهذا الخاتم » وقف على قدميه وجعل الرداء على

كنفي حماد والحاتم في اصبعه وامسكه بيده وانفضه واجلسه على المقعد الحجري وهم بنقيل بن فنجيل حماد وجذب يده منه فقال له عبد الله لا تنجبل يا مولاي انك الآن سيدي ابن الملك النعمان وقد انتضى زمن والدي عبد الله . فجلس حماد على المقعد وجلس عبد الله بين يديه وهم سلمان بيد حماد فقبلها وتأدب في مجلسه وهو يقول « والله كنت ارى هيبة الملوك على وجهه من يوم عرفته »

اما الراهب فانه على عجزه وقف ورفع يده فوق رأس حماد وباركه ودعا له بطول البقاء وقبل رأسه . كل ذلك وحماد يحسب نفسه في حلم ولكنه فرح كثيراً بما علمه من نسيه وودّ لو ان هنداً حاضرة فتسمع ذلك فتفرح معه وتخلو له ان سعد قد تمّ لانه ملك وسيقترب ملكه ويرث ملك غمّان . وفيما هو يفكر في ذلك نهض عبد الله فقال لم يتم حديثي بعد فهل تسعونه الى آخر

قال نعم

فدّ يده الى جيبه واستخرج اسطوانة من النضة ثخن الاصبع وخاطب حماداً قائلاً وقد اعطاني مولاي النعمان هذه الاسطوانة واستغلني ان اسلمها اليك مخنومة بعد اتمام الخبر فتفتحها في هذا الدبر وتقرأ ما فيها وتعمل به

فمد حماد يده فتناول الاسطوانة وهم يفتحها فامسكه عبد الله وقال لا تفعل قبل اتمام الحديث

قال تنضل

فقال عبد الله : فلما أتمّ النعمان وصيته بكى وبكى ولكنني كنت أحبس الدمع تشجيعاً له . فقال « اعلم يا عبد الله ان القضاء واقع قريباً فاحفظ بهذا السر حتى يأت وقتك اما اذا اخرجت من هذا السجن وعشت والمسالمة وجه آخر » . والاسف يا سيدي انه لم يخرج من ذلك السجن فوفاه القدر فتوفي بداء الطاعون <sup>(١)</sup> قال ذلك وتهد والدموع ملء عينيه فتهجد الجميع ثم قال

اما انا فسررت الى هائي ولقيت والدتك سبية وكانت حاملاً فاسررت اليها ما كان فاطاعت فانتظرت ريثما وضعت واكنها وأسفاه عليها لم تعش بعد الولادة الا قليلاً فحملتك الى اهلي وارضعتك منهم حتى شببت على ما ترى

## الفصل الرابع والستون

### ❖ وقعة ذي فار ❖

ولعلك نسألني عما تم من امر ودیعة والدك فاخبرك يا مولاي ان كسرى علم بعد وفاة سيدي النعمان ان اهله وماله وسلاحه عند هاني وفيه اربعة آلاف شكة والشكة سلاح الفارس كله <sup>(١)</sup> فكتب كسرى الى هاني بان يبعث الودیعة اليه فابي ذلك محافظة على العهد ورعاية للذمام وكان لكسرى عامل على عين التمر وما ولاها الى الحيرة اسمه اياس بن قبيصة الطائي فدعا به اليه فجماعه برجاله فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل فاشار عليه بان يفعل فعقد كسرى لاياس بن قبيصة على كتيبي والدك وهما الشهباء والدوسر <sup>(٢)</sup> وارسل معه جندا آخر بقيادة رجال من الفرس فكانت حملة تزعزع الجبال وفيها من الخيل والجبال والموتنة والعدو الما يحمي فلما سمع هاني بن مسعود بها سار رجاله للملاقاة فالتفتوا في محل يقال ذوقار وكانت فيه وقعة عرفت بوقعة ذي فار بين الفرس والعرب اشتهر امرها في الاقطار وكانت الغلبة فيها لهاني ورجالو فانهزم هزموا الفرس شرهزيمة وهي اعظم وقعة انتصف فيها العرب من العجم قبل الاسلام <sup>(٣)</sup> وفر اياس الى كسرى فسأله عن الخبر فقال غلبت بكر بن وائل وجننا اليك بنسائهم ففرح كسرى به وامر له بكسوة ولكن اياساً خاف افئضاح امره قريباً فاستأذن بالذهاب الى اهله فاذن له فانصرف الى عين التمر جاء رجل من اهل الحيرة الى كسرى وحديثه بهزيمة القوم فغضب منه كسرى فامر فتمزعت كنفاه ولم يصدق الا اياساً فولى اياساً الحيرة <sup>(٤)</sup> كما تعلمون وقد ولي بعد رجل فارسي آخر ثم ولها احد اخوتك المنذر الغرور وهي الآن في ولاية اياس بن قبيصة <sup>(٥)</sup> ولا تزال الودیعة عند هاني بعضها او كلها

وكان حماد قد ملّ الانتظار تشوقاً الى ما في تلك الاسطوانة فلما فرغ عبد الله

(١) ابن خلدون (٢) الاغانى (٣) الاغانى (٤) الاغانى جزء ثاني : ويقول

الطبري ان كسرى ولي اياساً الحيرة عد وفاة النعمان (٥) ابن خلدون

من حديثه نهض وقد اعياه التعب لشدة تأني وذكري بهائيه وقال لحماذ الى  
يا مولاي بالاسطوانة فدفعها اليه فالتبس من الراهب ان يباركها قبل الفتح فباركها فوقنوا  
جميعاً وتناول عبدالله الاسطوانة وعالجها ببدية حتى انتهت فدنا من مصباح منير بجانب  
ايقونة ونظر الى ما في الاسطوانة وكلهم يتناولون من جيبه وورائه ينظرون معه  
فاذا فيها لثافة من جلد فاستخرجها ونشرها بين يديه فرأى عليها كتابة بالاحرف  
الاسطرغيبية وهي كتابة اهل العراق الى ذلك الحين فتخصص ابصارهم الى ما فيها فاخذ  
عبد الله بتلوها عليهم وهم يسمعون وهاك نصها :

« من التعمان نزيل دار البقاء الى ابنه المندر المنيم بين الاحياء . اما بعد فهذا  
كتاب كتيبه واما في عالم الوجود وانت في دار الخناء وستقرأه بعد رجوعي الى عالم  
الغيب وبروزك في عالم الاحياء . فاذا قرأته وقد وفيت نذكرك وعرفت حقيقة نسبك  
فاعلم ان عظامي تتادبك . من ظلمة القبر وتستخلك بشرف اجدادك المناذرة من اكل لحم  
ان لا تقرب امرأة ولا تشرب خمرًا حتى تنفم لايك من اكاسرة النرس فاذا فعلت ذلك  
فانك مارك انت ونسالك . وان لم تفعل فان رفاتي نزعش حقًا ونفسي تنالم وهي  
تنظر اليك من منافذ الآخرة تراقب حركاتك وسجيته وبالك موقف تخاسب فيه  
والسلام »

فلم يكده حماد يأتي على خاتمة الكتاب حتى ارتعدت فرائضه واي ارتعاد وقد رأى  
مساعيه كلها ذاهبة ادراج الرياح على ان الحمية من الجنة . الثانية ثارت فيه والخوة  
هاجت في رأسه وشعر بدافع يدفعه الى الاخذ بنار والد من اكاسرة النرس وقد  
استعظم المشروع وهاله الاقدام عليه فوقف مبهوتين لا ينس بينت شنة  
فنظر عبدالله اليه ينتظر ما يبدو منه فلما رآه صامناً قال له هذا هو السرياسيدي  
قد اطعمك عليه فالنيت عن عانتي حملاً حمله نبياً وعشرين عاماً واما اخاف ان اقضي  
نحي قبل اقبائيه فانظر في ماذا تفعل

فقال حماد لقد الفيت عنك حملاً اثنتاني بو وارجو ان اتوفى للقيام بها عهد  
الي والله منجدي ونصيري . قال ذلك وتحنز للخروج من الصومعة فافقنه عبدالله  
والنرس من الراهب ان يجتنب حديثهم بالصلاة فصلى وتضرع الى الله ان يساعدكم  
على كتمان الامر ثم خرجوا وكان على رؤوسهم الطير لول ما سمعوه ورأوه . واكثرهم

بغته واندهالاً حماد لانه أصبح لا يدري ماذا يعمل أسير الى هند يطالعها على سره وليس في ذلك السر إلا ما بوجب كدرها لانه حائل بينها وبين الاقتران الى اجل غير معين وان يكن في اطلاعها على حقيقة نسب حماد امر يسرها . ام يخاطب جبلة بالامر لعله يشير عليه او ينجو . ام يأم العراق فينزل المدائن ساعياً في الاثقال من كمرى . فلما فكر في مسيره الى هناك تهيّب لعلو بها يحول بينه وبين ذلك المرمى من العقبات فان الأكاسرة ذوو بطش ومنعة . فسار الى الدبر وقضى ليله ساهراً لعظم تأثره وهو يفكر في طريقة تهون عليه المشاكل

## الفصل الخامس والستون

### \* دولة الفرس \*

ما برحت الفرس من قديم الرمان تحت سلطة مملكة اشور حتى تولى هذه المملكة الملك سردنول في القرن الثامن قبل الميلاد وساء حكمونها وانشغل عن سياسة مملكتهم بمجالسة النساء واللبو على انواعه فابغضته الرعية وودت لتخلص منه فانتق كيران من قواده على اخراج الملك من بين يده وها ارباسيس قائد عسكر مادي وييليزيس قائد جند بابل فاتحدا على العصيان وحاربوا ملكهم فحصره في نينوى فلما أيقن باهلاك احرق قصصهما فيه من المال والناس وهو في جملتهم سنة ٧٦٠ ق م وهكذا انقضت مملكة اشور الاولى وقامت مملكة مادي وفارس وملكها ارباسيس وتولى الملوك من بعده وفهم العادلون والمدبرون او الجهلاء والظالمون ومن اشهرهم كورش العظيم صاحب الغزوات المشهورة فافتتح بابل وما بين النهرين وارمينيا وسوريا واسيا الصغرى وجانباً من بلاد العرب وتولى بعده ابنه كبير فتفتح مصر على زمن الملك اماسيس من فراغة مصر ثم تولى داربوس ومن جاء بعده ولم يحسنوا السياسة فتقهقرت المملكة واختلت احوالها . فلما ظهر اسكندر الاكبر في القرن الرابع قبل الميلاد طمع ببلاد فارس ففتحها وقهرها واستولى عليها ولكن عمر اسكندر لم يطل فمات واقتسم قواده مملكته فكانت بلاد فارس من نصيب سلوقس ولم يطل حكمه فغزا

الفرثيون بقيادة ارساسيس الاول وما زالت في حوزتهم خمسمائة سنة فانف الفرس من رضوخهم للنير الاجبي فناروا سنة ٢٢٦ م بقيادة رجل منهم اسمه اردشير فطرد الفرثيين وأسس دولة اشتهرت في التاريخ الفارسي هي الدولة الساسانية ومنهم كسرى انوشروان الملقب بالملك العادل وهو اعظمهم وصار لفظ كسرى لقباً لكل من ملك بعد منهم فعرفت دولتهم بالملوك الاكاسرة وكان مقام الاكاسرة في المدائن وهي مدينة عظيمة على ضفاف الفرات فيها قصر عظيم طار ذكره في الآفاق سمي الابوان ويعرف بابوان كسرى

وحكم ( انوشروان ) ٤٨ سنة وخلفه ابنة هرمز وكانت امه ابنة ملك النتر واستأذنه الحكيم بزرجمهر وكان وزيره فسارت الاحكام في ايام هذا الحكيم على مثال ما كانت في زمن انوشروان فلما توفي بزرجمهر انغمس هرمز في الشهوات واهمل شؤونه الملكة فعصاه الولاة وغزاه ملك النتر فنصق قائده اسمه بهرام كان آية في الدهاء والذكاء فطرد النتر من البلاد ثم تحول الى محاربة الرومانيين فوشى به بعض الفرثيين من البلاط الملوكي فآظفهر له هرمز بعض الاحقار فاستشاط بهرام غيظاً وجاهر بعصيان الملك وخلعه وولى بعد ابنة كسرى برويز وكان صبياً صغيراً تساعد على قتل ابيه ببعض اقربائه فلما خلص الحكم له طمع بهرام بالملك ففرّ برويز من وجهه واستجار بملك الرومانيين في ذلك العهد واسمه الامبراطور موريس فانجده ورد الملك اليه ففرّ بهرام الى بلاد النتر فاحسنوا وفادته ولكن الخيانة لحقته الى هناك فمات مسموماً

واستبد كسرى بـرويز بالحكم وقد عقد النية على صداقة الامبراطور موريس لانه هو الذي رد الملك اليه فبالغ في اكرام الرومانيين في بلاده فلما مات صديقه المذكور عاد الى مناة الروم فانثار عليهم حرباً عواناً فغزا بلاد الشام ودخل بيت المقدس فعثر هناك على الصليب الذي يقال ان السيد المسيح صلب عليه وكان في حفرة بصندوق من الذهب فحملة الى المدائن وكان بـرويز مع ذلك ملكاً خاملاً مترقاً منغمساً بالملاهي الى ما يفوق طور التصديق حتى قيل انه تزوج ١٢ الف امرأة واقتنى خمسين الف جواد وهو الذي جاءه كتاب صاحب الشريعة الاسلامية الغراء بدعوه فيه الى الاسلام

كالكتاب الذي جاء الامبراطور هرقل في بيت المقدس فاحتقر بروبز ذلك الكتاب واساء حاملة

ثم مالت بروبز ان علم بعزم الامبراطور هرقل على اكتساح بلاده ولم يقو على دفعه .  
فما زال هرقل هاجماً واهل انقري يفرون من امامه حتى وصل المدائن وبروبز لاه  
بقصر ونسائه فلما احس بقرب الخطر فر فتم عليه ابنة شيرويه فتقتله وحكم مكانه  
سنة ٦٢٩ م ولكنه لم يحكم طويلاً فخلعه سواء وسواه وفي سنة ٦٣٠ م تولى تحت مملكة  
الفرس فتاة من آل ساسان اسمها بوران دخت ابنة كسري بروبز وفي ايامها هم  
هرقل على المدائن واسترجع الصليب منها وحمله الى القسطنطينية وحكمت بعدها اختها  
آزرميدخت سنة ٦٣٢ م ( ٥١٠ هـ ) ، واشتهرت بالجمال والنعل وماتت مسمومة  
ولما قصة يطول شرحها وملك بعدها ملكان لم يطل حكمها واُخبراً افضى الملك  
الى بزدجرد بن شهريار بن كسري وفي ايامه فتح العرب بلاد فارس

## الفصل السادس والستون

### \* المدائن \*

في عاصمة اكاسرة الفرس ويسمى اليونان كتي سيفون ويسمىها الطبري طيسيون والغالب ان كتي سيفون قسم من المدائن وكانت على مسافة عشرين ميلاً من  
بغداد جنوباً على الضفة الشرقية لدجلة يقابلها في الغرب بلدة اها كوش<sup>(١)</sup> يعتبرها  
بعضهم من ضواحي كتي سيفون بينها جسر عظيم مبني من اسفن وكان يجوار ذلك  
المكان ايضاً اثار مدينة يونانية اسمها سلوقية نسبة الى سلوقوس خليفة الاسكندر هناك  
وقد سميت هذه الاماكن بجملة المدائن<sup>(٢)</sup> ( جمع مدينة ) . واصل بناء المدائن  
انه كان في مكانها حصن كبير يسمى حصن كتي سيفون كان البرطيون ( الفريثيون ) ابان  
سلطانهم على العراق يقيمون فيوائنا الشتاء لصفاء الجو وهناك وكان يجوار الحصن

(١) جينس (٢) المعجم

مدينة سلوقية الذهبية ثم أخذوا يبنون حول الحصن المنازل والمخدات فلم يأت تاريخ الميلاد المسيحي حتى بنيت هناك مدينة سميّت باسم الحصن<sup>(١)</sup> كما جرت العادة في مثل هذه الحال وظلت المدائن مقام الأكاسرة في زمن الفناء . وكانت محاطة بسور منيع عليه الابراج والفلاع يزيد مناعة مياه دجلة من جهة والآجام والمستنقعات من الجهات الأخرى فاصبحت المدائن جزيرة في وسط المياه يستحيل وصول الأعداء إليها قبل أن تغرقهم نبال الفرس من الأسوار وقد كان بين دجلة والفرات جنوبي المدائن قناة موصلة بينهما اسمها نهر ملكا ومعناها بالكلدانية نهر الملك تسهل نقل السفن بين النهرين<sup>(٢)</sup>

وكان على ساحل المدائن عند دجلة سلم ممتد بطول الضفة يصعد عليه الناس من النهر إلى المدينة بدرجات متباعدة مبنية من الحجر ويسمى هذا السلم باصطلاح اهل تلك البلاد « منانة »

وترسو عند المنانة سفن الفرس ثبات والوفاء حتى تخال سواربها غابة من الأعمدة تناطح السحاب والناس فيها جماعات يتزاحون بين صاعد ونازل وشكل السفن يذهب شكلها في العراق الآن فانها مبنورة المؤخر كأنها قطعت بسكين قطعاً عامودياً فصارت عريضة ملساء وإما مقدمها فإلى يصعد مستندقار ويداً ويداً حتى إذا انتهى إلى أعلاه انحنى على نفسه نحو السفينة على شكل الخجل فتخال تلك السفن إذا تحاذت متلاصقة عند المنانة وقد ادبرت مفادبها نحو المدينة انها سيوف عفاة يحملها جند من الحرس يحملون المدائن

ولو اطللت على المدائن من مرتفع في ذلك العهد لخليل لك انها غوطة فيها البساتين والنفارس بينها القصور والمنازل مبنية من الآجر وقد قام في وسطها الأبنان كأنه ملك شغيم الشان تحف بالخدم والإعوان



## الفصل السابع والستون

### \* ايوان كسرى \*

هو قصر باذخ يسمونه ايضاً الطاق جرى اسمه على السنة العرب بأقلامهم مجرى الامثال بالعظمة والغمامة حتى عدوه من المباني العجيبة بناء سابور ذو الاكتاف وهو سابور بن هرمز<sup>(١)</sup> في القرن الرابع لليلاد<sup>(٢)</sup> لكنه يعرف باسم ايوان كسرى انوشروان . قضى سابور في بنائه نيماً وعشرين سنة<sup>(٣)</sup> اقامه في وسط المدائن على مقربة من دجلة بحيث لا يجول بين الايوان والنهر الا الحدائق والسماتين تنهي عند الضفة بالمسناة المنقدهم ذكرها ويحيط بالايمان جملة حديقة واسعة فيها الاغراس والازهار والرياحين والشجر من الازدرخت والليمون وغيرها . ويحيط بالحديقة سور مبني من الآجر له ابواب عليها الحرس بقلائسهم وانراسهم ورماحهم وفوق الابواب رسوم فارسية منقوشة طبعاً على الطين وهو في كما كان يفعل الاشوريون في آثارهم<sup>(٤)</sup> . وعلى جانبي الباب الاكبر المطل على المدينة تماثلان كبيران يمثلان الثور الاشوري المتجحف برأس انسان طويل اللحية متوج الرأس<sup>(٥)</sup> وفي زاوية من زوايا الحديقة بناء الافيال وفيه بعض الفيلة المربعة اركوب الاكاسرة . وبين ابواب الحديقة والايوان طرقات مرصفة بالحصى المائماً على شكل الفسيفساء يتألف من ترتيبها بعضها بازاء بعض رسوم تمثل اموداً وادميين وفرماناً ومركبات عليها الملوك والقواد يمدون في صيد الاسود نقيب رسوم ملوك اشور اسلاف الفرس ما بين النهرين واكثر تلك الطرقات واوسعها طريق ممتد من الباب الكبير الى باب الايوان بصطف الى جانبيه الحرس عند دخول كسرى الى الايوان

واما بناء الايوان فعباره عن قاعة كبيرة طولها مئة ذراع وعرضها خمسون<sup>(٦)</sup> مبنية بالآجر والحصى سقفها عقد واحد قائمة على عمد من الرخام المنقوش وباعد الى ارض الايوان بدرجات عند بابو . وفي صدره عرش مرصع بالذهب والحجارة الكريمة

( ١ ) الابشيهي بالمستطرف ( ٢ ) ابو القداء ( ٣ ) الابشيهي ( ٤ ) رولسن

( ٥ ) انسيكلويدا الكسندر ( ٦ ) الابشيهي

يأس عليه كسرى نعلوه قبة مرصعة وفي داخلها مروحة من ريش النعام وإلى جانبي العرش  
مجالس اعدائهم ومراريتهم وجدران الابلوان وسقفة مزينة برسوم بديعة في جملتها صورة  
كزرى انوشروان وغنم من الاكاسرة العظام وايات من شعر مكتوب بالحرف  
الكوفي الذي كان يكتب به الفرس قبل الاسلام وفي سقف الطاق رسوم الافلاك  
والايراج والنجوم من ذهب منزلة في قبة زرقاء

وكان للابلوان شرفات مزخرفة بالنقوش تشرف على الجهات الاربع قائمة على  
اعمدة يتألف من صفوها رواق يحيط بالطاق من جهات الاربع طول الشرفة الواحدة  
خمس عشرة ذراعاً وقد ادخل في بناء الابلوان من الذهب ما ربما زادت قيمته  
على مليون دينار<sup>(١)</sup>

وباب الطاق كبير نقش على عتبة العليا رسم الشمس مذهبة وإلى كل من  
جانبي ابواب تمثال اسد كانه يمشي وعينه تملأان والاسدان مصنوعان من الرخام  
ممليان بالذهب وفي موضع العينين منها زمردات زرقاء بديعة الشكل ولما عتبة  
السفلى فمستوية من الرخام المرمرة ولا يخلو باب الابلوان من عشرات من الحرس ولا  
يخلو من اسر الاكاسرة من مئات من العلماء<sup>(٢)</sup> بين كاهن وساحر ومجسم ويسمى  
الطبري الحزاة فضلاً عن الحجاب والحراس والبطانين

هذه كانت حال الابلوان عند ظهور الاسلام في القرن السابع للميلاد

## الفصل الثامن والستون

❖ أنس أم جان ❖

فلندع كسرى وابانته ولندع الى حماد وهما جسا فقد تركناه في دبر بحيرة غارقاً  
في ليجج الافكار تتأذف العوازل بين المسير الى العراق او البقاء في البقاء وكلا  
الامر بن شاق وكلا تصور مسير الى مدائن كسرى هالة موفقة موقف الخصم امام ملك  
الدرس وعظم عليه الانتقام منه وهو فرد وذاك سلطان ينصع الجند والاعوان ولم يكن

ذلك ليهولة أو يكبر عليه لولا امر هند وتأجيل الاقتران ولقد كان مبالاً كل الميل لاطلاع هند على ما كشف له من نسو مع ما جد من امر التأجيل لهرى ما يبدو منها ومن والدها ولكنه تربص ريثما يتخذ الى ذلك سبيلاً لا تقياً . فلما تلبدت عليه المشاغل وضاق صدره خرج من غرفته ولم يعلم عبد الله ولا سلمان بخروجه وسار يلتمس منفرداً يخلفوه بنفسه لعله يتوفى الى رأي يخفف قلقة . وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل فلاحته لهُ اكنة على بضعة اميال منه فركب وسار نحوها وفيما هو في الطريق غاب وجدانه بما اجتذب انتباهه من المشاغل فصار الجهاد حثيثاً وحمداً لا يعلم فلم ينتبه الا وهو في سفح جبل فالتفت الى الورا فاذا بىصرى والدبر قد غابا عن بصره ونظر الى الشمس فراها مائلة نحو المغرب فوقف يفكر في ماذا يفعل أيعود الى بصرى حالاً أم يجاس هناك هنيهة فنظر الى ما حوله فاذا هو في واد بين جبلين اجردين كسائر جبال حوران<sup>(١)</sup> فترجل وقاد جواده صعداً يلتمس قمة احد الجبلين لعله يشرف منها على بصرى فيعرف جهتها منه ومنى عاد اليها آمن الضياع وفيما هو صاعد حانت منه النفاتة الى الجبل المقابل فرأى كهفاً مختمة يد الطبيعة في سفح ذلك الجبل ولاح له شبح يتلصص بين الصخور هينهة بين الآدمية والوحشية لطول شعره وعريه فوقف حماد ينظر الى ما يبدو منه فما لبث ان رآه يهول نحو الكهف حتى دخله وتطارى

قال حماد الى استطلاع حقيقة ذلك الشبح وتحول نحو الكهف بقود الفرس وهو لا يسمع في ذلك المكان صوتاً غير صوت وقع اقدامه وقرقرة حوافر جواده تدوي في انحاء ذلك الوادي وبخيل الدوي طمطنة حجارة تندرج من مواقع حوافر الفرس متموجة بصوت صهيله . فنزل الوادي ثم هم بالصعود حتى اذا صار على مقربة من الكهف رأى صخراً يتدحرج نازلاً نحو فتحول من طريقه وعلم انه انما دحرج من الكهف عليه فلم يبال ولكنه ازداد مبالاً الى معرفة ذلك الشبح فما زال صاعداً حتى دنا من الكهف فاذا بصخر آخر يتدحرج فنادى باعلى صوته « لا ترمننا الحجارة فلسنا براجعين من هذا المكان قبل الوصول اليه » فردد الوادي صدى كلامه اضعافاً فتهيب من موقفه وزاده تهيبة قرب غروب الشمس واختلاط الاظلال حتى كادت تحول الى ظلام فدفعر

اذ ذلك انه أساء عملاً بهجئوه الى ذلك المكان الموعر مع ما آتته من الوحشة والمقاومة  
ولكنه تجلد وتعمد سلاحه فاذا هو مقلد الحسام والخجرجم ما لبث ان وصل الى باب  
الكهف فظهرت له مغارة لا يرى آخرها لعمقها ولا يستطيع الدخول اليها والفرس  
معه فوقف وحده يصير الى الداخل لعله يرى احداً فلم يقع نظره على شيء حتى فصاح  
قائلاً « من يقب في هذا الكهف فليخرج الينا لاننا غير مغولين عنه قبل ان نراه ولا  
خوف عليه » قال ذلك وهو يكاد يرتعش رهبة لسكون الطبيعة سكوتاً لا يتخلله نغريد  
طائر ولا تنفثه ضفدع ولا خرير ماء ولا هبوب هواء ولا صوت آخر حتى اوجامد  
غير صهيل الفرس ووقع حوافره . فهم حماد بشد الجهاد الى الصخر والدخول الى المغارة  
بنفسه وفيما هو يمشي بذلك ظهر له شبح خارج من ظلمة ذلك الكهف لا يسمع لاقداؤه  
وقع فثبت حماد قدمه وتحنن للدفاع اذا اقتضت الحال . فلم يكذب فعل حتى وصل  
ذلك الشبح اليه فاذا هو رجل عار يكسوه شعر رأسه المسترسل الى قدميه وقد تمكن  
به الشوب فايض على أن الكبر لم يغير شيئاً من اعتدال قامته ورشاقة حركته وحدة  
بصره وإن يكن جلد وجهه قد تجعد وشعر حاجبيه وشاربيه قد طال وشعر صدره  
اصبح لغضو وبياضو كأنه زبد الصابون . وطالت اظافر يديه ورجليه حتى التفت  
على نفسها

فلم يكذب يقع نظر حماد عليه حتى هاب منظره ولو لم ير في يده صليبا كبيرا لمخل  
له انه من مردة الحان ولكنه ادرك لأول وقلة ان الرجل ناسك من نساك تلك  
الايام انقطع عن العالم واوي الى الكهوف التماساً للعبادة وكان قد سمع بكرامة  
هؤلاء وصدق نظرم في عواقب الامور فلاح له ان يخاطبه في ما هو فيه ويستشير  
في امره لعله يخفف شيئاً من قلقه فنقدم نحوه باحترام وهم بتقبيل الصليب في يده  
فادناه من فوقه فثبته ثم خاطب الناسك قائلاً « الملك ناسك مقيم في هذا المكان »  
فاجابه الناسك بجني الرأي ان « نعم » فقال هل تأذن لي بمجادنة ابنتك فيها بعض  
ما في ضميري على سبيل الاعتراف فتشير علي بما يوحى به اليك الروح القدس  
فاجاب الناسك بالاشارة انه لا يستطيع التكلم الآن لان من شروط نمكه ان  
يصمت اسبوعاً وينطق اسبوعاً وإن آخر اسبوع الصمت ينتهي الليلة فاذا جاء في  
الغد خاطبة . وكان النفسك شائعاً في تلك الايام والنساك انواع منهم من يندر الصمت

طول الحياة او بعضها ومنهم من ينذر العري او الجوع او المهر اياماً ومنهم من ينذر المعيشة على عشب الارض وهؤلاء فئة كبيرة كانت بين النهر بن سموا « الناساك الرعاة » فيقيمون في المغرب والكهوف المظلمة (١)

وكان ناسك حوران هذا ممن نذر الصمت اسبوعاً فسرَّ حماد بتاجيل المفايلة خوفاً من البناء هناك تلك الليلة ثم لا يعرف طريقة في عودته لشدَّة الظلام . فقال له الا آتي اليك معي بطعام او نحوه من بصرى فاجاب ( لا ) لانه من الناساك الرعاة الذين يعيشون على عشب الارض

فقال له ولكنني أرى الارض هنا مجربة لا عشب فيها  
فاشار الناسك بيده الى مكان وراء ذلك الجبل فيه مرعى .  
فسأله عن سبب رعيه بالحجارة وهو صاعد . فاجابه لعلوا انه لا يستطيع محاطبة قبل انقضاء اسبوع الصمت

فقال حماد وابن الطريق الى دير بجبراء فدله على طريق سهل غير الذي جاء منه فودعه وقبَّل الصليب وعاد وجواده وراءه حتى وصل الى الطريق فركب وسار قاصداً الدير فرأى عبد الله وسلمان ينتظرانه في الغرفة وقد قلفوا لغيابهم على غير موعت فقال له عبد الله لقد شغلت بالنا بغيا بك على غير انتظار

فلم يثنأ حماد اطلاقهم على ما اتفق له في ذلك اليوم رغبة منه في كفائهم ريثما يسمع كلام الناسك فيظلمهم على الحكاية كلها

فقال لهم خرجت على فسي فسرت ببغاع لم اكن اعرفها فاحطأت الطريق في رجوعي فطال لي المسير

فقال عبد الله وما الذي حملك على الركوب متعمداً . فكبر عليه الاقرار بقلبه وتهيبه من الامر فقال خرجت لترويح النفس

فادرك عبد الله حاله تماماً ولم يثنأ ان يشط عزمه ولا ان يزيد قلعه خوفاً عليه من اليأس فقال له ارى سهدي في اهتمام وقلبي وما في الامر ما يدعو الى ذلك ولا نحن في سرعة او ضجر

فظل حماد صامتا مفكراً فادرك سلمان ان في نفس حماد كلاماً ربما لا يريد

النصر يوحى على مسمع منه فنظاها بامر يهبة خارجاً وترك الغرفة فلما خلا عبد الله وحماد قال عبد الله ما بال سيدي لا يبع بسر السمت شريكك في أمرك قال بلى بل انت بمنزلة والدي ولا اخني عنك شيئاً فاني في قلق وارتياب واراني في حاجة الى من يفرج كربتي برأي او مشورة ومساءلنا في ما تعلم من الدقة والخطر فقال عبد الله هلم بنا الى الراهب الشيخ الذي شاركناه في سرنا لعله يشير علينا بما يفرج كربتنا

قال هلم بنا اليه

وخرجا حتى اتيا غرفته فدخلوا عليه وكان متكئاً فجلس ورحب بهما فجلسا ثم قال عبد الله انك بامولاي شريكنا في سرنا وعالم بما في ضميرنا فهل تشير علينا بما يخفف عنا

فقال الراهب ان المسألة في غاية الدقة والمشفقة وقد ادركت عظمها منذ سمعتها ولا ادري بماذا اشير . قال ذلك وسكت برهة يفكر ثم هب من مجلسه بغتة وقال أرى ان نذهب الى ناسك حوران فانه بقيم في كهف على مقربة من هذا المكان فعساه ان يشير علينا مشورة خير

فبغت حماد عند سماعه اسم الناسك وقال هل نظنة قادراً على ذلك

قال نعم باسيدي انه ممن اوتي علماً وكرامة فلا تجلو مشورته من فائدة

فقال عبد الله لحما وهل عرفته قبل الآن

فقال اعترف لك اني وصلت اليه اليوم بطريق الاتفاق وخاطبته فاجابني باشارة يدويه لا يستطيع التكلم الا في صباح الغد لانه ممن نذرنا السكوت اسبوعاً والكلام اسبوعاً

فقال عبد الله فلنذهب اليه غداً ان شاء الله فهل ترافقنا يا حضرة الاب المحترم

الى مغارتو

فقال الراهب يا هذا لو استطعت المسير اليه معكما ولكنني شيخ لا اقوس على المشي ولا الركوب والطريق وعزّ فسيرا اليه بحراسة الله ودعوني اقيم هنا اصلي وانصرع اليه تعالى ان يسهل سبيلكما فودعاه وخرجا

## الفصل التاسع والستون

## \* ناسك حوران \*

واصبح حماد وعبد الله في الغد فقال حماد لا نصطحب سلمان في مسيرنا الى الناسك  
قال عبد الله لا ارى ما يبع ذلك وسلمان كما تعلم اكثر غيرة علينا من غيرة  
احدنا على الآخر ولا اخلنا نستغني عنه في ما نحن فيه ولا يلبق بنا وقد صحبناه اعطانا  
خدمنا بها خدمات حمة ان نخفي عنه امرنا نهربو

قال حماد ذلك ما اراه . وبعثا اليه فصحبا وخرجوا في الصباح على افراسهم  
وحامد دليلهم حتى اقتربوا من الجبل واطلوا على الكهف فقال حماد هذا هو الكهف  
وكأنني ارى الناسك في انتظارنا عند بابو

فنظر عبد الله حتى اذا وقع نظره على الناسك تهيب من منظره عن بعد وصعدوا  
فلما دنوا من الكهف تحفز الناسك لملاقائهم وكانوا قد ترجلوا ومشطوا نحوه فقال اهلاً  
بكم ومرحباً واخذ يتفرس فيهم واحداً واحداً بعينين براقبتين تحت حاجبين بارزين  
بروز الطيف حتى يخال لك ان العينين في حفرتين عميقتين

فقال حماد مرحباً بك ايها المتعب الذي لقد جئناك عملاً بوعدك وهذا والدي  
( وأشار الى عبد الله ) وهذا صديقي ( وأشار الى سلمان )

وتقدموا جميعاً وعبد الله ينظر الى وجه الناسك كأنه يعرف وجهها مثله  
وكان الناسك مشتغلاً في اعداد احجار يجلسون عليها وهو يحضر امامهم عارياً وشعره  
مستتر على بطنه بعضه فغلب عليهم الحياء فلم يستطيعوا النظر اليه الا خلسة  
فلما اعدوا الحجارة تقدموا اليه وقبلوا يده فباركهم وجلسوا . اما هو فجثا على التراب  
سجوا المسترجع وجمع شعر رأسه ولحيته في صدره الى حنجرته واخذ يرحب بهم ويعتذر  
لعدم امكانه القيام بحضرتهم

فقال عبد الله لقد جئناك لنتمس بركة لا ترحاباً فقد بلغنا أهلك من رجال الله

الخنارين فنظر منك تغنيانا عن اثاث النصور . قال ذلك وهو ينعم النظر فيه لعلة  
بذكر الوجه الذي يشبهه

فقال الناسك اني احقر عباد الله فاشكر لحسن ظنكم بي وما تكبدتموه من  
المخقة في زيارتي فابسطوا ماني انفسكم ليلي استطاع بهذبة الله ان اخذكم خدمة  
لجك تعالى

فقال عبد الله اننا من الطائفة النصرانية الذين يعنفون بكرامة الناسك عباد  
الله ونعنفهم بنطقهم بوحى منه تعالى وقد جئنا لنطالعك على سر لم يطعم عليه  
احد سوا ما وراهب منيم في دهر بجهراء . والسر ذو خطر يستلزم اصغارا وكتانا ونحن  
معاشر النصاري نعلم خطارة سر الاعتراف وما فيه مما يدعو الى الذمة الدامة بامثالكم  
فقال الناسك قل يا ولدي ولا تخف

فالنت عبد الله يمينا وشمالا كأنه يحاذر ان يسمعه احد وقال بظهر لي انك  
من اهل العراق

قال الناسك لقد اصبحت المرمي نعم اني من اولئك . وما الذي دللك على ذلك  
قال دلي عليه ملامح وجهك ونوع تعبدك فقد قيل لي انك من الناسك الرعاة  
وم كثيرون في العراق<sup>(١)</sup>

قال نعم يا ولدي اني كما قلت

قال فوا بحالة هك قل لي هل تعرف الملك النعمان بن المنذر  
فلم يكذب عبد الله ينطق باسم النعمان حتى ظهرت البغنة على وجه الناسك وابتقت  
عونه واقطب حاجاه واجاب وهو يشرأب بعنفه ويحذق بعينه « نعم اعرفه »  
فعجب عبد الله لتلك المظاهر ولكنه تجاهل وقال هل تعرفه معرفة جيدة ام نسمع  
باسمه واخباره فقط

فقال الناسك ( ويدك في الحنو وشطها باصابعه ) لا بل اعرفه كما تعرف ولدك هذا  
فلم ذلك بصوت مخنق حتى خجل لم انه يكي

فقال عبد الله اراك باسيدي قد اهتمت لحكايتنا من اول كلمة قلناها  
فتنهد الناسك ويدك الى عينيه ومسح بها دموعه وقال انت ذكرى الملك النعمان

تمجج اشجاني وتفتت كبدي فهل بهمكم من امر ما فني ام جاء ذكرٌ على لسانكم عرضاً  
قال بل هو محور حكمتنا ومرجع سرتنا رحمه الله  
وكان حماد وسلمان شاخصين يعجبان لما يبدون الناسك وعبد الله يزداد  
استئناساً بطلعهما ولكنه لم يدرك ما الذي يدعوه الى ذلك  
فقال الناسك قل ما غفلة عن النعمان التي ارتاح الى ذكره ولكنني اناسف لتذكركي  
عافية امر

فقال عبد الله اذا كان النعمان بهمك الى هذا الحد فانظر الى هذا القاب وقال  
لما هل تعرفه ( و اشار الى حماد )

فمسح الناسك عينه ونظر الى حماد وجعل يتفرد فيه ولم يكلمه حتى صاح  
باعلي صوتي «<sup>(١)</sup> انه ابن النعمان لا شك فيه » وهم يرضونه واخذ يقبله  
فحننت قلوبهم وبكوا جميعاً والناسك ضام حماد الى صدره يقبله ويبكي  
فازداد عبد الله استغراباً للامر وقال للناسك لقد اذعننا بما بدا منك فكيف  
تقول انه ابن النعمان وقد كان النعمان ابرش احمر<sup>(٢)</sup> وهذا امر ادعج  
قال لا عير في ذلك فان ملائح النعمان قد تمثلت فيه وهو الرجل الذي رغبت  
عن العالم وانقطعت الى هذه الجبال من اجله  
فبهتوا لهذا القول ولم ينهموا مغزاه فاراد عبد الله ان يستطلع حقيقة الخبر فقال  
وهل تعرف الذي يكلمك

فنظر الى عبد الله نظراً متأملاً وقال العلك صديق الملك النعمان وشريكه في  
مصايبه « شعون المحيري » وكان هذا اسم عبد الله المعروف به اذ ذاك  
فاندلج جميعاً وخصوصاً عبد الله فانه اعاد نظره الى الناسك وازداد استئناساً  
به ولكنه لم يذكر كيف عرفه فقال اما وقد علمنا انك شريكنا في الامر فاخبرنا من  
انت وفرج كربتنا

فصعد الناسك الزفرات وقال اما انا فاني النفس الذي ارتد النعمان الى الصراية  
على يد<sup>(٣)</sup> بعد ان كان اسلافه قد نبذوها وعادوا الى الوثنية او المجوسية  
ديانة الفرس

فاتيه عبد الله من غفلته كأنه افاق من رقاد وقال العلك النفس بعنوب  
قال نعم وقد كنت متيقاً في دير هند الكبرى المنسوب الى هند بنت الحارث بن  
عمر بن حجر آكل المرار وهو في ظاهر الحيرة وكانت هند هناك تعلمون قد تهربت  
فوقسي باسمها <sup>(١)</sup> ولكنني كنت اخائف الى النعمان كثيراً وبطلعتني على اسراره حتى  
كان ما كان من امر سجنه في خائفين فدرجت الحيرة وسرت الى هناك وجعلت اتردد  
اليه في السجن . ألا تذكر انك كنت تراني هناك  
قال اذكر ذلك جهداً وما زلت منذ رأيك الآن وأنا في افكر فيه . ثم هم عبد الله  
يو ونعناقا وهما بيكيان اما الناسك فحول نحو حماد وضمة وجعل بقبلة ويكي وهو  
يقول احد الله اني رأيك قبل موتي  
وليطلب برهة صامتة وكل بيكي ويسح دموعه بكو ألا الناسك فقد كان يسح  
بيطن كنه

ثم قال عبد الله اقص علينا بقية الخبر يا حضرة النفس المحترمة  
قال كنت اتردد اليه في السجن اصلي له واباركة وادعوه له وكان كلما اجتمعت  
به يقول ولا هنام ظاهر على وجهه « لذي سرّاً طلعك عليه في فرصة أخرى »  
فاهتمت لمعرفة ذلك السرو كنت اتوقع ساعه في كل زيارة وهو يسوقه وكنت  
كلما سرت اليه رأيته وعجبت لدهاءته وغبرته عليه . فسألته عنك يوماً فقال  
انك مستودع اسراره وأنه يثق فيك وثوقاً تاماً . وما زلت اخائف اليه حتى اصيب  
بمرض ظنوه الطاعون ولا اظنه اياه . فزرتة ولم تكن انت ساعته هناك فقال لي  
اراني لن انقذ من مرضي هذا واعمل القضاء سبعاً لاني واخاف ان لا املك فرصة  
اخاطبك بها . فقلت قل يا سيدي ولعل الله شافك باذن وبركة الله . ثم بكى  
وبكى ( قال الناسك ذلك وخففته العبرات والجميع سكوت بصغون الى خبث  
يتناولون باعنائهم . ويحدقون بابصارهم في شفته وهما ترخفان من شدة التأثر )  
فصكت الناسك برهة ريثما استرجع قواه . ثم قال فامسكني النعمان رحمه الله يدي  
وادناني منه واسر الى امرأ خطيراً قال انه اسره اليك ولا ادري هل يجوز لي  
اللتظ به وهو سر الاعراف

فقال عبد الله لقد قلت اني عارف بك فلم بعد من قيل سر الاعتراف وقد اطلعت ابنة ورفيقنا هذا عليه

فقال الناسك اما والحال على ما نقول فاخبركم انه ادنا في منة وهو جالس على فراشه في ذلك السجن وقال « اني سأقضي نجي هنا ظلماً من قوم لا يعرفون الله ولا يشفقون على انسان وسأترك اهلي واولادي بدون ان اراهم واودعهم واني عالم ان سلطان الحبشة سيجرح من بني لحم بعد موتي فاسررت الى شعون ان يرني ولدآلي لم يولد بعد وان بكنتم نسبة عنه حتى يبلغ العشرين من عمر فتبص شعون في دير بجيرة ثم يطلعه على حقيقة نسبه قال واعترف لك اني حرصت على ان يتقم لي من دولة النرس » قال الناسك فلما سمعت كلامه اقتصر بدني واستعدت بالله من ذلك كله وقلت « يا سيدي الملك اراك تستعمل الاجل وليس ما يدعو الى قربه واما الانتقام فاتركه الى الله سبحانه وتعالى وهو الديان العظيم » فاجابني والدموع تخفة « لقد قضى الامر يا أبناه وعهدت بذلك ولا ارى الرجوع عنه والله ينضي بما يشاء » قال النعمان ذلك واختلج صوته وارتمدت فرائضه ثم غاب صوابه وفيا نحن في ذلك جاء السجان يشدد النكير على من يدخل الى النعمان فخرجت ولم اعد اراه ثم ما لبثت ان سمعت بانتهاله الى دار البقاء ( قال الناسك ذلك وتهد ) وعلمت واحسرتها عليه انه لم يمت بخاتمين بل نقلوه الى سابطات فيها <sup>(١)</sup>

فلما سمعت ذلك كرهت الدنيا وتحففت فناءها وزدت زهداً فيها فاتخأت الى النسك واختارت منه اكبر زهداً وهو هذا الذي أنا فيه اعيش على نبات الارض وامكنت عارباً كما ترون وكنت متبياً في العراق مع رفاق كثيرين من الرهبان وذكر النعمان لم يبرح من ذهني يوماً واحداً وصورته نصب عيني وهو على ذلك الفراش في خائنين وما زلت اردد كلامه الاخيرة فاحببت الاطلاع على ما فعلته انت من هذا التبيل فلم اعرف مقامك ولما مضت بضع عشرة سنة من وفاتي ولم ارك ولا عرفت منك قلت لعلك تنيم في البقاء بالقرب من دير بجيرة لأجل وفاء النذر عند حلول الميعاد . فجئت واقتفيت في هذا الكهف وفي نفسي شيء اريد ان اطلعك عليه فلم اسمع عنكم خبراً ولا انا استطعت البحث لانهقطاعي عن الناس فضلاً عن اني لم اكن اعرف

اسك الحديد فكنت اتوقع ان اسع خبراً عن شمعون المحبري فلم اسع هذا الاسم قط

## الفصل السبعون

### \* انذر القاتل بالقتل \*

قال عبد الله وما الذي في نفسك وتريد ان تظلمني عليه . قال هو خبر يتعلق بوصية النعمان لك ولا بد فاحك لي ما تم معك من قبيل النذر هل وفيته واطلعت هذا الملك على حقيقة نسو قال عبد الله نعم يا مولاي لقد وفيته النذر بعد مبعاده . واحكي له القصة من اولها الى آخرها حتى آتي على . يب عبيتهم اليه فقال وقد جئنا اليك لهظم ما قام في نفس مولانا الملك من الاهتمام في امر الانتقام فنلنا نطلع ناسك حوران على هذا السر لعله يشهر علينا مشورة تخفف ما بنا . او تهدينا . بهيلاً مستغنياً فقال الاسبك لقد وقعتم على خبر وان في بقية قصتي ما يفرج عنكم كل كرب ان شاء الله

فاستبشر عبد الله وحامد ولمان بانفراج الازمة وسرطو لندوهم على هذا الناسك فقال عبد الله اخبرنا ببقية قصتك بورك فيك

قال كنت لفرط اهتمامي في امر الملك النعمان وامر وصيته وما تتضمنه من المحث على الانتقام لا ابرح افكر في هذا الامر نهائياً واحلم به ليلاً حتى استيقظت ذات صباح والانس يهدثون بامر كسرى بروبز قاتل النعمان . وان ابنه شهروه نأمر عليه وتجنه فقلت في نفسي هذه عاقبة القوم الظالمين . ثم مالبت ان سمعت بانة قتله (١) فاعتبرت بمكدة الله سبحانه وتعالى وشعرت براحة فبت ليلة ذلك الخبر واما هادس في عاقبة الظالمين وقول القاتل « وانذر القاتل بالقتل » . فرأيت في منامي كأن الملك النعمان قادم الي بلباس ناصع البياض ووجهه منير باسم فخذمت لروتيه على هذه الصورة

ثم سمعته يقول « لا تعجب يا يعقوب لمقتل برويز الجوسي فقد أعدت له الله ما هو اعظم من ذلك ليعتبر النعم الظالمون »  
فقلت وقد بهرتي نور وجهه فاطرقت « وماذا عسى ان يكون اعظم من الموت فعلاً بسيف البنين »

فقال لي « سوف ترى وكل آت قريب » فرفعت نظري لاراه فغاب عن بصري واستهبطت من منامي مدعوراً ولم تنض بضعة سنوات حتى وقع في سلالة برويز ما لم نسمع بمثله في غابر الازمان . اتدرون ما هو قال عبد الله وماذا تعني

قال كان لبرويز هذا ثمانية عشر ولداً كلهم ذوو ادب وشجاعة ومروءة منهم شيرويه الذي تولى الملك بعده فوشى رجل اسمه فيروز لشيرويه على اخوته السبعة عشر فامر بقتلهم جميعاً <sup>(١)</sup> فقتلوا صبراً في ساحة الابيان وهو ينظر اليهم ولكن شيرويه لم يهدأ له بال بعد عمله هذا فان أخيه بوران وأزر مبدخت وبناته نويماً شديداً فبكي بكاء مراً وري بالتاج عن رأسه <sup>(٢)</sup> ولم يزل بقية ايامه مهوماً دنقاً ولا في المصائب الكبرى وفي جملتها طاعون فشا في بلاده فاباد من قدر عليه من اهل بيته <sup>(٣)</sup> واخيراً مات هو كئيباً حزيناً . فهل اشد وطأة من هذا الانتقام . وزارني ملاك النعمان بعد هذه المحادث وهو يضحك وامارات البشر ظاهرة على وجهه فهبمت بالوقوف للقاءه فدمعرت بنفسي ثقيلاً لا استطع النهوض فابتدرني هو قائلاً « لقد انتقم لي الله من برويز الجوسي فطابت نفسي وارى وصيتي لتولدي حملاً ثقيلاً على عاتقي فقد شعرت بضعف بني الانسان وعلمت الاصابة في قولك وانا في سجن خائفين » قال ذلك وتوارى عن بصري وانا راقد لا استطع حراكاً ثم استهبطت وصورة النعمان امام عيني وبكاد النور يبتقي من وجهه

فلما بلغ الناسك الى هذا الحد من حكايتي شعر كل من السامع من بانفراج الازمة وخصوصاً حماد فانه احس بحمل ثقل نزل عن ظهري اما سلمان فكان الى ذلك الحين صامئاً لم يفه بكلمة فلما فرغ الناسك من كلامه وقف سلمان وهم يبد الناسك فقبلها وقال لقد اتينا فرجاً من عبد الله ولكن فلو بنا

لا تفتني إلا بعمل نعمة على قهر أولئك الكفرة الغاشمين  
 فنظر الناسك اليه وتبسم تبسماً فلما تودده وقال ذلك أعمال الله يا ولدي وسنسمع  
 بذهاب دولة الفرس قريباً فلا يفتني ثم من تنقبون منه  
 فلم يفهموا مغزى كلامه فقال عبد الله هل تعني شيئاً محدوداً أوحى اليك ما في  
 سابق علم الله فإنكم معشر الناسك ذوو كرامة يفتح عليكم ما لا يفتح على سواكم  
 قال الناسك اشير إلى امر لا يحتاج إلى وحى أو كرامة بل هو ظاهر بينهم كل  
 عاقل . ألا ترى حال الدرس واختلال شؤونهم واضطراب أحوالهم حتى تولى على  
 كرسي ملك خمسة ملوك في خمس سنين<sup>(١)</sup> وكل يعمل على الاستئثار بالسلطة وإبادة  
 الآخرين وأضعفهم رأياً يزدجرد الذي يتولى الملك الآن وستزول دولة الفرس على يد  
 ناهيك عن ظلمهم وجورهم . ألا يدلكم ذلك على شيخوخة دولتهم وهرمها وقرب انقضاء  
 أجالها وللدول آجال كآجال الناس تمر في أحوار تنهي بالموت ودولة الدرس قد  
 بلغت شيخوختها ولا تلبث أن تنفضي وكذلك دولة الروم المحاكمة على هذه البلاد  
 قال عبد الله ولكن لا تنفضي إلا على يد دولة أخرى تقوم مقامها فمن سيخلف  
 هاتين الدولتين . قال أما سمعتم برويا الراهب بحبراء الذي كان يقيم في دبره هنا  
 قالوا « كلاً » الأحاد فأنه تذكر ما سمعته من الراهب الشيخ في تلك الجمعة يوم  
 جاءها الملافة هند هناك . فقال لي سمعت ذلك من الراهب الشيخ فقد أحكى لي مرة  
 أن بحبراء رأى في منامه فتى جميل المنظر مولد رُج الثور والزهره مع قران المثنوى  
 وزحل وعلم منه أنه هو الذي سيهدي أبناء جلدته بني اسماعيل ( وهم العرب ) إلى  
 معرفة الله وإن يبقوا أمرهم ويقتدوا بهم وتجنبهم كلمتهم فيذللون أبناء عمهم بني  
 سحاق ويملكون عليهم مدة توافق ما أشار اليه دانيال في نبوته وأنه يخرج من أولئك  
 العرب اثنا عشر دولة<sup>(٢)</sup> ليس ذلك ما نعتبه

قال الناسك هذا ما عنيته وأريد عليوان الرجل المنتظر قد ظهر في جزيرة  
 العرب ودعا الناس فيها إلى عبادة الله ونبذ الأوثان وقد فتح مكة وكسر أصنام  
 الكعبة وانتشر سلطانه في الحجاز واليمن وسيفتح الشام والعراق وهو الذي سيخلف  
 الدرس والروم في سلطانهما

فقال حماد لقد شامدنا فوته وسلطانة باعبتنا يوم فتح مكة وكانت يوماً  
مدهوداً ويظهر من رغبته في سبيل الله واستهلاك انصاره واصحابه في نصرته ان دولته  
ستغلب الدول كلها ان عاجلاً وان آجلاً

قال فاستم اذن في ما يدعوا الى تكبد الخطر في الانتقام من آكاسن الفرس وقد  
رأيت ان قاتل حبيبنا النعمان قُتل هو واولاده شر قتلة وسيتم العرب على دولتهم  
ان شاء الله

فوقع كلام الناسك على قلب حماد برداً وسلاماً فانراج باله من امر الانتقام  
المجمل وانصرف فكره الى هند وشعر بيل شديد الى رؤيتها وخاف ان تسيء الظن  
به اذا طال غيابه بعد يوم الغدائين وم في اليوم الثاني منه فتظاهر بيلو الى الانصراف  
فادرك عبدالله ذلك فقال للناسك انا ذن لنا بالذهاب على ان نغتنم الفرص في زيارتك  
حينئذ بعد حين وهل تطلب منا امراً نضيق لك

قال لا اريد من هذا العالم شيئاً فقد رأيت زهدي به ولم يكن في نفسي شيء  
غير رؤية ابن حبيبي النعمان لاقصص عليه ما اوتمنت عليه مما خاطبني به والذ في الحلم  
فاحمد الله على نيل بغتي فاذا مئت الآن فاني اتوسد قبره المين ناعم البال  
فقال عبدالله اطال الله بقاءك ونرجوان نراك كثيراً قال ذلك ونهض فنهضوا  
جميعاً وودعوا الناسك وانصرفوا على افراسهم وكان على رؤوسهم الطير

اما حماد فان ذهنة تفرغ للافتكار بهند واحسن برغبته في اطلاعها على خفيته  
نسبوا فلما وصلوا الى الديرموط بغرفة الراهب الشيخ فدخلوها ليطلعوه على ما دار  
بينهم وبين الناسك فلما انبأ بهما علموه من امره اطارق بئس بغرائب المحدثان ثم  
قال لقد خيل لي منذ رأيت هذا الناسك انه لم يغادر خضب العراق وبقم في هذه  
الجبال المحدبة الا لدافع دفعه الى ذلك وقد صدق ظني وبسررتي انه اطلعكم على ما  
خفف قلنكم وهوّن عليكم فما اتم في عجل للقيام بالوصية وقد كفناكم الله مؤنة ذلك  
اما ما قاله عن قوة المسلمين وعظم دولتهم حتى يخشى على الروم والفرس منها فقد ابديته  
المحدثات الجارية فان تلك الفرزمة من الحجازيين لم يكادوا يقومون بدعوتهم حتى  
ملأوا جزيرة العرب فتحاً وفتلاً فدانت لهم قبائل اليمن وعمان واليمامة ونجد وقد شهد

حماد وسلمان فتح مكة ورأيا بطش هؤلاء العرب وقوة جامعهم ولقد شهد من رأى  
حربهم في موقعة هنا انهم كانوا كفاح الاسود وصبروا على الحرب صبر الرجال ولكنها  
اول مرة لاقوا بها جند الروم ولم يكونوا في عدة كافية فلم يهزوا والظاهر ان وقعة  
موقعة كانت امثلة لهم علمتهم كيف نوكل الكنف حتى اذا رأوا في جندهم الكفاءة  
اعادوا الكنف ليس على الشام فقط بل على العراق ايضا

فقال عبدالله وهل دلت انهم حملوا على العراق  
قال نعم انهم حملوا عليه اذ لم يكن فوزهم بها تاماً فلا اقل من ان يؤذوا  
الفرس ويضيقوا عليهم

فقال حماد وكيف عرفت ذلك يا مولاي

قال اخبرني بذلك تاجر من اهل مكة تعودنا لقاءه هنا كل عام او عامين ولي  
معه صداقة ودالة فتدري من بضعة ايام واطلعتني على حوادث تلك الدولة بعد  
فتح مكة حتى الساعة فاذا هي ما يخبئنا على دولتي الروم والفرس وكنت اظنكم  
عالمين بها

قال عبدالله كلاً يا مولاي اننا غير عالمين بشيء من ذلك

قال الراهب اخبرني الذاجران اولئك المحجازيين بعد ان فتحوا مكة عادوا الى  
المدينة وانتقلوا جنداً منهم الى من بقي في جزيرة العرب لم يرضخ للاسلام فغزوا  
غزوات عدة فازوا بها كلها ومن اكر قوادهم رجل منهم يقال له خالد بن الوليد  
اتى بالمحجزات في حروبه حتى سماه النبي « سيف الله » ومنهم علي بن ابي طالب  
ابن عم النبي وهو بطل نجرب . وكذلك رجل شيخ من كبار مشيخهم اسمه عبدالله ابن  
ابي قحافة<sup>(١)</sup> لقبه بالصدق ويسى ابا بكر وهو حو الذي والد امرأته عائشة . ومنهم  
رجل آخر يندرمثالة في العالم بشدة البطش وصدق الغيرة على الحق اسمه عمر بن  
الخطاب وآخر اسمه عمرو بن العاص وغير هؤلاء جماعة كثيرة فمكن بذلك من  
اذلال قبائل العرب حتى انه لم يعد يحتاج في اذلالهم الى ارسال الرجال بل كانوا  
يندون عليه وفوداً يلتمسون الدخول في دينه عن رضى وطيبة خاطر<sup>(٢)</sup> فرأى  
الوقت اللازم لفتح الشام قد آن فجنّد جيشاً بقيادة رجل اسمه اسامة بن زيد وامره

ان يسهر الى فتح الدمام وفيها هو في ذلك وإفاء القدر فتوفي قبل مسير الجند ولكنه خالف ابطلاً قاموا بنصر دينه فتولى الخلافة بعده حمزة ابو بكر المتقدم ذكره وهو شيخ جليل القدر واخبرني التاجر ان المسلمين لما مات النبي اختلفوا في من يولونه الخلافة بعده لانهم قسمان قسم يقال لهم الانصار وقسم يقال لهم المهاجرون

فقال حماد وما معنى هذه الاحزاب هل هي مذاهب دينية كالتي عندنا

قال لا يا ولدي ان المهاجرين هم الذين هاجروا مع النبي من مكة الى المدينة يوم شدت اهل الكبر عليه هناك فتبعه من قريش اكثرهم غيرة عليه فسموا المهاجرين ولما انصار فيهم اهل المدينة الذين قاموا بصرتهم لما جاءهم مهاجراً فخاروا به معه فسموا الانصار . فكل من الانصار والمهاجرين يظن نفسه اولى بالخلافة فاختلفوا في من يتولوها حتى كادت تقوم بينهم فتنة . ويظن صاحبنا التاجر المكي ان الفضل في فض هذا المشكل لأحد المهاجرين عمر بن الخطاب وقد ذكرته لكم الآن فهو الذي توسط في الأمر وباع أباً بكر فباعه الناس احتراماً له او خوفاً منه فصارت الخلافة في المهاجرين وهم من قبيلة النبي ( قريش ) فخليفة المسلمين الآن ابو بكر الصديق هذا (١)

فلما توفي النبي تغيرت قلوب بعض أهل جزيرة العرب ممن اعتنقوا الاسلام في حياته فارتد كثير من منهم الى ما كانوا عليه من الصراية أو اليهودية أو غيرها فتهدد المسلمون لذلك فاجتمعوا واوعزوا الى أبي بكر ان يعدل عن ارسال الجند الى الشام لاحتياجهم اليهم في اقع المرتدين فأبى الا انفاذ ما أمر به النبي فارسل اسامة وجند الى الشام . وما أحكمه لي التاجر المكي حكايته وقعت لابي بكر هذا يستغربها كل من عاشر حكامنا من الروم أو الفرس

فقال عبدالله وما هي . قال الراهب أخبرني التاجر ان أباً بكر رافق ذلك الجند في خروجهم من المدينة وكان أسامة راكباً وابو بكر ماشياً فمجل اسامة من ذلك لأنه شاب وذاك شيخ فضلاً عن كونه رئيسه فتقدم اليه ان يشي هو وبركبا ابو بكر فأبى الا ان يشيعهم ماشياً وبذل ذلك على رغبة حكاهم في الخدمة لا الرئاسة وما أوصاهم بقيل عودته قوله « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغفلوا ولا تغفلوا ولا تقبلوا طلباً ولا شيئاً كبيراً ولا امرأة ولا تعفروا نخلاً او تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تدبحوا

شاة ولا يفر ولا يعبراً « هل سمعتم مثل ذلك من رؤسائنا لا انكر عليكم ان النصرانية تأمرنا بمثل ذلك ولكن حكمانا نبذوا الدين نبذ النواة وسبعود ذلك عليهم وبالأ . قال الراهب ذلك وقد أخذت الحمة منه مأخذاً عظيماً حتى ارتجف صوته وارتعشت لحيته ثم سكث

وكان عبدالله وحامد وسلمان متطاولين باعناقهم يسمعون حديث الراهب وقد زادهم تأثراً ما أنصروه من اهتمامه فقال عبدالله ان مثل هؤلاء لا بد من ان يغلبوا العالم ويفتعلوا الامصار فعماسهم ان يبدأوا بالعراق وينفذونا من دولة الفرس الظالمة فقال الراهب وقد تنفس الصعداء انك تسمى أمراً قد وقع فعلاً فان جيش اسامة هذا لم تطل غيبته ابلهوا ان الخليفة احوج الى نصرتهم في قتال اهل الردة مما يفتح الشام فعاد يجمعهم وانضم الى المسلمين في حروب اهل الردة . وما زاد الامر اشكالا اناس ادعوا النسوة منهم رجل اسمه اسود العنسي في اليمن فالتف حوله حزب كبير ورجل آخر اسمه طلحة الاسدي من بني اسد في نجد وآخر اسمه مسيلة في البصرة وآخر اسمه ذو الناج انبط بن مالك <sup>(١)</sup> وغيرهم من المؤمنين ودعاة الاحكام حتى لم يبق قبيلة من قبائل اليمن وحضرموت وعان والبحرين واليمامة ومرة الا نبذت طاعة المسلمين وارتسوا عن الاسلام فخاف المسلمون الفشل ولكن ابا بكر نصر فبحكمة ودراية وساعده في ذلك قياده المختكون وخصوصاً خالد بن الوليد فانه عمل أعمالاً غريبة وكذلك عمرو بن العاص وغيرها ففضلي في سنة كاملة حتى دانت الكفاح قبائل العرب واجتمعت كلمتهم واستقام امرهم

فقال حماد يا حبيذا لو يسير خالد الذي ذكرته الى العراق فضحك الراهب ضحكة يتخللها عبوس وقال لقد اصبت يا ودي فانه عمل ما اردته فصار خالد هذا الى العراق لفتح الحيرة وقاتل الفرس <sup>(٢)</sup> فهب سلمان للحال وقال لحامد ألا يا ذن لي مولاي بالمسير الى الحيرة اني لا يبدأ لي بال ان لم آل يدي بدم الفرس فاعلم ان اشهد بعض المواقع أو اخدم المسلمين خدمة تساعدهم في انقاذنا من اولئك القوم الخجوس فقال حماد اني اولى منك بذلك ولقد كنت عازماً على التماس اولم تلتهم انت

( ١ ) ابن الاثير ( ٢ ) ارسله في اول السنة الثانية عشرة للهجرة ( ابو الفداء )

قال سلمان أما انت فقد طال غيابك عن امير غسان واميرتو فسر اليها وعساى  
ان اعود اليكم قريباً بخبر النسر

فاتبه حماد لامر مع هند فاغتم وجوده عند الراهب فرصة لاستفتائه بامر الاقتران  
بعد حكاية الوصية ولكنه استعفى فخطب عبدالله على انفراد قائلاً أنظن انه يجوز لنا المخاطبة  
بأمر الزيجة أم نحن لا نزال مقيدون بالوصية

قال عبدالله دعني أسأل الراهب وبأخذ رأيه فما يشير به نفعله . وتحول نحو  
الراهب فساءله فقال الراهب يظهر من خطاب الناسك لكم انه يحثكم من ذلك التبد  
وفي العدول عن الانتقام فضيلة مسيحية كما تعلمون لان ديانتنا توصينا بمحبة عدونا  
ومباركة لاعتينا وتحظر علينا الانتقام

فسر حماد ملك الفتوى وسكت حتى اذا خرج من عند الراهب اتدد بعبدالله  
وقال له ألا ترى ان مذهب غدا الى اللقاء نقابل جبلة وانت بمعي فقد فرغنا من  
حكاية النذر وان لكما الاجتماع وخصوصاً بعد ان ظهر ما ظهر من رفع نسبنا  
فقال عبدالله ارى يا مولاي ان تبقي امر نعلبك مكتوماً كما كان لنرى ماذا يجد  
من حوادث الزمان

فاجل حماد وقال ولماذا تكتبه وهو شرف يتسابق اليه الناس وخصوصاً انهم  
اعترضوا على زواجي بهند لغرض نسبي فهل ابقى غاضاً  
ففكر عبدالله هنيهة ثم قال وارض مع ذلك ان لا تذكر وعلى كل حال فالامر  
راجع اليك

فسكت حماد وكان قد وصلا باب الغرفة وسلمان يتبعها وقد ادرك انها يتكلمان  
بشأن هند فتهمفر قليلاً فلما وصلا الغرفة التفت حماد ونادى سلمان فاسرع وهو يقول  
انقدم اليك يا مولاي ان تأذن لي بالذهاب الى الحجرة غداً صباحاً وان يكت يعز  
علي ان لا اشهد الاجتماع باقترانك ولكنني لا البت ان اعود اليكم بما يسرهم ان شاء  
الله وارجو ان تذكروني في حفلة الزواج وانا اذكركم في ساحة الحرب

فقال عبدالله لحامد دعني بذهب يا سيدي امله بأيتنا يهجر فقد انتمينا من المشاكل  
والاسرار ولا نظننا نحتاج اليه في شيء وقد نقرر لك الاقتران بهند ورضي والدها  
ووفينا النذر فايذهب

فقال حماد اذهب يا سلمان بحراسة الله ولا تقطع عنا اخبارك  
ففضي سلمان ليلته تلك بمتعد المسير الى العراق وفي الصباح ودّع حماداً  
وعبد الله وبكى لوداعهما وسار الى الناصك بليتس بركته ودعاه قبل المسير  
فلما خلا حماد بعبد الله قال له دعنا نسير الى جبلة أو ميّا بنا الى صرح الغدير أم  
هناك سرّ يمنع ذهابنا واقتربنا ألم بأن لنا ان نخلص من العرافيل  
قال لقد آن الوقت وعلم سيدي اني لم أؤخر اقتربنا عبثاً ألم يكن في السرّ  
ما يدعو الى ذلك

قال بلى واني لا انسى جبلاً صنعته معي يا عبد الله ولكنني اعترف لك اعترافاً  
صريحاً بأن اطلاعي على نبي قد قلل اسباب سعادتي واحسنني كنت اسعد حالاً يوم  
كنت حماد بن الأمير عبد الله أما وأنا المندبر بن النعمان فاراني نعيماً بيتياً مظلوماً  
قال عبد الله كنت أتوقع ذلك منك ولكنني لم أرَ بدءاً من ان انص عليك خبراً  
عنه يوم امانة مقدسة

قال لم اقل انك اخطأت باطلاعي على حقيقة نبي فقد فعلت الواجب على  
انتي لما انصورت هندياً ومعبثتي معها اسلمو الدنيا ومناعبها  
قال عبد الله وزد على ذلك انك ستكون عمّاً قليل ملك غمّان والغساسنة  
لا يأتون سطوة وبطشاً عن ملوك الحيرة فضلاً عن دلافهم بالرّوم وهي دولة مسيحية  
وذلك خير من علاقة اجدادك المناذرة بالفرس والفرس يحوس بعبدون النار كما تعلم  
فانبسط وجه حماد لذلك فقال اذهب معاً الى صرح الغدير قال لو علمت ان  
جبلة هناك انذهبت معك لان من اللياقة ان ألقبه فبني تعارفنا جازلي الذهاب الى  
الصرح فقال اذن اذهب انا فالتبس الك موعداً فاجتمع فيه بجبلة ونتم الاقتران  
قال حسناً فعمل فاخذ حماد بعد جواده للركوب

## الفصل الحادي والسبعون

### ❀ البرد والخاتم ❀

أما هند فلم يأت يوم الشعانين حتى ملّت الانتظار وكانت تنوقع ان ترى

حماداً في مساء ذلك اليوم او في صباح الغد فضي اليوم والغد وفي تعد الساعات والدقائق ونحسب لنا آخر غير حساب فلما كان اليوم الثالث أفاق من رقادها قلقة البال فنهضت وسارت الى غرفة والدتها والتفت منها ان ترافقها الى دبر بحبراء او تأذن لها بالذهاب اليه وحدها

فالت سعدى لا أرى ان نفعل ولا ان تفعل فلورأى حماد المجيء اليها لجاماً فرما كان في سروالك ما يمنع من المجيء .  
قالت ما تعنين يا أمّاه

قالت لا اعني شيئاً ولكنني لم يعجبني أمر والدك هذا فكم ندلل وتهزّز فقد صاهرنا ولك علي غموض نسو واكرمناء والتسنا لفيها فلم يأتِ وها قد انقضي موعده من يوم الشمانين فلا أظن الآ في الامر دخلة

فانقبضت نفس هند عند ذلك وقالت لا تاومي الغائب قبل حضوره فرما منعه عن زيارتنا مرض او شاغل ذو بال وإما ما اشرت اليه من تدلل والدك او كبرياؤه فلا أظنه في محله وليس ثمّ ما يسوغ له ذلك  
وسكتتا هنيهة مطرفتين ثم قالت سعدى نعم يجب علينا ان نبحث عنه وعن سبب غيابه فلنتنظر هذا اليوم ايضاً فاذا لم يأت انفذنا اليه رسولاً

فخرجت هند وهي هاجمة في امر حماد فلبست ثوبها وخرجت الى الحديقة لتفعل نفسها بازهار الربيع وعيناها شائعتان من بين الاشجار وقد هب عليها النسيم فتعاطم خفيف الاوراق وعلت اصوات الطيور مغردة وهند تود انقطاع النسيم وخرس الاطيار مخافة ان تحول تلك الضوضاء بينها وبين وقع اقدام حماد اذا جاءها ماشياً بين الاشجار او تخفي صوت جهاده اذا صهل عند استقبال الصرح . وفيها هي جالسة على حجر هناك تفكر في ذلك وتحدق بعينها وتصبخ بسمعها وقد صارت الشمس في الهاجرة رأت فارساً قادماً عن بعد عرفته من جهاده وظاهر لباسه انه حماد فهرولت الى والدتها وانباها بقدموه فدخلوا الى قاعة الجلوس حتي جاءها مخبر بقدموه فخرجت سعدى للقاءه ورحبت به فقبل يدها ودخلا الصرح وكانت هند عند الباب فلم عليها ودخلوا جميعاً الى قاعة الجلوس وقد آتست هند في وجه حماد تعبيراً بعد قص الشعر ولكنها عجت لهجه وحده وارادت الاستفهام عن السبب فمنعها الحياء على ان والدتها

ابتدرته بالسؤال عن والدك  
فقال انه كان عازماً على الجيء معي ولكنه رأى من اللياقة ان يقابل ملك غسان  
قبلاً ولو كان سيدي العلم هنا لانذنا الى والدي فيعبر حالاً  
فقلت جعل الله نذركم مقبولاً هل قصصت شعرك يا والدي  
قال نعم . قالت وهل سمعت الحكاية . قال نعم سمعتها . وحدثته قصة ان يبيع  
بها فتذكر تحذير عبد الله فأسك ولكنه رأى سكونه عنها بالمرءة تحذيراً للمائل  
اما سعدى فلم تزد على هذا السؤال نادياً فلما لم يجيبها غرت الحديث وسألته  
اذا كانت بسرّة الخروج الى الحديقة وهو يود ذلك لعلوا انه قد يخلو هناك بهند  
فبهاتين او يتغافلان  
فخرجت من باب خصوصي صغير وتخلت سعدى في النصر توصي قبة النصر باعداد  
مائة الغداء

فمشى حماد وهند في طرقات الحديقة حتى اتحدرا الى ضفة الغدير وماؤه يجري  
على حصاة تلالاً تحمى كاهها الدر وقد فاحت روائح الازهار وغلبت عليها رائحة زهر  
اللو وزهر البرتقال وعلت ضوضاء الاطيار وحفيف الاشجار ولو كان لنا فونوغراف  
ادبسن او اشعة رونتجن لرأينا قلبي هذين المحبين يتناجيان وينفاهمان  
اما هند فبا صدقت انها خلت بحجاد حتى نظرت ابو شدراً وهي تبسم وعيناها  
مشرقتان تلالاً وقالت ما الذي دعاك الى التعميل في زيارتنا اما كان الأدل على  
شوقك ان تبني زيارتك الى عيد النصح !

فادرك مرادها فاحب ان يعيث بها فقال تركنا يوم النصح لمقابلة والدك بشان  
الاكليل ام ترين تأجيل ذلك الى الأحد الجديد  
فتمحلت واطرقت وقد توردت وجنتاها فازداد اشراق وجهها وقالت لوعرفت  
انك تجيبني بهذا ذلك ما افدمت علي مؤالك

قال وقد أعجبت تخيلها وازداد هيامه بها لم يكن اظن ذكر الافتتان بسوءك ونحن  
انما نسعى جهدنا في الحصول عليه . قال ذلك ونظر اليها كأنه ينتظر جوابها . اما هي  
فمحلت وجهها عنه وخطرت نحو شجرة من البرتقال تظلف زهره بلالي بشمها عن  
سماع كلامه

فشيخها حماد وهو يقول ما بالك تمرين بي يا هند فاذا كنت تريد من الغلض من قرابتي فولي لي كما قال غبرك ان نسي غامض فلا استحق بنت ملك غسان فلم تجبه ولا على هذا وقد كان يتوقع ان يجرها الحديث الى حكاية السر ليجبرها بحقيقة نسي ويرى ما يبدو منها وخاف ان تأتي والدتها فيقطع الحديث فدار نحوها حتى قابها وجهاً لوجه وامسك يدها فاحس كلاهما بقشعريرة الحب فقال حماد لم نسا لبي عن حكاية السر ما هي

فقالت له ( وهي ممسكة بك تنظر اليها ) بظهر ان حكاية السر عزيزة لديك لا نستحق سماعها

فادرك انها تودح لسكوته عن سؤال والدتها فقال لا يمز عنكم شيء يا حبيبي . قال ذلك ويد بك الى جيبه فاستخرج خاتماً دفعه اليها وقال هذا هو سرنا فانظري اليه فتناولت الخاتم ونأملتة فاذا هو مكتوب بحرف لا نعرفه فقالت انه لا يزال سرّاً اذ لا يستطيع قراءته . فقال انا اقرأه لك ثم قرأ « النعمان ابن المنذر »

فلم تفهم المراد فقالت وما معنى ذلك قال معناه ان نسي الذي كان غامضاً عنك وعني كان مخفياً في هذا الخاتم فانعمت فكرها في مغزى كلامه فادركت انه ينسب الى النعمان ولكنها امتنعبت ذلك فقالت املك تنسب الى الملك النعمان

قال « بل هو ابي » . وجعل ينظر الى ما يبدو منها فراها قد استغربت قوله ولا تزال في حال البغنة ولكن الاعجاب والسرور ظهرا على وجهها معاً على ان الالفة والرزانة منعتهما من اظهار البغنة فقالت ومن انباك بهذا النسب وكيف خفي عنك الى الآن

قال لذلك حديث طويل سأقصه عليك في غير هذا المكان واذا كان الخاتم لا يكتبك فانظري الى هذا الرداء وكشف غابته عن برد النعمان وكان تحت الثوب فنظرت اليه تحققت نسبة عظم في عينها ولكن الاستغراب غلب عليها وهي تحسب نفسها في حلم

ثم سمعا وقع اقدام من ناحية النصر فنظرا واذا بوالدتها قادمة فاسرع حماد الى الخاتم

فجأه وطلب الى هند كتمان الحديث الآن . اما في فرغاً عن رزانتها وتعفانها ودّت ان تطلع والدتها على ذلك الخبر

اما سعدى فانها جاءت بسرعة وفي وجهها خبر  
فنظرا اليها وهما يتوقعان خبراً فقالت لقد اطابت الغياب عليكما لاشتغالي برسول  
قدم من عند الملك جبلة ومعه هذا الكتاب ودفعت الكتاب الى هند ففضضته فاذا هو  
من والدها يقول فيه « هل عرفتم شيئاً عن ولدنا حماد وهل وفي نذرته فاني احب  
ان اراه قبل سفري الى الامبراطور فقد اتفد الي رسله بالدماب اليو لهمه ساقصها عليكم  
عند الاجتماع »

فقالت سعدى اكبي البوالة جاء وقد وفي النذر  
فقال حماد اري ان اسير الى والدي واجيء بوليتشرّف بمعرفة الملك جبلة ايضاً  
قالت حسناً تفعل فعاد الى القصر وكتب الى جبلة بذلك على ان يكون مجيئه  
في الغد

وكانت المائدة قد أعدت فتناولوا الطعام وركب حماد الى دير مجبراء

## الفصل الثاني والسبعون

﴿ كل سرّ جاوز الاثنى عشر ﴾

واما هند فما زالت تفكر بما سمعته من حماد عن نسيه وإدركت والدتها فيها تغيراً  
ظاهراً على وجهها بدل على شيء في نفسها تكنه فلما كان المساء ذهبت هند الى  
فراشها فجاءها سعدى واخذت تجاذبها اطراف الحديث حتى باحت لها بالسرفلم تكن  
سعدى اقل استغراباً من هند وحسنت لما ان تطلعا والدها على ذلك

فلما جاء جبلة بيّض في الغد انباءه بالخبر وكانت لتوقع منه ارتياحاً واستحساناً  
ولكنها رأت انقباضاً فندمت هند على تصريحها بالسرّ وخافت ان يترتب على ذلك  
ما يسوّمها وكان خوفها في محلول لان جبلة ما لبث منذ سمع ذلك الخبر منقبض النفس  
طارقاً في بجاننا مثل لعلوا ان حماداً اذا تزوج هنداً سيكون وربته في الملك اذ

ليس له ذكور يرثونه فاذا كان حماد من عامة الناس بقي الملك باسم القساسنة ولكنه رأى بعد ما علمه من انتسابه الى المناذرة ان الملك سيخرج يوم من القساسنة الى المناذرة فيكون قد سعى الى زوال ملكه فارتبك في امره فلم يعد يعلم ماذا يعمل وود لو انه زوج هنداً للعبة ابقاء للحكم في عائلته ولكنه كنم ذلك كله ونظاهر باستغراب ما سمعه

اما هند فكانت تراعي والدها وتراقب حركاته وتتأمل ما يبدو منه وقد انقبضت نفسها واسفت اسفاً شديداً لما فرط منها

وفياهم في ذلك سمعوا قرعة اللهم وصهيل الخيل عند باب المدينة فاطلوا واذا بحماد وفارس آخر عرفوا انه والى فخرجوا لاستقبالها فلما وقع نظر حماد على جيلة هم بتقبيل يده فمنعه وتعاثا وتقدم عبدالله الى جيلة فصافحه وتعارفا ودخلا جميعاً الى قاعة الجلوس واخذوا في الاحاديث المتنوعة الا حديث الذرفاة لم يدر بينهم ابداً فقالت سعدى لجيلة قلت لنا في كتابك ان الاميراطور هرقل انفذ بدعوك اليو فما الذي دعاه الى ذلك

قال دعاه اليه اضطراب في جو السياسة اوجب اهتمامه في التأهب للحرب عاجلاً فبغت الجميع واستعاذ حماد بالله وخاف ان يحول ذلك بينه وبين هند الى اجل بعيد فقال

وما هو ذلك الاضطراب يلهيكم

قال لقد انبأنا الجولسيس ان الحجازيين الذين جاؤا منذ بضع سنين على ما تعلم وعادوا عن مؤنة خاسرين قد استغل امرهم واتسع -لطائفهم وتوفي فيهم وخلفه بعض اصحابه فجدد كبراً انك لفتنا ولا يلبث ان يصل الينا قريباً فبعثت الى هرقل بذلك فارسل يستقدمني اليو في حصص<sup>(١)</sup> للتحارب بشأن التجنيد وقد قيل لنا ان حملتهم هذه المرة ستكون اصعب مراساً من الماضية وقد جاؤا فرقاً يفودهم اعظم الفداد

فقال عبدالله سمعنا انفاذ ذلك الجند الى العراق لحرب الفرس وليس للشام قال ذلك جند آخر بعثوه الى العراق في العام الغابر اما الآن فانهم عاملون

على التجهيز البنا

فقال حماد هل يرى سيدي العم ان غيبته ستطول هناك  
قال لا ادري مقدار طولها ولكنني اظنها طويلة  
قال نسهر اذا في خدمتك

قال لا ارى حاجة الى ذلك والاولى ان تبقى في بصرى ربنا اعود او ابعث  
اليكما . اما سعدي وهند وسائر اهل هذا القصر فيسهرون معي خوفاً عليهم من غائلة  
العدو وهم في هذا الحلاء

فلما سمعت هند ذلك خفق قلبها وكادت الدموع تتناثر من عينيها وقد ادركت  
ان والدها يضرر السوء لحامد  
اما حماد فلم يكن اقل وجلاً وهو لا يعلم ما في نفس عمه وظنه لم يعلم بحقيقة نسبه  
ولا حدث ما يوجب تنوره ولكنه استعظم فراق هند بعد ان كاد يظفر بها على اثر  
ما قاساه من المشقة والبلاء في سبيلها

اما عبدالله فادرك ان في الامر شيئاً جديداً اوجب هذا التباعد ولولا ذلك لم  
يكن ثمة ما يمنع مسيرهم معه حيثما سار فحامد شك في كتمان حماد فنظر اليه بطرف  
خفي ففهم حماد مراده فانتبه انه اخطأ باطلاع هند على ذلك السر  
وشاركهم في ذلك الاحساس سعدي لانها اعلم الناس باخلاق زوجها فقالت  
له ألا ترى ان نسهر جميعاً معاً وما الفائدة من بقاء حماد هنا  
قال بل ارى بقاءه هنا وساخبرك عما يمنع ذهابه معنا . قال ذلك وفي كلامه

غنة الجفاء فسكتت وصكت الجميع

ثم آن الغداة ففقدوا والصكوت سائد عليهم جميعاً فلما نهضوا امر جيلة ان  
تعيد الركائب لحير زوجتهم وابتو معه في ذلك اليوم فشق ذلك على عبدالله ونفر  
من جيلة لما اتفق له معه في المفايلة الاولى . وعول على تحويل عزم حماد عن هند  
كأنه لم يدرك في قلبه من لوازم الغرام وقد فاته ان الحب ينعاظم بنسبة ما يعترضه  
من العقبات

فاستشار عبدالله حماداً في الانصراف فاجابة اليورغاً عنه ووقفاً فتقدم حماد  
الى عمه وودعه وهو يكاد يشرق بدموعه وودعه عبدالله . وسار حماد الى سعدي وهند

بودعها وكاتتا قد خلنا وهند تبكي وتحنن والدتها تخفف عنها وتلتبس الا عذار  
لما ظهر من جفاء والدها فلما سمعت وقع اقدام حماد خرجت في فودعته واعذرت  
عن هند انها تشكو من صراع الم بها حتى ابكها

فادرك حماد انها شعرت مثل شعوره وترجع لديه انها باحت بالسرو لم يلم  
الا نفسه لانه لم يوصها بكنائز . فقال والدمع يتلألا في عينيه دعيني ارى هنداً  
قبل ذهابي وان تكن باكية . وكانت هند قد استعدت للقائو فمسمحت دموعها وحاولت  
اخفاء ما بها وخرجت الى حماد وهي لتجلد ومدت يدها ونجاد هو ايضاً فودعها  
مبتسماً وتحت ابتسامو غيظ يكاد يبين ثم ودع سدي وخرج فلقي عبدالله في المحديقة  
يتنظر قدومه فركبا وحماد يلفت وراة بودع النضر واملة وهو غارق في لبح  
المواجس فسارامه صامتين لا ينفق احدهما بكلمة وكل منهما يفكر في امر وحماد يراجع  
في ذهنه حوادث ذنك البومين ويفرق ندماً لما باح به من امر نسيو وشعر بخطائو  
نحو عبدالله لانه لم يطمعه في كتمانو فظل صامتاً يتردد بين الخجل والنشل  
اما عبدالله فلم يبق عنده شك بتغير جبلة وفساد ما بنوه وضياح ما املوه ولكنه  
لم يذكر ذلك لحماد رفقا بمطاطنو وعول على ان يثبته عن عزو فبا بعد

## الفصل الثالث والسبعون

\* ان الله مع الصابرين \*

فلما دنوا من الدير قال عبدالله آتري يا سيدي ان نقيم في الدير او نذهب  
الى بصرى  
قال لك الامر ولكنني ارى بصرى افضل لنا بعد ما سمعناه من حملة العرب  
انجاز بين

قال الامر اليك وعرجوا نحو الدير بانطلقوا تلك الالهة على اهبة الانتقال الى  
بصرى ولم يبق حماد الا قليلاً لكنهم ما نراكم عليو من المواجس  
فلما اصبحوا اخذوا يستعدون للركوب فذهب عبدالله لوداع الراهب وظل

حماد وحده بمنفل في بعض الملام وكان الوقت ضحي وفيما هو ينظر الى خارج  
العرف رأى امرأة نظرت اليه وعرفها انها المجارية التي رافقت هنداً الى الصومعة يوم  
التقي بها المرة الاولى هناك فبغت لرويتها وهزول اليها  
فقال له انعرف بائع الحلي  
فقال نعم وصلت

فدفعته اليه مندبلاً كان في يدها وتولت راجعة  
فقلب المندبل بين يديه فاذا هو رسالة قد كتب فيها « لا يضعف عزمك ما  
رأيتك البارحة من والدي واصبر ان الله مع الصابرين » فعلم انها رسالة من هند  
فابرقت اسرته وانجرت كربة وطوى المندبل وخبأه ولكنة ود لو يعلم ابن في  
فسير اليها بغير قريها يتنسم اخبارها فتذكر ان والدها ساء الى حمص لمقابلة  
هرقل فقال في نفسه لا اظنه يحمل اهله معه الى هناك فربما خلفهم في البلقاء وكان  
يفكر في ذلك وهو يتظاهر بالاستعداد للمسرح فجاء عبدالله فركبا وسارا الى بصرى  
واثاما في منزل بقرب السور عال مشرف فتذكر عبدالله يوم ثعلبة وموقفه امام  
رومانوس ( روماس ) حاكم بصرى وما كان من امر الختام ولكن ثعلبة ضعف امره  
وخرج من بصرى فاقام في بعض القبائل الفسائية ورومانوس ما زال حاكماً هناك  
وكان حماد قلقاً على هند لا يبدأ له بال وما زاد الحالة قلقاً عليه لومه نفسه لأباحتها  
بنسبه وقد عرف قيمة نصائح عبدالله وتحتقن ان الاختيار والمعاشره تكسب المرء علماً  
وحكماً لا يدركهما بمجرد الذكاء الطبيعي وما لا يكليو الى استشارة عبدالله في ذهابه  
الى البلقاء وشعر بما جئوا الى سلمان لانه كان له بوغنى عن تجشم تلك المشاق بنسبه  
ثم اجعل بغته وخاف اذا استشار عبدالله ان يشير عليه بترك هند وهو لا يستطيع ذلك  
ولا تسهل عليه مقاومته بعد ان اخبره صدق نصائحو فسكت وسلم الامر لله  
اما عبدالله فكان يتجاهل عن كل ما يظهر على حماد من القلق ويدعوه حيناً بعد  
آخر الى الخروج للصيد كما كانا يفعلان اول مجيئها تلك الديار وكان حماد يسير معه  
لعله يوغل في البرية فيقف على قادم او غادر فيطلع منه على خبر هند او والدها ولم يكن  
عبدالله ينافحه في خبرها الا عرضاً في اثناء كلامه عن قوات الروم ونحو ذلك فاذا  
انس من الحديث اقترباً من الموضوع تباعد عنه وهو يتوقع ان ينتهز ميل حماد من

تلقاه نفسه وكان حماد أكثر رغبة عن الخوض في ذلك الموضوع لئلا يسمع نهياً أو نصحاً  
يبعده عن هند

ففضيا أشهراً على تلك الحال ولم يسمون إلا باستعداد الروم لدفع المسلمين  
وإن جند المسلمين وصلوا ضواحي النمام وأقام بعضهم في البرموك وكان حماد كلما سمع  
خبراً من هذا القبيل ازداد قلقاً حتى لم يعد يصبر على البقاء في بصرى ومال إلى الخروج  
منها إلى البلقاء لعله يعرف شيئاً عن هند وعبد الله بشاغلة نارة بالصود وطوراً بزيارة  
رومانوس صاحب بصرى وكان رومانوس قد عرف منزلة عبد الله على اثر ما كان  
بينها من امر تسيير عبد الله إلى هرقل وما لاقاه من العنوة هناك . فكان يجتمع  
برومانوس وحماد معه ويخرج أحياناً إلى الرّاهب فيزوره ويدعوه إلى زيارته .  
أما الناسك فساراً إليه من فلم يجده

## الفصل الرابع والسبعون

### ﴿ حصون بصرى ﴾

ففيها ذات يوم في ضواحي بصرى يطلبون الصيد قال حماد أرى الصيد قليلاً في  
هذه النواحي لو عرّفنا وقلة المرعى فيها ألا ترى أن نسير إلى البلقاء لنعلمنا نعثراً على صيد كثير  
قال عبد الله إن الصيد يكثر أحياناً ويقل أحياناً أما إذا شئت الذهاب إلى  
الבלقاء فالأمر إليك

قال أرى في الانتقال خيراً  
وفيها ما يغادثن رأياً سرّاً من الغزلان فادماً من عرض البر لم يريا مثله قبلاً  
فبقينا فقال حماد ما هذه الغزلان التي أراها تطلبنا وذلك لم يتفق لي منذ طلبت الصيد  
فقال عبد الله إن مثل هذه الكثرة تدل على أمر خطير  
قال وماذا عسى أن يكون ذلك

قال لا يجتمع هذا العدد منها وبصرى في وجه واحدة إلا فراراً من جند نادم  
فلعل جنداً من العرب قادم إلى بصرى . قال ذلك وصدا إلى ربوة اشرفا منها على  
سهول بعمدة فرأيا غباراً يتصاعد عن بعد فقال عبد الله لقد صدق ظني

فقال حماد اظنها جنود المسلمين فادته لحصار بصرى فباليتما خرجنا منها قبل الآن قال عبدالله اذا لم يكن لنا بد من ملجأ في هذه الدبار خوفاً من المسلمين فان بصرى احسن المدن وامنع الحصون واسمها يدل عليها فان لنظها في الكلدانية معناه الحصن المنيع <sup>(١)</sup> لم تر سورها من الحجر الصلد الذي لا تقطعه المعاول ولا يهدمه الجانيق <sup>(٢)</sup> وقد رأيت اهلها فان منها يخرج اثنا عشر الف فارس دفعة واحدة عند الانقضاء فالمسلمون اذا فتحوا بصرى هان عليهم فتح سواها فتربصنا داخل اسوارها خبر لنا من الخروج الى البلقاء او غيرها . وزد على ذلك ان اهل بصرى اشداء وهم اكثر الناس حرصاً على دينهم واشدهم دفاعاً عن مدينتهم فانها اعظم مراكز التجارة بين الشرق والغرب لتوسطها بين الحجاز والعراق والشام ومصر <sup>(٣)</sup>

فبغت حماد وعظم عليه الامر وعلم ان امره لا بد من تأجيله ان طوعا وان كرهاً ومهبا انه عزم الى البلقاء اودمشق فان جبلة وقبائل غسان وجنود الروم اصبحوا في شغل يشغلهم عن كل شيء ولكنه اراد ان يتحقق قوة جند الروم ليرى قدرتهم على الدفاع فقال وهو يدير رأس جواده نحو بصرى وعبدالله يتبعه وما هي قوات الروم في الشام وهم مدينة مثل بصرى عندهم

قال عبدالله اعلم ياسيدي ان ولاية سوريا او هي ولاية الشام تقسم الى ١٥ قسماً احدها بصرى <sup>(٤)</sup> وقوات الروم كثيرة وعديتهم كثيرة ولكنهم شغول عن دينهم بدنيهم واستولى عليهم الانقسام . وما زالوا في هذا الحديث حتى وصلوا المدينة فراوا اهلها في هرج والجنود في حركة يستعدون للدفاع فدخلوا الاسواق فراوا الناس مجتمعين منى وثلاث ورباع يتساءلون عن المجند القادم وامارات الاستئناف ظاهرة على وجوههم فقال عبدالله هلم بنا الى منزلنا فانه عال يشرف على الاسوار وما وراءها

فسارا وقال حماد ما قولك برومانوس حاكم بصرى هل هو خائف ام مستنفذ فقال عبدالله لا اظنه خائفاً وعند مثل هذه الحصون وهذه الفلاع فضلاً عن العدة والرجال ولكنني اظن الولاية ستخرج من يدك الى طال آخر جاء منذ ايام اسمه تراجان (ديرجان) وهو بطل محنك وقد سمعت الناس يتحدثون بنفوس ريبتها وليس هذا وقت التنافر

## الفصل الخامس والسبعون

## \* رومانوس وتراجان \*

وما زال بالحديث حتى وصلا المنزل فاطلا من بعض نوافذ فاذا بالغبار قد بان عن جند كثيف تنفذه الاعلام والفرسان

ولم يكذب ظهر جند العرب حتى تسابق الناس الى الاسوار ينظرون اليهم وهم يهزأون بهم وبالبستهم وسداجة معداتهم وبعد قليل جاء رومانوس فوقف في بعض الابراج ونظر الى جند العرب وقال لمن حوله من الضباط لا نرى ان تغفل ابواب بصري امام هذا الجند الضعيف ولكننا نخرج اليهم فنحاربهم في هذا السهل ونردم على اعقابهم - طامر بالجند ان بعسكرنا خارج الاسوار مقابل معسكر العرب <sup>(١)</sup>

فلما رأى عبدالله هذا التهور خاف العاقبة لما يعلمه من بطش العرب وصبرهم على القتال وكانت له على رومانوس دالة كما تقدم فلما علم بعزمه على الخروج بالجند حدثته نفسه ان يصيح له ان لا يفعل فسادا ابوه وحماد معه وقد علم انه توجه الى دار حكومتهم فلما وصل الدار رأها غاصة بالجماهير من رجال الحكومة وكلهم راضون عن رأي رومانوس ولكنهم لم يتراجان بينهم فلما رأى اجماعهم على ذلك علم انهم لن يصغوا الى كلامه فرأى ان يخاطب تراجان بالامر فسال عنه فقبل له انه في منزله فصار ابوه وكان قد عرفه واجتمع به مرارا فاستأذن بالدخول عليه فاذن له فدخل فاذا بتراجان مطب الوجه فلما دخل عبدالله رحب به تراجان وكان يعرف العربية فجلس وجلس حماد الى جايه

فقال تراجان هل تعرفون هؤلاء الحجازيين

قال عبدالله لقد عرفناهم وحضرنا حروبهم غير مرة

فقال وكيف رأيتمهم

قال رأيناهم اشداء صبورين لا يعباون بالعلقة ولا بالكثرة

قال ألا ترون الخروج اليهم خطأ  
قال عبد الله بلى يا مولاي وهذا ما جئنا به اليك فكيف تخرجون اليهم فنعرضون  
جندكم لتبالمهم وسيوفهم وقد كان لكم غنى عن ذلك بهذه الحصون المنبئة  
فتنهت تراجان وقال هكذا اراد رومانوس ولقد نصحت له فلم ينتصح وكافى به  
باني يتخذ الروم الى التهلكة

فقال عبد الله اليوس من مهبل الى اقناعه  
قال كلاً لانه عنده معتد بنفسه وسيكون فقلته عظيماً واذا فشل فانما يكون دمه  
على رأسه قال ذلك وهو بلا عيب صليبا من الذهب معنفاً بساحله في عذوه  
فأس عبد الله في كلام تراجان لهجه انشائية فسكت وودعه وخرج وحماد معه  
فلما خرجا قال حماد ما ترى من امر هؤلاء اني اخاف ان تعود العائنة على هذه المدينة  
فيصوبها ما يصيب اهلها

قال وما لعمل يا سيدي انخرج الى المسلمين  
قال حماد كلاً ان خرجوا حياناً  
قال ارى ان نترصد لذى ما يكون من حربيهم  
وسارا حتى انما المنزل وكان الليل قد سدل نقابة فاطلاً على معسكر العرب فاذا  
بهم قد نصبوا الخيام واوقدوا الوقود ونصبوا الاعلام  
فقال حماد ومن هو يا ترى امير هذه الحملة العامة خاند بن الوليد  
قال ان خاندًا في العراق على ما علمت واكن الامراء غيره كثيرون

## الفصل السادس والسبعون

\* فتح بصري \*

وبانتها تلك الليلة والجند يستعد للخروج وفي الصباح افاقوا على دق الاجراس<sup>(١)</sup>  
واذا بالجند خارج وفيهم اثنا عشر الف فارس والقميس امامهم بالصلبان والمباخر<sup>(٢)</sup>

فسار عبدالله وحماد الى الاسواق فرأوا الناس يسرعون الى الكنائس فيسبون الصلاة باليونانية <sup>(١)</sup> ويدعون لخدمهم بالعر وصد الكهنة على الاسوار بالصلبان والشموع ورشوا الجند بمياه المعمودية واخذوا يرغون ويشدون الاناشيد المسجية وفيهم الرجال والنساء والاولاد يدعون بصوت واحد بالنصر لخدم الروم

اما جند العرب فكان قائد شرجيل بن حمته كاتب وحي النبي وجماعة عبيدة بن الجراح في اربعة آلاف فارس لفتح بصرى وكان عبيدة قائداً عاماً لجنود المسلمين في الشام ولاه النهادة العامة الخليفة ابو بكر الصديق

فوقعت بين الجيشين عدة وقائع ظهر فيها الرومانيون في بادىء الراي ولم يجب عبدالله لصق الروم لما يملأه من كثرة عددهم

وفي ذات يوم التهم الجيشان فظهر الرومانيون باخذل امر المسلمين حتى كادوا يمدون الى الفرار وعده الله يرأس حركاتهم وحماد الى جانبه واذا بغبار يتصاعد من جهة الافق ويان من تحته جند عرفوا من نوع نظامهم وشكل اعلامهم وجد المسلمين فعلما انها نخبة جارتهم ولم يلبثوا ان رأوا في مقدمة ذلك الجند رجل ضخم عريض اللحية طويل القامة تخطى فوق رأسه راية سوداء وهو خالد بن الوليد فاشتد ازر المسلمين واعادوا الكثرة فتقهرو الروم حتى دخلوا الاسوار واقتلوا ابواب المدينة فلقى تراجان رومانوس راجعاً فذكره ففجئته ففضض رومانوس لسانه به

فلما علم عبدالله بما تمكن من الفوريين القاندين خاف سوء العاقبة

وفي صباح اليوم التالي برز خالد يطلب التزال فتزل اليه رومانوس والداس ينظرون اليهما وما ياول اليه نزاهتهما وبعد براز طويل عاد كل منهما الى معسكره فدخل رومانوس بصرى وعلى وجهه ما يدل على تغير في مناصبه وقد فترت همة عن الدفاع فلحظ ذلك فيه يعرفون اخلاقه ولما عبدالله فاجتمع بجناد وقال اني خائف من هذا الرومي فوالله لا يلبث ان يسلم المدينة لاني رأيت من مطاولته في التزال ما يوقع الشبهة فيه

فقال حماد ولقد سمعت من بعض اصدقاء تراجان اليوم انه جادل رومانوس

(١) وكانت خدمة الصلاة في سائر كنائس المشرق اذ ذلك باليونانية وامانة رجال الحكومة

واعيان المملوكة فكانت (اللاتينية ولغة الشعب اللغة الوطنية او اليونانية) (جيبس)

ووجه وثقت به لما آل اليه خروجه فشق ذلك على رومانوس وتوعد بغير ينويه له وقال له اذا كنت افرس مني نازلم فاجابه تراجان وشتمه وعلا الخصام بينهما وتعزب رجال الروم بعضهم لرومانوس وبعضهم لتراجان وتوعدوا رومانوس بالقتل وامهوه بالخيانة وقالوا له لا نرضاك حاكماً علينا وقد ولينا تراجان فسكت ولم يجهم وعلامات الغدر ظاهرة على وجهه ولكنه قال فليزل هو ونرى بطشه

فلما اصبحوا نزل تراجان على جماده بعدتو وسلاحو وطلب المبارزة فخرج اليه فارس علما من لباسه وكبير جنتو انه خالد بن الوليد فطال التزال بينهما والجيشان ينظران وكان على رؤوسهم الطير فضى معظم النهار ولم ينل احدهما الاخر بشر فرجع كل منهما الى معسكره<sup>(١)</sup>

فلما رجع تراجان الى المدينة اسرع الناس للفائز وسواله عما لقي من عدوه وكان اول من لاقاه رومانوس وقد نظر اليه مستهزئاً ضاحكاً كأنه ينتقم منه لشهائتو به قبلاً فانتهم وعبره بأنه مخلوع فقال رومانوس سترى من هو المخلوع منا وتركه وبضى

وكان عبد الله وحامد ينظران الى ما دار بينهما فلما رآيا من رومانوس ماراً ياه وبهما يديده خافا فقال عبد الله لقد زاد خوفاً الآن من مقاصد هذا الرومي فلا اظنه الاً فاعلاً شراً

فقال حماد وما شأنا في ذلك

قال عبد الله انما بعيننا من الامر المحافظة على حياتنا مخافة ان يدخل العرب المدينة فيصيبنا منهم سوء ولا ناقة لنا في الدفاع ولا جمل الانظتنا كنا آمن على حياتنا لو اقمنا في دير بجيرا

قال حماد وكيف تكون آمن هناك والدير لا حصن فيه ولا جند ونحن الآن في امنع مدن الشام<sup>(٢)</sup>

قال لم اقل ان الدير احصن من بصرى ولكنني علمت ان خليفة هؤلاء المسلمين لما خرج لوداعهم يوم تسيرهم الى الشام اوصاهم بالرهبان والدير خيراً فهم لا يسيئون راهباً ولا يجرسون ديراً

فقال حماد لو ذكرت ذلك لفضلت البقاء في الدبر ولكن المهم قد نفذ ونحن الآن في بصرى وهي في ما تراه من المحصار فما الرأي  
ففكر عبد الله قليلاً ثم قال ان سر المسألة يا سيدي عند رومانوس هذا فلو  
استطعنا استطلاع شيء منه لعلنا طريق النجاة فإني ان اسير اليه الليلة لعلني  
انتسم خبراً  
قال حسناً تفعل

وقضيا بقية يومها في المنزل وبعد العشاء سار عبد الله الى دار رومانوس وبقي  
حماد وحده ولم يضر إلا الليل حتى عاد عبد الله وعلى وجهه ملاح البغنة  
فقال حماد ما وراؤك

قال لا اظن الامر إلا عظيماً فإني سألت عن رومانوس في منزله فقبل لي أنه  
نائم فلم اصدق انه ينام الآن فخرجت استطلع خبره من بعض الحرس فعلمت انه  
خرج الى حيث لا يعلم احد ويجهل لي انه سار ليدبر مكيكة ويسلم بها المدينة و...  
فقطع حماد عليه الكلام قائلاً أجل اظنه سيفعل ذلك لان هذا القصد كان  
ظاهراً على وجهه فما الحيلة

قال لا حيلة لنا يا سيدي إلا التربص الى الصباح فاذا تحققتا عزيمة علي ذلك  
دبرنا حيلة نجو بها بانفسنا  
وبانا تلك الليلة على مثل الحجر

وفيما هما نائمان بعد نصف الليل سمعا طارقاً بطرق الباب فهبّا من رقادها  
مدعورين فسألا من الطارق فسمعا صوتاً يقول افتحا اني انا خادمكما سلمان  
فهو عبد الله للحال ففتح الباب والبيت مظلم فاذا برجل عليه لباس اهل  
الحجاز وفي يده مصباح فبغتاً لمنظره ولكنه ناداهما اني عبدكما سلمان لا تخافا  
ورفع العمامة عن رأسه فبان وعرفاه فصاح به حماد انت كنت يا سلمان  
وما الخبر

قال جئت من معسكر خالد ولا يلبث هو ورجاله ان يستولوا على الاسوار  
فجئت لاعدائكم بالامر لئلا يكونوا على بصيرة وهذا علم من اعلام المسلمين انصبوا على  
باب منزلكم لئلا ينط من صفوفهم اذا دخلوا المدينة

فقال عبد الله بورك فبك ايها الصديق الامين فدخلوا جميعاً واوصلوا الباب وسأله حماد ان يقص عليهم الخبر فجلس وهو يلهث من التعب والبغنة وقال اخبركم بالاختصار ان رومانوس صاحب بصرى خرج الى معسكرنا في هذا المساء من مكان في السور مخوفة غلته فاعتنق الاسلام وقال لخالد بن الوليد ارسل معي من تعتمد بتسليم المدينة فارسل معه عبد الرحمن بن ابي بكر ومئة من المسلمين فجئت انا معهم فادخلنا من خرق في السور واخذ الامير عبد الرحمن ورجاله الى قصر ليساحهم ويسير بهم لقتل تراجان وقال انه مناظر له في الحكم وكنت لما جئت مع جيش خالد كما سأخبركم سألت الراهب الشيخ عنكما فاخبرني انكما مقيمان في بصرى وداني على هذا المنزل فبهروا ولت اليه لاعلمكما بجيلة الخبر وانتم بهذا العلم انصبوا فوق الباب حماية لكم وبعد قليل سمعان تكبير المسلمين على اسوار المدينة من كل جهاتها وهي علامة بينهم وبين الجند خارجا فيهم المجمع وتكون مذبة هائلة

فانها على ههنا فترامى هو على يد حماد فقلها وقال لقد ددت لو تكونون معي في معسكر هؤلاء الحجازيين لنزل ما رأينا من شجاعته وصبره واتحاد كلمته واعلموا ان خالداً وجدته لولم يصلوا بصرى الآن لذهب جند شرحبيل ايدي سبا وارثوا عن المدينة خاسرين فقد كانوا في شدة وضك لفلته وكثرة الروم

فقال عبد الله وهل خالد وحده من التواد العظيم قال سلمان وفيهم ايضاً عبد الرحمن بن خليفته ابي بكر وهو الذي جاء معنا لاستلام المدينة وغيره جماعة كبيرة من الامراء والقواد

ولقد رأيت من حربهم وبطولهم في العراق ما سأقصه عليكما ان شاء الله فهم حمادان بمأله عما فعله خالد في العراق فسمعوا الضوضاء والضحج وبين الاصوات صوت التكبير

فقال سلمان ان المسلمين الآن على الاسطار وعما قليل ينفتح اولاد رومانوس ابواب المدينة فيدخلها المسلمون فالبنا هنا لنرى ماذا يكون فالبنا ان سمعنا ضجيج الناس وبكاء النساء والاطفال فتحركت الشفقة في قلوبهم وثارت الحمية في رؤوسهم ولكنهم لا يستطيعون الخروج خوفاً على حياتهم فما طلع النهار الا وقد فتح المسلمون بصرى واعلموا بها الدبف ثم سكنت الغوغاء بعد قتل تراجان وتسلم اهل بصرى

فتفتح سلمان الباب وخرجوا الى شرفة من شرفات المنزل بطل على الشارع  
فراوا جنث بعض الفتلى هناك بين ميت ومنازع وقد تلخخت الانثوب بالدماء  
المسلمون قد توغلوا في المدينة وامتلكوها ولكنهم لم يقربوا منزل عبدالله لوجود  
العلم على بابو

وفيا هم في الغرفة ينتظرون ما تنتهي اليه حال بصرى وقد اطمان بالم سأل  
سلمان حماداً عما تم من امر هند فاخبره بجاية الخبر وكيف شغلتهم الحرب عن الافتران  
وعبدالله يسمع ويخايل حتى انتهى الى عودهم من صرح القدير بخني حنين وحاول  
حماد اذ ذاك ان يبين لسلمان ان عمه جبلة اصاب بذلك وانه لا يزال على حي  
واعتباره وعبدالله لا يوجب ولا يعترض

اما سلمان فتكدر لهذا التغيير وقال وما هو موعد الافتران يا مولاي

قال حماد لما تنتهي الحرب ويرجع جبلة واهله الى البلقاء

قال ومن يعلم متى يكون ذلك

قال الله يعلم

قال انعلم ابن عم الان

قال اظنهم في البلقاء

قال سلمان لا اظنهم هناك فقد انبأنا جليسايس العرب ان جبلة سار برجاله  
الى اليرموك لصرع جند الروم في حرب المسلمين ولا يلبث جند خالد بعد قليل ان  
يذهب الى هناك لنصره المسلمين فاذا كان جبلة في اليرموك لا اظنه يترك اهل منزله  
في البلقاء وفي عرضة افزوات العرب  
فقال سلمان وما ظنك بو اذا

قال اظنه يرسلهم الى دمشق ومع ذلك فاني ارى ان اسير مع خالد حتى آتي  
اليرموك وابحث عن جبلة واهله واعود اليكم بالخبر او لعل اعود اليك برسالة من هند  
قال ذلك وتيسر كانه يريد ان يعث بمجاد فاجابة حماد بمثل ابتسامه وهو ينظر الى ما  
يبدو من عبدالله فاذا هو في شغل عنهم ينظر من نافذة الغرفة الى الشارع والامام  
ظاهر على وجهه وسما قرعة اللجم وضوضاء الناس فالتفتا الى ما هو ناظر اليه فاول  
ما وقع نظرهما على راية سوداء تحنها جند من العرب في وسطهم بعض الفرسان وفي

مقدمتهم فارس كبير النجدة عربى اللحية طويل القامة بعيد ما بين المنكبين واسع  
الميكل كبير العمامة واسع العينين كثيف الحاجبين على وجهه اثر الجديري<sup>(١)</sup> وقد ركب  
على جواد أشهب خفيف العضل يتنقل بهذين كالعروس ويكاد الشرر يتطاير من  
حدقتيه ووراءه فرسان حولم الأعلام وهم فرحون بما اوتوه من النصر فالفت سلمان  
الى عبدالله قائلاً اعرفت من هو هذا الفارس يا سيدي

قال عبدالله قد عرفته من يوم كان في وقعة مؤتة وكنت انا اسيراً عندهم اليس  
هو خالد بن الوليد

قال بلى هو هو بعينى انظر الى هذه القامة وتلك الطامة ان خالداً يا مولاي من  
مجبرات خلق الله لم ار ولم اسمع بمثل شجاعته وشدة بطشه فلا غرو اذا سموت سيف الله  
لقد رأيت منه اعمالاً تعجز عن فعلها الابطال في حروبه بالعراق وسمعت من اخباره  
ما تدبى لمولو الاطفال فقد كان قبل احواله هو المقدم على خيل قريش في الجاهلية فاسلم  
في السنة الثامنة للهجرة مع عمرو بن العاص ولم يزل منذ اسلم بولوى الرسول اعنة التحمل  
في مقدستها<sup>(٢)</sup> وقد علمت ان في عامته خصلة من شعر النبي يتركها بها . وقد شهد  
وقعة مؤتة بالبقاء وعلى اثر ما اظهره من البسالة هناك ساء الرسول سيف الله<sup>(٣)</sup>  
ثم كان عوناً عظيماً للمسلمين في كل حروبهم حتى تولى ابو بكر فانتهى الى فتح العراق  
كما علمت

فقال عبدالله وما هذه الراية السوداء

قال سلمان هذه راية ذات شأن عظيم عندهم ويقال لها راية العقاب  
فقال حماد لم تخبرنا بما فعله المسلمون في العراق هل فتحوا المداين ودوخوا الفرس  
فقال سلمان لو بقى هناك لفعلوا ذلك ولكن خليفتهم استفد منهم لنجدة جند الشام  
ولولا قدوم خالد على بصرى لما استطاع شرحبيل فتحها ففند وصلنا اليهم وهم في شدة  
وجهد وضيق



## الفصل السابع والسبعون

## \* فتح الحيرة \*

فقال حماد اخبرنا يا سلمان عما فتحه خالد من العراق وكيف رأيت حال الفرس  
قال أما خالد فانه من اعظم القواد وخيرتهم وقد لقيناه في الحيرة يوم فتحها وكان  
قبل ذلك قد استولى على بلاد كثيرة بلا حرب لان العراقيين قد ملوا من حكومة الفرس  
وظلمهم وعنوم واحنقروهم لاختلال امورهم . فاول مكان وصل اليه خالد بلاد بانقيا  
وباروسا والليس فصالحه اهلها على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى وفي فريضة  
كان يقبضها الفرس عن كل رأس اربعة دراهم . ثم ساروا الى الحيرة وعلها ايباس  
ابن قبيصة كما تعلمون ( قال ذلك وتنهى ) فانه تولاهما بعد ما قضى الله من امر  
مولانا رحمه الله ( فتهد حماد وعبدالله وهما صامتان بسمعان حديث الحيرة ) فقال  
سلمان لم يكذب خالد الحيرة حتى خرج اليه ايباس وسائر اشراف حكومتها كأنهم  
كانوا منه على موعد فاستقبلهم كما يستقبل الغالب المغلوب ودعاهم الى الاسلام او  
الجزية او الحرب فاخترنا الى البقاء على النصرانية ودفع الجزية فبلغت جزيتهم اربعين  
الف درهم وقد اخبرني بعض رجال خالد ممن بقروا له القرآن انها اول جزية  
اخذها المسلمون من الفرس . ثم تحولوا عن الحيرة وحاربوا الفرس في عدة مواضع  
وفازوا في اكثرها وما فازوا فيه وقعة النبي وقعة اليمامة وقعة الليس<sup>(١)</sup> كل ذلك  
قبل وصولي

أما انا فلما دعيتكم سافرت الى الحيرة فوصلتها والناس يفتدون بها ثم من  
صلحها واهلها بين راض بالصلح وناقم على ايباس وخصوصا الفرس منهم فقد سمعهم  
يتذمرون وكانوا بذلك كسرى ابرويز وكان يتولى عرش الاكاسرة اذ ذلك وشكوا  
ما كان من ضعف ابن قبيصة فانفذ جندا بقيادة رجل من مرزبة اسمع الازاذه  
لحاربة العرب فوصل اليه وانا في الحيرة وكان خالد قد برحها الى بلاد اخرى فانفس

(١) ابن الاثير

النفع ثم سمع الاذابه بقدومو فخرج اليو وعسكر عند الغربين وخرجت انا معهم وعلم ان خالداً ورجالة قادمون بالسفن الفرات وارسل ابنة ليفضع الماء عنهم فوقفت السفن على اليبس فتركها خالد وخرج برجاله على الخيل حتى قتل ابن الاذابه وتقدم خالد نحو الحيرة

ومن غريب الاتفاق اننا بينما نحن في الغربين وصل ساعي البريد من المدائن يحمل كتاباً الي المزيان فلم يكذب بفتح وقرأ ما به الا وقد تغير لونه واستولى عليه الجزع فخاف كل من رآه ولم نعلم ما دعاه الى ذلك الا في اليوم التالي اذ شاع في المعسكر ان كسرى ابرويز قد مات فوقع الاضطراب في الجند وانقلب الاذابه واضطرب ثم جاءه الخبر بقتل ابنه وتقدم العرب نحوه فنهق نحو الحيرة وعسكر العرب عند الغربين أما انا فمما رأيت اخذالاحوال الفرس قلت في نفسي لقد آن الوقت الذي فيه استطيع القيام بالمهمة التي جئت لاجلها فخرجت من الحيرة في ليلة ليلاء حتى اتيت معسكر العرب فالتفت الامان وان ارى الامير خالداً فاخذوني اليو فطلبت الخلوة يو فخلونا فقلت اعلم ايها الاميران حال الفرس في اخذالاحول موت ملكهم وانقسامهم فيما بينهم فقد صالحك ابن قبيصة وهو على صلحك مع سائر العرب واما الفرس فهم في شغل عن الحرب بارتباك داخلينهم واطعنه على خنايا كنت عالماً بها فمررت كثيراً واثني علي فقلت في نفسي هذه فرصة اغتصبها لحظ ما مولاي هناك من الاموال والعقار وكنت قد تفقدت المزارع فرأيت الجميع في انتظار عود الامير عبدالله فطبيت خاطرهم وقلت لهم اني انما اتيت الحيرة لتفقد حالهم واوصيتهم بالمعابة في استغلال الارض فلما اتيت من خالد ارتياحاً الى خدمتي التفتت منه بحماية تلك المزارع فوعدني وقبل هبهم على الحيرة اخذت علماً مثل الذي نصبته على هذا البيت ونصبته هناك وبعد قليل هم المسلمون على المدينة فتفهموا فظلت في مية خالد حيثما ذهب

ويسرني ان اخبركم بان سقوط الحيرة كاد يفضي على دولة الفرس كلها لان الدهاقين وهم ولاة الفرس كانوا ينتظرون ما يكون من حرب الحيرة فلما علموا بسقوطها وهنت عزائمهم فجاؤوا وصاحوا وسلموا اليو فاخذ الجزية منهم وكتب الى اهل فارس يدعهم الى الاسلام ويهددهم بالنقل فلم يكن يمر يوم لا نرى الناس قادمين زرافات ووحداً وخصوصاً عرب العراق وهم النصارى وبعد قليل سار خالد وانا

معه ففتح الانبار ثم عين النمر وغيرهما وقد لحظت منه انه لم يتجرأ على المحير الى المدائن قبل الاستعداد الكافي

وفيا هو في ذلك ورد عليه كتاب من الخليفة ابي بكر يأمر بالذهاب الى الشام لنصرة جند العرب على فتحها فجنبت انا معه حتى اتينا بصرى وهي محاصرة وانا لا اعلم متركما فخطرتي ان اسأل راهبنا الشيخ فاخبرني بمقامكما هنا فتربصت حتى تم النفع كما قدمت

وكان عبدالله وحماة صامتين بصغيان لما يقصه عليهما سلمان فلما انتهى الى هناك قال حماد وما ظنك بنته ففتح العراق فان خالد لم يفتح منها شيئاً كثيراً والمدائن لا تزال على ما هي والفرس لا يزالون حاكمين

قال رويديك يا سيدي ان العرب لا يلبثون ان يعيدوا الكوفة واطنهما تكون الفاضية وخالد لم يأت بصرى الا مدداً لجند الغمام فطلب نفياً ان الله سينم انتقامه من اولئك النعاغم

فقال عبدالله وما العمل الآن

قال سلمان ارى يا سيدي ان ابقي انا مع خالد كما كنت فاصبر معه الى اليرموك فندت ان العرب معسكرون هناك يتوقعون قتالاً شديداً وسيصير خالد لجندهم

فقال حماد وابن اليرموك

قال هي على مفرقة منا غرباً على نهر يقال انه نهر اليرموك يصب في نهر الاردن وقد عسكر العرب عند مائه

فتهد حماد وفي نفوسهم شيء يكتنه

فادرك سلمان انه يفكر بهند وجيلة فقال ولا بد من ان يكون جيلة مع جند الروم اذا جاء اليرموك فلا اعدم وسيلة استطلاع بها مفرهند فابعث اليكم بجيهرها

فقال حماد لا ترى ان نسير جميعاً مع خالد

قال سلمان لا ارى حاجة الى ذلك بعد ان اوعز اليك جيلة بالاقامة هنا ريثما يبعث اليكم فلعله ان يفعل ذلك وانهم بعيدون عنها فتزوت الفرصة واما اذا سرت انا وبقينا انا هنا فنكون قد امسكنا الحبل من الطرفين

اما عبدالله فظل صامئاً وحماد ينظر اليه فادرك انه غير راض عن كلام حماد

فقال ما رأيك يا والداه  
فقال عبدالله الرأي رأيك يا سيدي ولكنني ارى جبلة واهل منزلولا بينهم شيء  
من امرنا اقمنا في بصرى ام رحلنا عنها بذلك على ذلك سكونهم عنا وقد اصاب بصرى  
ما اصابها من الحرب ولولا ذلك لبعثوا يفتقدوننا  
فقال حماد ولا نظنهم اهلوا بما آلت اليه حالنا وهب انهم اهلوا فكيف يستطيعون  
الوصول اليها والمدينة محاطة بالعدو . فلما رأى حماداً بدائع عن جبلة قال لعل لم  
عذراً وسكت

ثم خرج سلمان الى معسكر خالد ليرى ما تمّ عاين الامر فرأى العرب قد ولوا  
رومانوس بصرى<sup>(١)</sup> واخذوا يستعدون للمسير فعاد فاخبر عبدالله وحماداً بذلك  
وهمّ بوداعها فقال له حماد لا ارى ان اوصيك بانقاذ خبر جبلة اليها على عجل واطلاعا  
على ما تمّ لاهل بيتي وابنهم

قال سمعاً وطاعة وسيأتيك الخبر سريعاً ثم ردعها وخرج  
ولم يكن سلمان اقل من حماد قلماً على هند وقد شارك عبدالله في ارتياح من  
جبلة فعول على استطلاع كبر الامر وانقاذ ذلك الى سيك وفي اليوم التالي اقلع خالد  
وشرحيل وجنداهما الى اليرموك

## الفصل الثامن والسبعون

### \* وقعة اليرموك \*

ولما تكامل جمع المسلمين في اليرموك بلغ عددهم ٢٦ ألفاً منهم تسعة آلاف بقيادة  
خالد فقيم ألف من الصحابة من جملتهم مئة من شهدوا وقعة بدر الكبرى<sup>(٢)</sup> ومن قوادهم  
ابو عبيدة بن الجراح وعمر بن العاص وشرحيل وابو سفيان بن حرب وكانت الحرب  
بينهم وبين الروم قبل قدوم خالد نماندا اي كل امير على اصحابه لا يجتمع احد<sup>(٣)</sup>  
وكان ابو بكر قد ولي خالداً القيادة العامة على جند الشام كافة والناس مجسبون

ابا عبيدة بن الجراح اولى منه بتلك القيادة فوقع بين المسلمين اختلاف من هذا القبيل فلما جاءهم خالد حاول جمع كلمتهم وقد ادرك ما في نفوس بعضهم فوقف في الجاهل وقد اجتمع الامراء حوله وقال « ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا الذي اخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلو قوما على نظام وتعبية وانتم متساندون فان ذلك لا يبل ولا ينبغي وان من ورائكم لو يعلم ذلكم حال بينكم وبين هذا فاعلموا فيما تؤمروا به بالذي ترون انه رأي من واليكم ومحبة » قالوا « مات فما الرأي » قال ان ابا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنبتاسر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين ما قد غشبههم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقص منه ان دان من الامراء ولا يزيد عليه ان دانوا له . ان تأمروا بعضهم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد هموا وان هذا يوم له ما بعده ان ردديناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردم وان همونا لم نفلح بعدها فلهلموا فلتعاور الامارة فليكن بعضنا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني انا أمر اليوم » فامروا وهم يرون انها كخرجاتهم وان الامر لا يطول <sup>(١)</sup>

فغضب سلمان الجمارة خالد وحزموا ولكنه اخذ منه وصوله بجاول الخروج الى معسكر الروم ليرى جيلة او يسمع خبرا عن منه فصعد الى ربيعة على ضفة ذلك النهر ونظر الى معسكر الروم فرآه قد ملأ النضاء وفيه الرايات والصلبان فامعن نظره فيه فرأى معسكر الفسانيين منفصلا الى جانب وشاهد راية جيلة وفسطاطة في وسطه فحدثته نفسه ان يسير اليه ولكنه خاف ان يستغشاه المسلمون اذا رأوه فوقعوا به شرًا فرأى ان يذهب اليهم بمجولة الجاسوسية فعول على ان يخاطب خالدا في ذلك فسار الى فسطاطه فرأى الامراء يتزاحم فيه وقد اجتمعوا للمناوذة في امر الحرب فهاب الدخول مخافة ان يسمع انتهارا فصبر حتى ارضى الجميع وبقي خالد وحده فالتبس الدخول عابو فاذن له فدخل وقبل بك فقال خالد ما خبرك قال هل يا ذن لي . ولاي بكلمة اعل فيها نفعاً

قال قل

قال هل بعثتم من يستطلع اخبار العدو ويسبق قواتهم ومواقعهم وعدد جندهم

قال لقد فعلنا ولكنني ارى انك احذرهم بذلك

قال اني عبد مطيع فاذا رأيت ان اسير في الامر فعلت

قال سر وافعل

فقبل بك وخرج فتزبأ بزي الغسانيين وسار حتى اختلط بالغسانيه فالتقى بأناس عرفهم في البلقاء فظنوه كان معهم من ذي قبل فاستطلعهم خبر هند فعلم انها مع والدتها في دمشق ثم استخبر عن قوات الروم فعلم اجمع في كثيره وفيهم عشرون راية بعضها لاهل الدولة وبعضها للجنادات من الارمن<sup>(١)</sup> والسريان والمصريين وان جملة الجند ٢٤٠ ألفا ما عدا العرب المنتصرون من الغساسنة وغيرهم<sup>(٢)</sup> فوعت في نفسو من ذلك رهبة وخاف انتصار الروم وتردد في الرجوع الى خالد ولكنه قال في نفسو اذهب الآن الى المسلمين فاذا رأيت فيهم تضعفأ فررت الى الغساسنة

فلما سدل الليل نقابة عاد الى معسكر المسلمين واطلع خالدا على حال الروم

فقال خالد لا يهنا امر كثيرتهم فكم من فئة قاياة غلبت فئة كثيرة باذن الله

فقال سلمان ليست القوة في الكثرة يا مولاي ولكنها في الانواء فقد علمت ان

هؤلاء الجند منقسمون فيما بينهم لا فئلاف اغراضهم ومشاربهم ثم ودعه وخرج

وهو يفكر في طريقة بوصل بها خبر هند الى حماد

فلما اصبح الصباح سمع التكبير والاذان في معسكر المسلمين وقد قام الناس وقعدوا واخذوا يتأهبون للقتال فوقف بنظر الى كثرة نظامهم فرأى خالدا قد وقف في وسط الامراء طمران تنظم الجيوش كراديس فقسم الجند ٢٦ كردوسا وجعل قلب الجند كراديس واقام فيه ابا عبيدة وجعل المينة كراديس واعلمها عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة وجعل الميسرة كراديس واعلمها يزيد بن ابي سبيان وجعل على كل كردوس رجلا من الشجيمان وفيما خالد يهي الجند على هذه الصورة سمع بعضهم يقول ما اكثر الروم واقل المسلمين فقال خالد بل قل ما اقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالصرون والخذلان فوالله لوددت ان الاشقر ( يعني فرسه ) يراى من توجهه

وانهم اضعفوا في العدد وكان الاشقر قد حفي في ممين . ثم امر ان يبدأ بالقتال فحاذر سلمان ان تصيبه بنبلة ففتنى وهو خائف ان تعود العائلة على المسلمين لقتلهم وكثرة الروم فوقف في معطف يؤدي الى جند القساسنة فرأى على مقربة منه رجلاً من جند المسلمين وثوقاً فتألمهم فرأى بينهم اباً سفيان وكان قد عرفه في بعض اسفاره مع سيد عبد الله الى انجاز فتذكر ما كان من حديثه في بيت المقدس وكان قد رآه يوم اعتناقهم الاسلام عند فتح مكة فاستغرب وقوفة هناك والحرب منسببة فدنا منه وابو سفيان لا يراه فسمعه يخاطب رفقاءه فيقول « يا مشبغة قريش ومهاجري النخع (وم الذين هاجروا يوم فتح مكة واسلموا) لا يهتبا من هذه الحرب الا الانجاز الى الغالب فاذا غلبت الروم كما معهم واذا انتصر المسلمون فاننا معهم » فحبب سلمان لكلامه وعلم انه اذا اسلم خرقاً على حياته لا رغبة في الاسلام ولكنه ظل في ريب من هذا الامر فصاح بسمعه لما يقرب بعد ذلك فراه اذا نهقرت العرب وتقدم الروم قال « ايه يا بني الاصفر » (يعني الروم) واذا مالت الروم وتقدمت العرب قال « وحب بني الاصفر »<sup>(١)</sup> ولم يكذبوا سفيان يتم كلامه حتى صاح باعلى صوته آه فنظروا واذا بنبلة اصابت احدى عينيهِ ففقأها فقال سلمان في نفسه لقد قال هذا الرجل جزاءه . وخاف سلمان البقاء هناك ثلثا يصاب بنبلة فسار الى ناحية اخرى والحرب قد حسي وطيسها فرأى بريداً قادماً من جهة البلقاء فعرف صاحبه وكان قد عرفه في الحجاز فعلم انه بريد فادم من المدينة بخبر جديد فمفرس سلمان في صاحب البريد فراه مسرعاً وعلي وجهه امارات البغية فتأداه فوقف فقال سلمان هل تريد الامير خالداً قال نعم ابن هوقال في المعركة ولحقني اوصالك الى قسطاطو فصارا معاً وعينا صاحب البريد على الجند وحركاه فلما رأى جند العرب ظافراً لم يبالك ان قال « ألم يكن مقدوراً لابي بكر ان يسمع بخبر هذا النصر قبل موتو » فقال سلمان وهل مات ابو بكر

قال نعم لقد مات وانا انما جئت بخبر

فقال سلمان ومن تولى بعد

قال تولى الامام عمر بن الخطاب وهو رجل ذو بطش وقوة وحزم

فبغت سلمان لذلك الخبر وقال الا نطن وفاته نوثر شيئاً في مجرى الاحوال  
قال كلاً ولكن عمر يفضل ابا عبيدة على خالد وقد افندني بعزل خالد عن قيادة  
هذا الجند ونولية ابي عبيدة على انني لا ارى ان ابلغهم الخبر قبل انقضاء الواقعة لئلا  
ينفعلوا ويختلفوا فيما بينهم . فقال سلمان حسناً ففعل فقل لي ما الذي حمل الخليفة  
عمر على نقل القيادة الى ابي عبيدة العامة اشجع من خالد  
قال كلاً ولكن ابا عبيدة رجل كرم الاخلاقى لئن سهل حلیم رؤوف وهو اقدم  
في الاسلام من خالد والقيادة تحتاج الى حكمة وتأن اكثر من حاجتها الى الشجاعة  
قال سلمان نعم ولكنني علمت ان النبي سمى خالدًا « سيف الله » أفليس هو  
احق بالقيادة . قال ولكنه ( صام ) سى ابا عبيدة « امين الامة » وكان يحب صحبة  
والانصاق به <sup>(١)</sup> والحق يقال ان كليهما فرد ولكن للخليفة رأياً في ذلك فانه ساخط  
على خالد بسبب حكاية وقعت منه في ايام ابي بكر  
فقال سلمان هلم بنا نجلس في مأ من ريثنا تنقضي الحرب لانهم اذا رأوك لا ينفكون  
عن مؤالك حتى تغربهم بموت ابي بكر وعزل خالد  
فاستحسن صاحب البريد الرأي وعرج مع سلمان الى شجرة زاربا وراء جذعها  
فاخذ سلمان يستنهمه عن كيفية موت ابي بكر وولاية عمر  
فقال صاحب البريد لما احس مولانا الخليفة ابو بكر بدنو الاجل واسفاه عليه  
دعا كاتبه عثمان بن عفان وقال له اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر  
بن ابي قحافة الى المسلمين اما بعد . . . » ثم اغي عليه وكان عثمان وسائر الصحابة لا  
يرون احق في هذه الخلافة من عمر بن الخطاب لاشتهاره بالعدل والحزم فانهم  
الوصاية عثمان من عند نفسه فكذب « اما بعد فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب  
ولم آلكم خيراً » ثم افاق ابو بكر من غشوته فقال لعثمان اقرأ فقرأ ما كتبه فكبر ابو  
بكر وقال « اراك خفت ان يخاف الناس ان يموت في غشيتي هه » قال « نعم »  
قال « جزاك الله خيراً عن الاسلام واملو » ثم قرأ هذا العهد على الناس ولما قضى  
ابو بكر بايعه عمر وهو الآن خليفة خليفة رسول الله وقد سموه امير المؤمنين تخلصاً  
من تكرار انط خليفة لمن يتولى الخلافة بعد

وفيها في الحديث وأعينها شائعة نحو المعركة رأيا جند الروم قد تنهضوا وعبر  
العرب خندقهم واستولوا على أسلحتهم وفرّ الروم ومن نصرهم من العرب المصرة وغيرهم  
وتمّ النصر للمسلمين ولم يبق إلا القليل حتى عاد المسلمون بالغنائم من الأثاث والحلى  
والأسلحة وغيرها. فمضى سلمان وصاحبه نحو فسطاط خالد فرأياه عائدًا وحوله الأمراء  
على غير نظام لما دار بينهم من احاديث النصر

فحالما وقع نظر خالد على صاحب البريد عرفة فبعث اليه فتيعة الى انفسطاط  
فاذن بدخوله فدخل وانبا خالدًا بموت ابي بكر وخلافة عمر وعزل وولاية ابي عبيدة  
فاوصاه خالد بكتمان الخبر عن كل انسان <sup>(١)</sup>

اما سلمان فانه عاد الى مشاغلو بامر هند وثق عليه انهزام جيله وخاف ان يكون  
قد قتل ثم علم ببقائه حيا فمال بكينته للدهاب الى حماد بطلعة على ما علمه عن هند  
ولكنه اراد استطلاع نية المسلمين ووجهة مسيرهم قبل ذهابه وقضى ايامًا يبحث عن  
ذلك فعلم انهم عازمون على دمشق فخاف على هند لعلها فيها وودّ لو يعلم ابن  
والدها وما هو عازم عليه بعد شغوص العرب الى الشام فعول على استطلاع ذلك من  
جيلة وقد علم بانهم زامو فخرج من معسكر العرب يبحث عن جهة مسيرهم فقبل له انه سار  
في جملة منتهزمي الروم الى حمص والامبراطور هرقل فيها فنصد حمص

## الفصل التاسع والسبعون

### \* خبر مفاجئ \*

تركنا حمادًا وعبد الله في بصرى ينتظران عود سلمان بخبر اليرموك ومقام هند  
وحامد كثير القلق لا يرتاح له بال على هند وقد حدثته نفسه بفتر أصابها او بنشل  
يهدده على اثر ما فاساه في سبيل الحصول عليها من الأسفار والاختار ونهبًا لانهما  
خرجت من يد وهبت مساعيو كلها ادراج الرياح فعظم عليه الامر فأنس في نفسه

(١) ابن الاثير وابن خلدون

مهيلاً الى المسير اليها واستطلاع ما في نفسها من قبله ولكنه لم يكن يعرف مقرها فلبث ينتظر رجوع سلمان بالخبر اليقين  
 وكان يتلأه بالخروج الصبد ونحوه وهو لا يهدأ له بال وادرك عبدالله في ذلك وهو يتجامل وينظران بفرح حاد من هند ويلتبس العدول عنها من تلقاء نفسه وقد فاته قول القائل

واذا تألفت القلوب على الهوى \* فالناس تضرب في حديد بارد  
 فكان بصاحبه الى الصبد ويكثر من محادثته في شؤون مختلفة الا مسألة هند فانه لم يكن يفتحها قط . ولم تض ايام حتى سمعا بانهمزام الروم في البرموك فصارا يتوقعان سرعة رجوع سلمان

ففي ذات يوم بهض حماد صباحاً واخذ يتأهب للخروج الى الصبد وفيما هو يفتش بين اثنا وسلاحيه عثر على السهم الذي البسته اياما هند يوم المباح ولم يكده ينظر اليها حتى اخذها فلبث لما مر في ذاكرته من حوادث الحب فغض عليه احتياصاً في بصرى لا يعلم مقر حبيبته مع ما ظهر له من جفاء والدها وفنور والده ( عبدالله ) وما قام من الحروب ما زاد الامر اشكلاً . فوقف برهة ينظر الى الدرع ويقلمها بين يديه وهو غارق في بحار المهادس حتى غلب عليه اليأس وكادت الدموع لتناثر من عينيه وكان عبدالله غافلاً او متغافلاً عن ذلك وقد خرج لنضاء حاجة له وترك حماداً في الغرفة وحده

فلم يكده حماد يحلو بنفسه حتى سمع صهيل جواد غير جواد وغير جواد عبدالله فانبه بغنة واطل من النافذة فاذا برأكب ترجل ودنا من الباب وهو في ريب من امر اهله فامعن حماد نظره فيوه فلم يعرفه فلاقاه الرجل بالباب وقال هل هنا منزل الامير عبدالله العراقي

قال حماد نعم هو هنا

قال واين ابنة الامير حماد

قال هو انا ماذا تريد

قال ان بعض الناس في حاجة اليك ينتظرونك في دير مجبرا

فلما سمع حماد ذكر الدير خفق قلبه والتمس بدوم القادم فقال للرسول اني سائر

الى هناك علي عجل فودعه وركب وعاد حالاً  
فاسرع حماد في لباسه قبل ان يأتي عبدالله ولكنه لم يكده يخرج حتى لقبه عبدالله  
فاستغرب ركوبه قبله فاعنذر بانه بود الخروج لزيارة الدبر وحده فاذعن له وهو في  
ريب من الامر

فهز حماد جواده ولم يتف الا امام باب الدبر فرأى هناك فرساً عرف انه من  
افراس اهل صرح الغدير فاستبشر ودخل الدبر بطاول بعنفه وبحقد بعينه فرأى  
امراً عرّفا لاول وهلة انها من خادمت همد وهي التي حملت اليه الرسالة الاولى  
قبل ذهابه الى بصرى

حنيفة وهمت بتقبيل يده فرد السلام واسان حاله يقول قولني ما خبرك . فمشت  
امامة الى غرفة هناك فبعها فلما وصلا الغرفة مدت يدها الى انيابها واستخرجت مندبلاً  
دفعته اليه وهي تقول ان . هديتي هداً تعلم عليك وقد ارسلت اليك هذا المندبل .  
فقلب المندبل بين يديه فاذا فهو كتابة كُتبت بالدم بالاحرف النبطية وهي قولها  
« لم نكد نفرح بنجاتنا من ذلك الثعلب حتى عاد الى مصاحبة والذي وعاد الى مطالبه  
الاول وانت تعلم ان الموت اهون مراساً عليّ من ذلك فادركني فل فطأت الفرصة  
فاني مقبلة في دمشق ولعل حامل كتابي ان يذكرك ايضاحاً » فلم يفرغ من  
قراءة هذه الكلمات حتى ارتعدت فرائضه والتفت الى المرأة بمنظورها المخبر فقالت ان  
مولاتي همداً مقبلة في دمشق في منزل قرب كيسة مريم وقد بعثني بهذا الكتاب  
واوصني بان اسلمه اليك يداً بيد في هذا الدبر فبعثت الرجل حتى اتى بك من  
بصرى وهذا هو الكتاب

قال نعم قد قرأته ولكنني لم افهم حنيفة المراد فهل تعلية الآن في دمشق

فالت كلاً بل هو مع سيدي جبلة في جد الروم بمحبص

قال وما الذي جمعه بالامير جبلة وقد كنت اعلم انها متخاصان

فالت نعم انها كانا متخاصمين ولكنها تصافيا بعد انكسار جنودها في واقعة اليرموك

فقال حماد وكذلك يتصافى العدو ان اذا اصيبا بسوء معاً وماذا جرى بعد ذلك

فالت وكما متبين في دمشق مع سيدي همد والدتها وسائر الحاشية كما ذكرت

لك فلم ندر الا وكتاب وارد من سيدي الامير جبلة الى سيدي الاميرة سعادتي يندبها

بقرب قدومو مع ثعلبة الى الشام لعقد اقترانو على هند في اثناء مهادنة العرب فلم تنالك  
سبدي عند تلاوة الكتاب عن ان تخبر هنداً بو فاسرت سبدي هند الى واقعة المحال  
وبعثني في هذه المهمة وواوصتني ان التي اليك الامر كما وقع لتدبر في انقاذها فانها  
تنفل الموت على الاقتران بو

فلما سمع حماد ذلك الحديث ثارت الحمية في رأسه وانفدت نيران الغيرة  
في قلوب وودّ لو ان له اخوة ليطير الى دمشق حالاً ولكنه لبث برهة يفكر ثم قال  
للرأة وابن ثعلبة الآن

فالت هو مع سبدي جبلة بجوار حصص ولكنني اظنه افلح فاصداً دمشق  
فازداد قلقاً واخذ يحظر في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم قال لها ارجعي الى سبتك  
واخبريها اني قادم اليها على عجل وربما وصلت دمشق قبلك  
فالت وماذا يؤكد لها اني اتيك وقصصت عليك الخبر ألا تذكر لها علامة  
تبين لما ذلك

ففكر قليلاً ثم قال فولي لما ان صاحب البرد والخاتم قادم اليك وهذا يكتي  
فودعته وركبت وركب الخادم ورجعا  
اما هو فوقف يفكر في حاله مع عبد الله وتردد بين ان يعود الى مصر فيجوز  
بجيلة الخبر او ان يسير نوا الى دمشق فليتب به في حيرة حتى خاف ان تنوء الفرصة  
فذهب الى غرفة الراهب الشيخ فاذا هو متكئ في فحماه فرحب به وسأله عن امره فقال  
لقد جئت بك بوصية ارجو ان تبلغها الى الامير عبد الله  
قال وما ذلك

قال اذا اتيته قل له اني سرت الى دمشق لامر هام وساعود اليه فاذا استبطأ في  
فلهدركني هناك

قال سافعل ذلك ان شاء الله  
ودعه حماد وخرج على جواده فاصداً دمشق



## الفصل الثمانون

### ﴿ هند في دمشق ﴾

فلنترك حمادًا سائقًا فرسه الى دمشق ولنذكر ما تمّ له بعد سفرها من صرح الغدير فقد تركناها بعد وداع حماد حائرة منقبضة النفس وقد خافت ذهاب آمالها ادراج الرياح لما آتته من جفاء والدها على اثر ما سمعه عن نسب حماد . فلم يكده ينطاري حماد عن عينيها حتى احسبت بالغلاخ قلبها فانزوت في غرفتها وعادت الى البكاء وكان والدها في شغل بأمر اهل النصر بالاستعداد المسير في صباح الغد فجاءت سمدي الى غرفة هند وقد ادركت حالها وتوقعت بكاءها فأخذت تطيب قلبها وتوحيها بالوعد وهند لا تزداد إلا بكاء فقالت سمدي لا يفيدنا البكاء يا ولدها وإنما نحن في موقف حرج لا بد لنا فيه من الحكمة فاصبري وتبصري عسى ان تكون العاقبة خيرًا

فتنهت هند وصاحت بها « دعيني يا امه لقد كفاني ما قاميت من انواع الشقاء وما سمعته من الوعود فقد كان عذركم في رفضو جهلكم نعمة ثم قبلتموه على غيوض نسو فبالكم وقد علمتم بشرى اصابو تترددون اليس ذلك لسوء حظي وللشفاء الذي كتبه الله عليّ » قالت ذلك واوغلت في البكاء فبكّت سمدي لبكاها ولكنها تجادت وطببت خاطرهما وقالت لما اسكني لئلا يسمع والدك صوت البكاء فيزيد الخرق اتساعاً اما انا فاني ضامنة لك ما تريد فان حماداً لك وانت له فلا تجزعي واخذت تخفف عنها حتى سكن روعها ومسحت آمالها ولبثت صائمة وقد ذبلت عنهاها وتمكرت وتكمرت اهداها واخذت تراجع في ذاكرتها ما مرّ بها من الامل الى بسبب الحب وكيف كانت قبل ذلك المباح خالية الذهن ساذجة لا تعرف مناعب الهوى وكانت تتعزى بها ترجوه من لهما الحبيب ولكنها تذكرت انه خرج من الصرح منقبض النفس منكمر القلب فكبت اليو ذلك الكتاب الى دير بجهراء تلتبس صبر

وفي اليوم التالي سافر اهل الصرح جميعاً الى البلقاء فاقاموا هناك الاّ جيلة فانة سار الى الامبراطور هرقل في حصن فامس باعداد الرجال من غسان وغيرهم وكان

ثعلبة قد ضعف امره واهله جيلة لما قام بينها من الضغائن بعد وفاة الحارث ولكنه اصبح بعد ما عرفت عن نسب حماد ، مبالاً الى مصافاة ثعلبة لعله يتزوج هنداً فينجي ملكة من الخروج الى المناذرة . فلما احتاج الى الرجال من غسان اضطر الى استئجار ثعلبة فكتب اليه فاجاب برجاله وانضم الى رجال جيلة وما على ظاهر الفئور ثم علم جيلة بقدم المسلمين الى اليرموك وبصرى فخاف على اهله في البلقاء فاستقدمهم الى دمشق واسكنهم بيتاً مع نساء بعض اصدياقه من رجال الروم هناك بنرب كنيسة مريم واشتغل هو في حرب اليرموك وغيرها فلما قضى على جنده بالانهزام في وقعة اليرموك شعر بزيادة الميل الى مصافاة ابن عمه ثعلبة وذلك طبعي في جسم العمران بل هو جاري في سائر انواع الحيوان فاذا رايت ديوكاً في منزلك لتخاصم وتضارب وقد عسر عليك مصافاتها اجمعها في قنص وامنع الطعام والماء عنها فلا تلبث ان تراها قد اصطحبت ونصفت . كذلك الناس فانهم لا يزالون في خصام وتناحر حتى يصيبهم ردة ويفتعل جميعاً في مصيبة واحدة فتراه قد تأملت قلوبهم واغضط عن المطابق . فلما اصاب الفساسة في اليرموك اجتمع جيلة وثعلبة للنظر في احوال المجد وكان ثعلبة قد ذاق مرارة الجفاء وصغرت نفسه فلما رأى من ابن عمه مؤانسة وتقرباً زاده رقة وامتناساً فاجتمع قلباهما . ولم تطل المصافاة قبل ان جرئها الى حديث الاقتران فتعانتا وتذاكبا لما مر من الجفاء بينهما فاعندركل منهما عذاراً انقلها لنفسه وكان ثعلبة اكثرهما مروراً بذلك لانه اصبح بعد موت والده ضعيفاً مريضاً . وقد علم انه اذا تزوج هنداً كان الحارث الوحيد لرئاسة غسان جميعاً وكان قد درس اخلاق عمه جيلة وعرف احوال قلبه فتظاهرها ينطبق على نياتو حتى حجب اليه مصاهرته ووعده بهند

اما جيلة فانما حمله على مصاهرة ثعلبة استئفاء الحكومة في بني غسان وانقاذها من المناذرة ولولا ذلك لما رأى في ثعلبة ما يقرب منه او يفضل به حماداً فلما تحقق ثعلبة رضا عمه سأل عن يوم الاقتران فقال جيلة اري ان يكون بعد انقضاء الحروب بيننا وبين المسلمين

فقال ثعلبة ولكن تلك المدة لا حد لها يعرف وما ادرانا متى تنتضي وكيف يرتاح بالناس واهل البيت متنبون في دمشق ونحن لا نستقر على حال فاذا رأى عي ان نستعمل الاقتران كان ذلك اقرب الى جمع الشمل

فاجابه جيلة الى مرامو وكانا يجوار حص بعد وقعة الهرموك فكاتب جيلة الى سعدى بنيتها نتيجة ما دار بينه وبين ثعلبة وبين الوجه الذي حمله على اختياره دون حماد فقال « وفي زواج هند ثعلبة نمتقي الملك في القساسة وتخلصه من خطر الوقوع بين ايدي المناذرة » واصاها بالذهب لعقد الاقتران قريباً ولم تتم سعدى قراءة ذلك الخبر حتى تناثرت الدموع من عينيها لما تخشعاً على هند اذا علمت بما نواه والدها واعادت تلاوة الكتاب بتمعن فادركت سبب تغبرز وجهها على حماد وندمت على ما فرط منها من اطلاقه على حقيقة نسب حماد وشعرت انها في السبب في كل هذه المتاعب فرأت انها مطالبة شرعاً بانقاذ ابنتها من مخالف ثعلبة فضلاً عما في نفسها من الاحقارلة فاخذت تفكر في طريقة فصل بها الى ذلك والوقت ضيق لا بأذن بالصبر والتؤدة وكانت هند تلاحظ فيها ارباباً كما ونساءً لما عن السبب فتتجاهل وما زالت سعدى في مثل ذلك يومين كاملين حتى خافت فوات الفرصة فرأت اخيراً ان تستقدم حماداً على عجل وهند لا تعلم فاذا حضر شاورته في الامر . فكاتب الى حماد الكتاب الذي تقدم ذكره بحبر من الدم استغفاناً له على القدوم وبعثت الكتاب مع خادمة يعرفها حماد كما تقدم

## الفصل الحادي والثمانون

### \* حصار دمشق \*

ولم يتوار حماد عن بصرى حتى ادرك صعوبة المسير الى الشام وحده وهو لم يطرق تلك البلاد الا قليلاً . واقترب الطرق بين هاتين المدينتين ثم في حوران والنجف وكلا الصعيين وعمر خطر وهناك طرق اخرى تختلف بعداً ووعورة فلم ير له بداً من اصطحاب الدليل فاختر دليلاً من سكان بصرى فعمار شالاً يقطع الجبال والادوية والهمول والغابات لا ينال الا قليلاً ولكنه ناه مرة فاضاع يوماً كاملاً حتى اهتدى الى الطريق فبعد بضعة ايام اشرف صباحاً على غوطة عظيمة وقد استقبلها بوجهها والشمس من ورائها فظهرت له ظهوراً واضحاً فاذا في مساتين واسعة الاطراف فيها الاغراس

الشمس والرياح والليل والنهار وتتناغي فوقها الاطيار وظهرا من وراء تلك القوطة ابنة تطارت وراء الغبار فوقف بنظر الى ما حوله وقد تعب جواده فسأل دليلاً عن تلك الابنة وهذه الغيظان فقال انك يا مولاي في شوطة دمشق المشهورة بغضاها وبساتينها وبهاها وما تلك الابنة التي تبدى لك من وراء القوطة الا دمشق النخياء مقر والي الروم فقال حماد وما هذا الغبار الذي يكاد يحجب المدينة عنا

قال لا ادري ما هو ولعله غبار جنود الروم وقد خرجوا للمبايعة او هو غبار جنود المسلمين فقد بلغني بالامس من بعض القادمين من جهات الروم ان المسلمين لما غلبوا الروم هناك عزموا على دمشق ولا يبعد انهم جاؤوها وحاصروها

فاستعاذ حماد بالله وخاف ان يكون كلام الدليل صواباً فيبتلع عليه الدخول الى المدينة وربما وقع بين ايدي المسلمين ابراً ولا يدري ما ينبغي منهم فنذكر سلمان لاحتياجه اليه في تلك الحال وندم لمحبته منفرداً ولم ير ليدو من به مشيرون ويعتمد عليه غير ذلك الدليل وكان الدليل شاباً من عرب الفساسة المقيمين في بصرى في العشرين من عمره يتكلم العربية واليونانية فقال له حماد اتعرف دمشق وهل دخلتها قبل الآن قال اعرفها جيداً وقد اتممت فيها اياماً وكثيراً ما جئتها مع والدي لوفاء

النذور او الصلاة في كنيسة ماري يوحنا المهدان

فقال حماد وهل تعرف كنيسة مريم

قال نعم اعرفها فانها في شارع مستقيم طويل يقطع المدينة من طرفها الغربي الى الطرف الغربي اي من الباب الغربي الذي يستقبلنا عند اوتل وصولنا المدينة الى الباب المقابل له في الطرف الآخر منها في الغرب ويقال له باب الحماية

فاستبشر حماد باصطحاب هذا الدليل ليعينهم في الوصول الى منزل هند فاخذ يملط في معاملته ويسترضيه بالاكرام والمدايا وهو يزداد رغبة في خدمته وبعد ان وقنا برهة ركب حماد وسار الدليل في ركابه وسارا في القوطة والاشجار فظللها ولم يمسرا قليلاً حتى غابت المدينة عنهما ثم اشرقا على مرتفع اطلأ منه على سهل امام دمشق فرأيا بالحنام والاعلام والحنول والرجال قد ملأت ذلك الفضاء

فامعن حماد نظره فاذا في اعلام المسلمين وخيامهم وتحقق ذلك ما شاهدك وراءها من مراض الجمال ومساكن النساء فابتن بعرقلة مساعيه وعلم انه لن يستطيع الدخول الى دمشق وخاف المسير الى مسكر العرب اثلاً بمنغشوه فيلحقه بوضراً فوقف حائراً لا يدري ماذا يعمل وفيما هو بهم باستنهام الدليل عن سبيل يدخل في المدينة سمع قرعة لجسم وقع حوافر خيول على الحصى في جدول جف مأوى بين الأشجار فأوجس خوفاً وحول عنان جواده نحو الصوت ونهبا للدفاع وار الدليل فالتهدر بين الاشجار ينشوف من خلاها وحماد يصيح بعمه فلم يكذبف هنيهة حتى سمع صوتاً ينادي باسمه فتحقق قلبه لاستنماؤهم بذلك الصوت فاجابه للآل « من انت » ثم ادرك انه صوت الامير عبدالله ولكنه استبعد ان يراه هناك وعهدت بوضراً في بصرى ثم ما لبث ان رآه قادماً على جواده ووراءه فارسان عربيان فتحقق انه هو بعينه واحس بأفراج الازمة واستغرب مجيئه فاذا ببعد الله قد ترجل وضمت حماداً وقبلة .

فقال حماد ما الذي جاء بك يا أبتاه

قال جئت لحراستك يا مولاي وقد علمت من الراهب الشيخ انك شخصت الى الشام فاسرعت اليك لعلني بما قد تلقاه من العراقيل في سبيل الدخول اليها وقد صادف ظني محلة وشكرت الله لمجيئي لاني رأيت العرب محدقين بالمدينة وقد حاصروها حصاراً شديداً ولولا سابق معرفتي ببخايد بن الوليد لما تمكنت من خدمتك وقد مضى عليّ يومان اطوف هذه البقاع ومعني هذان الفارسان تتوقع وصولك لنشرب بك الى خالد وقد امننا ووعد بمحاطتنا

ففكر له حماد واثني على غيبرته وسأله عن حال المدينة فقال انها في حصار شديد لا بدخلها ولا يخرج منها احد . وانت ما الذي جرّك الى هذه المخاطرة . فنصّ عليه حكاية وطلعه على كتاب هند والتجمل ظاهراً على وجهه

فحدثته نفسه ان يلقي عزمه عن هند ولكنه علم انه لن يصادف منه اصدقاء فضلاً عما قد يلجئه اليه من التستر في اعماله فشجعه وقال له لا بأس عليك يا ولدي فان ثعلبة لم يستطيع دخول المدينة ولن يستطيع

فقال وما الذي انبأك بعدم دخوله

قال لم يهتني احد واكنني عرفت ان الفاسقة كلهم وفيهم جيلة وتعلبة متببون في حصص خوفاً من هجمات المسلمين وكان هرقل قد انفذهم مع جند الروم لفتح دمشق فلم يستطعوا دخولها فعادوا على الاعقاب<sup>(١)</sup>  
قال وما العمل الآن

قال هلم بنا الى معسكر خالد فانهم يتوقعون عودتنا لنقيم بينهم ونكون في ذمتهم اذا احببت الرجوع الى بصرى فان ذلك آمن لنا وايضا

فصمت حماد ولسان حاله يقول « كيف اعود عن دمشق وهذا محصورة فيها » فابتدعه عبدالله قائلاً لا بل ارى ان نقيم مع المسلمين لعلنا نستطيع امرًا ننفذ به وهذا من الخطر . فابرت اسرع حماد لما آتته من مجارة عبدالله فقال . نعم الرأي رأيك فهلم بنا . وهو بالمهر نحو دمشق فقال الدليل هل ترى حاجة اليّ بعد الآن يا سيدي قال حماد . نعم ارى ان تبني معنا لعلنا نحتاج اليك في شيء ونحن في مأمن ولك علينا خير مكافأة

فاذعن وسار معهم وفيما هم سائرون بين الفياض خاطب حماد عبدالله بلسان اهل العراق لئلا يفهم الفارسان . هل ترى جند العرب كثيرين حول دمشق

قال هم عديدون وقد تفرقوا فرقا احداها فرقة خالد عند الباب الشرقي في الشرق والاخرى فرقة ابي عبيدة عند باب الحماية في الغرب والبالغة فرقة عمرو بن العاص عند باب الفراديس وفرقة شرحبيل بن حسنة عند باب آخر وفرق اخرى عند الابواب الاخرى وهناك فرقة يقودها جبار عنيد يقال له ضرار بن الازور تطوف حول الاسوار<sup>(٢)</sup> ويحال لي ان الروم لا يستطيعون الصبر على الحصار

وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على معسكر العرب عند الباب الشرقي فرأوا الخيول والجبال تعري في البانين ومعا العبدان والخدم ورأى النساء في اخيهن بفخذن بامر الجهاد ومن مشغفات اليواشيق الابطال الى ساحة القتال

فلما وصل المعسكر انطلق فسطاط خالد فدخله عبدالله وحماد بلا معارض وكان خالد جالسا في صدر المكان فرحب بها ودعاها للجلوس فنظر حماد الى من في الفسطاط فرأى روماس صاحب بصرى الى جانب خالد وقد نهم بالعمامة وتزمل

بالرداء العربي وغادر القلنسوة والطيلسان وكان خالد قد استقدمه معه لينزجهم بينه وبين الروم فتهرب حماد من مجلس خالد ومن احدق به من الامراء وفيهم جماعة كثيرة لم يعرفهم ولكنه رأى الشجاعة والافدام تلوحان على وجوههم فتقدم عبدالله الى خالد فعرفه بمجاد فأنى خالد عليه وقال ان غلامك سيزداد زينة بالاسلام . فسكت عبدالله ولم يجب .

اما حماد فلم يكن همه الا الهند وحالها في دمشق ولولم يطمئن عبدالله بعد ثعلبة عنها لما صبر على البقاء هناك ولكنه ما فني يفكر بحيلة يدخل بها المدينة ابصر هنداً وبطنها ويسعى في انقاذها

وبعد قليل استأذن عبدالله خالداً بالخروج الى خيمة اعنت له فخرج وخرج حماد معه حتى اتيا الخيمة فقال حماد وما الرأي الآن اني ارى هنداً في خطر ونحن في مأمن فلا بد من حيلة ندخل بها المدينة

قال تمهل يا سيدي لعلنا نتوقف الى ذلك في الغد . وباتوا تلك الليلة واقفاً في الصباح على اصوات الأذان والصلاة فقال عبدالله لا ارانا نستطيع شيئاً طالما كنا في هذا المعسكر لم بنا الى معسكر ابي عبيدة عند باب الجابية لعلنا نؤانس خبراً فمتعبا كأنها من الجند وتركنا الدليل في الخيمة حتى اتيا معسكر ابي عبيدة فدعاها الى خيمته وكان عبدالله قد عرفه وسمع بسهولة اخلافه وطول اناته ورغبته عن منك الدماء فبعد السلام والترحاب قال عبدالله الا يرى مولاي مخافة هؤلاء الروم بامر الصلح عسى انهم يسلون ويكنونكم مؤونة الحرب

قال ابو عبيدة اني ارجب الناس في ذلك ولكن خالداً بطرب لمفارقة البهوف ومصادمة النبال

فقال عبدالله وما ضرّ لو انفذت اليهم احداً يستطلع رأيهم وانت رئيس هذه الجنود ولما تنصرف فهم

فقال لا ارى بأساً في ذلك الا انهم يجمعوننا خائفين قال ارسلني من يستطلع رأيهم اذ قد يكونون راغبين في الصلح وهم يجمعونكم لا ترضون به فاذا صار اليهم احد فليكن كلامه من عند نفسه قال ومن لنا بمن يعرف لسانهم

قال لا اظننا نعدم وسيلة . وكان حماد قد تعلم شيئاً من اليونانية في اثناء اقامته في بصرى وهم عبدالله بان يشير بارسال حماد ولكنه جزع عليه فلبث صامتاً فابتدعه حماد قائلاً اني اقدم ننس هذه المهمة

فقال ابو عبيدة ولكنك تسير اليهم سرّاً فاذا فزت بهم بك انجحت الدماء على يدك والّا فاننا باقون على حالنا من الحرب . واعلم ان قائد جند الروم هناك رجل اسمه توما هو صهر الامبراطور هرقل<sup>(١)</sup> فسر اليو واستطلع رأيه من قبلك فاذا رأيت فيه ميلاً الى التعليم انبئي

فسرّ حماد مهمته وخرج من فسطاط ابي عبيدة وعبدالله معه فناداهما ابو عبيدة فعادافقال لحما اذا سرت انت بقي والدك عندنا رهناً فان النفس اماره بالصوم . فرضها وخرج حماد وحده وفي عبدالله هناك وقد ندم لما جرّه على حماد وعلى نفسه من الخطر وضاق صدره وخاف العاقبة

اما حماد فانه حمل علماً ايض وركب جملاداً واسع نحو المدينة فلم يبين الاسوار حتى رأى جماهير الناس عليها وفيهم القسس بصلبانهم والجد باعلامهم ورأى بعضهم بهم ان يرموه بالنبال فاشار اليهم عن بعد انه اذا جاء مسالماً فكيفلا عن اذنه حتى اذا دنا من الباب هالة عظيمة فقد كان عبارة عن ثلاثة ابواب صفاً واحداً المتوسط منها كبير ذو قنطرة واسعة وإلى جانبيه بابان صغيران وفي اعلى الباب صورة النسر الروماني تحته كتابة باليونانية وفوق النسر جدار السور وفيه مراحي النبال والناس يتزاحون فوقها تلالاً البسنتهم بالطنما الحمراء والزرقاء ما يدل على البذخ والترف وفوق رؤوسهم الخوذ من الفولاذ . فناداهم بلسانهم انه يريد الوصول الى رئيسهم

## الفصل الثاني والثمانون

### ❖ داخلية دمشق وحال الرّوم فيها ❖

فتزل اليو جماعة فتعمل لة احد البابين الصغيرين فدخل بمجرده وسلاحه فاحدق بو الرجال فتهب لذلك الموقف ولكنه تجاد وطلب ان يرى البطريرق توما فقالوا انه في قصر

بالغرب من كبسة ماري بوحنا فترجل ومشي في شارع عربض قد استطل على استقامة واحدة ابتدئ بالباب الاوسط ولا يكاد يرى اخرة وارضة مرصعة بالحجارة الصوانية الضخمة والى كل من جانبيه رصوف عربض اوله عند احد البابين الصغيرين وعلى الرصيف عمد فخمة من الرخام متراسة على طول الطريق . ولم يكن حماد دخل الدمام قبل ذلك الممن فرأى فيها من العظمة ودلائل المدينة مالم ير مثله في بصرى

فما زال مائراً وحوله المخروامل المدينة بطلون من الغرفات والنوافذ ينظرون اليه ويتحدثون باسم وهو يلتفت يمنة ويسرة لعله يرى هنكاً بينهم وكما وقع نظره على انثى ظمها هي وكان يتخرق الصفوف بلعظه لعله يرى قبة او كبسة على امل ان تكون كبسة مريم حيث نقيم هند حتى مرّ بكبسة علم من بعض حديث القوم انها الكنيسة المثار اليها فحنق قلبه وشاعت عناءه وهو يلتفت الى ما حوله من النوافذ فرأى جموعاً ولكنه لم ير هنكاً بينهم فصار والناس حوله يتحدثون بلسانهم وقد علت الضوضاء يتخللها قرعة حوافر الخيل على البلاط

وبعد ان ساروا برهة انعطفت الى شارع آخر فاخر حتى وصلوا الى باب كبير يحف به الخدم والاعوان فوقعت عندك فعلم انه باب القصر فاندخل بعض الحرس ينيء الطريق بقدوم الرسول فانباؤه فامر بادخاله عليه فجدوه من سلاحه فدخل وركبناه ترتعشان لمول ما يتوقعه بملافاة ذلك الرجل فدخلوا الى صحن الدار فاعجبه ما رآه في ارضها من النفوس الجميلة وفيها صور وقائع وهبات آدميين وحوليات بالنسب فاعجبه بالوان بدبعة متراسة قطعاً صغيرة بصناعة فائقة . وفي وسط الدار بركة من الرخام يتدفق الماء منها . ثم دخلوا الى قاعة مفروشة بالرياش النخين ما ينهر النظر وعلى جدرانها وسقفها صور بعض القديسين وصورة الامبراطور هرقل بتاجه وصور لانه وصور اخرى دينية . ورأى على النوافذ الاستار من الدباج والحريير المزركش بالنسب والارض مكسوة بالسجاد والطنافس عليها رسوم الاسود واليهود والخيول في ابداع ما يكون . فدعوه الى الجالوس هناك ريثما يخرج اليه البطريرك فيجلس يتوقع قدومه وهو يهتف على نفسه ويتفقد حتى سمع وقع اقدام كثيرة ورأى اهل النصر في هرج وتراحم فعلم ان الرجل قادم ثم رآه وقد دخل القاعة فاذا هو طويل القامة عظيم الهامة كثير الهبة وطلسانة يكاد يجير وراه وسيفه الى جنبه وهو في رداء قصير الى ركبتيه

كثير الايمان مزر كرش بالذهب . وعلى رأسه قلنسوة اشبه بالناج مرصعة بالمحجارة الكريمة  
فحاملها . رآه حماد وقف اجلالاً له . وتقدم نحوه . متأدباً فنظر نوما اليه بعينين حادتين يكاد  
النور ينبثق منها فهاب حماد منظره . ولكنه اظاهر بالتجاذب وحباؤه بتهبة الملوك وصبر حتى  
جلس واسرله بالجلوس فجلس حماد وهو يفكر في ما يبدأ به من الحديث  
فابتدأه البطريرق قائلاً العلك من هؤلاء العرب المغتربين

قال كلا يا مولاي اني غريب الديار وقد وقعت بين ايديهم بالاتفاق  
قال لقد لاج لي ذلك من شكل لباسك فاني اراك حسن البزة . وهؤلاء على ما  
اعلم حفاة عراة ولم يسمهم اليينا الا قرب آجالهم . هل انت على دينهم الجديد  
قال كلا يا مولاي اني على دين النصرانية قال ذلك واستخرج من بين اثنا عشر صليباً  
من الذهب معلقاً بسلسلة في عنقه  
قال العلك من الغاصنة

فخبر حماد في الجواب مخافة ان يكون في تصريحه بالصدق ما يوغر صدر البطريرق  
عليه فقال اني غريب الديار ولكنني مقيم في بصرى الآن  
فقال ومن اي البلاد انت

فتذكر حماد الصلح الذي أبرم بين الفرس والروم على اثر الحروب الاخيرة فقال  
اني من اهل العراق ولما تم الصلح بين ملكنا وجلالة الابراطور هرقل قدمت الى البلقاء  
فقال توبوا وما الذي جاء بك اليينا . قال ذلك ودلائل الاهتمام ظاهرة على وجهه  
باقتطاب حاجبه وتفرسو

فهاب حماد منظره . ولكنه تذكر انه ملك ابن ملك فعادت اليه انة الملوك فقال  
اذا اذن مولاي بخالوتي بسطت له بها رأيي . وكان في مجلس البطريرق بعض الحاشية  
فاشار اليهم فخرجوا وجلس البطريرق الى جانبه . فقال حماد اسم مولاي بجرمة الصليب  
والمعمودية اني انما جئت اليه انوي له والدولة الروم خيراً  
قال لقد صدقت قل ما في نفسك

قال اني رأيت معسكر هؤلاء العرب وخبرتهم صبرهم في ساحة القتال واستهلاكهم  
في سهل الجهاد ففحنت ان بطول الحصار فيصيب هذه المدينة جهداً وقد عرفت قائد  
جند العرب الاكبر وهو رجل يبال الى العلم وراغب في حجب الدماء فقلت في نفسي لعلني اذا

توسطت في امر الصلح بينكما ان افعل خيراً فاحتلت في دخول المدينة لا عرض هذا الامر عليك

فلم يكده حماد يتم حديثه حتى بدت ظواهر الغضب على وجه توما وقد افطس حاجبوه وتلجلج في مقعد ونظر الى حماد بعينين برافنتين يكاد الغرر يتطاير منها وقال وحرمة الصليب وصاحب هذه الكنيسة ( وشار الى كنيسة مار يوحنا بالقرب من النصر ) ورأس الامبراطور هرقل لولم نمتق الى اقناعي ببصرائتك لارتبت بمخوفة مقاصدك كيف تدعونا الى صلح قوم ساقم الفكر البنا وغرم الجهول في منازلتنا انخالم بحسونا مثل حامو بصري التي خانت ملكها وسلمت اليهم ألم تكن لم عرفة برجوعهم عن اسوار هذه المدينة خاسرين منذ بضعة اسابيع <sup>(١)</sup> ( ثم نهض وهو يقزل ) اني ساعلم كيف حرب الروم منذ اليوم . قال ذلك ويد على قبضة حماد وهو يحظر في الغرفة غضباً فكبر ذلك الانتهاز على حماد وجرت دماء الملوك في عروقهم وحدثة نعمة ان يغلظ له بالمقال وكنة علم اذا فعل ذلك انه مائت لا محالة فصبر نعمة وكلم غبطة وقال ان الصلح لا يحط من قدر رجال الحرب ولا اخال سيدي بمخديني اجهول بهش الروم وشك باسهم ولكنني ظننت في الصلح حجة لدماء فاذا كنتم ترون الحرب فانتم اصحاب الامر

وكان توما لا يزال واقفاً فلما سمع مقالة حماد جلس الى مقعد آخر ويد لا تزال على قبضة حماد وقال لولا علي بمخمن نبتك لما اقبلت عليك ولكنك مع ذلك سنبقي في حاشيتي حتى ترى عاقبة الغرور وتري حال هؤلاء العرب في حربنا فاستعاذ حماد بالله من هذا السجين وكان في حساب ان يطلق سراحه فنهش عن هند فندم على عيبه وظل صامناً فسمع البطريق ينادي بعض رجاله فلما حضروا صاه ان يحفظ بالرسول ويدن بوقه في حاشيتي رثماً بأمر آخر . قال ذلك وخرج محرراً غضباً وسيفه يفرقع على الملائط ورايه وطلسا يكاد يتطاير عن كنفه وفي حماد وخنوع في القاعة برهة ثم اشار الخنيز اليه فخرجا واختلط حماد بالحاشية كعادتهم لا يؤذن له بالخروج من النصر الا معهم فلبث بصبر نعمة وينتوق الفدر وفي مساء ذلك اليوم سمع اهل النصر يتحدثون بهزم توما على السلافة في كنيسة

يوحنا في صباح الغد وهو صباح الاحد وانه دعا رجال حكومتهم واعيان المدينة  
للاجتماع فيها فأمل حماد ان يتنسم خبراً عن هند هناك

## الفصل الثالث والثمانون

### \* كنيسة ماري يوحنا \*

ولم يكذب يوحنا في صباح اليوم التالي حتى سمع دق النواويس في مائر كنائس  
المدينة ورأى اهل النصر يتجهون الى الكنييسة فسأل خنبره عن ذهابه  
فقال تعال معنا ان الصلاة لا تمنع عن طاعتها ولم تمنع برهة حتى خرج نوما باحسن  
ما يكون من اللباس فمشى وحوله الاعيان والوجهاء ورجال الدولة بالفخر الالبسة  
من الحرير المزركش على اجمل اللوان وازهارها

وكانت الكنييسة على مقربة من القصر فلم يكن الا القليل حتى وصلوها فاذا هي  
محاطة بسور عظيم الارتفاع يوقع في النفس رهبة فدخلوا منه الى باب الكنييسة الجنوبي  
وهو كبير مرتفع الاعناب فدخلوا منه الى صحن الكنييسة وهو فسيح مبسط بالرخام  
الملون طوله نحو ٢٠٠ خطوة وعرضه ١٥٠<sup>(١)</sup> ونحيط به الاروقة وفيها الاعمدة  
المانية من الرخام الابيض النقي او الغرانيت الملون باحسن ما يكون من الدقة تعلموا  
نيجان جميلة الصنعة على النمط الروماني اكثرها محلى بالذهب حتى اذا اشرف على  
الهيكل حيث تقام الصلاة بهر ما على جدرانها من الصور البديعة بالالوان الطبيعية  
وفيها الذهب فضلاً عن النقوش الجميلة من النعشساء البلورية بالالوان البديعة  
وكان حماد كنهها النفث فتمثلت له عظمة الروم في ابان مجدهم فبهت لانه لم يشاهد مثل  
هذه الكنييسة قط

فادرك خنبره ذلك منه فقال له ما بالي اراك مندهلاً قال اني لم ار  
مثل هذه الكنييسة في الشرق الا بانطاكية من هو الذي بناها من الملوك قال انه بناها  
اقدم من البصرانية عهداً فقد كان هيكلأ وثناً من ايام الآراميين الذين ورد ذكرهم  
في التوراة بني على اسم اله من آلهتهم اسم رامون وكان له مذبح جميل امر آحاز ملك  
يهوذا ان يبني مثله في هيكل سليمان باورشليم

فلما استولت دولتنا الرومانية على الشام قبل النصرانية اتخذوه معبداً لاوثانهم حتى اذا تنصرت قهاصرتنا جملة اخدم ارخادبوس قبصر كيسة على اسم يوحنا المعمدان وكان قد تخرب بعضه فرمى ونفس فيو صور القديسين ومن جملة ما نقشه آيات من الكتاب المقدس نرى كثيراً منها على الجدران والمقف واطلك قرات ما هو منقوش على الباب عند دخولنا فقد كتبت عليه هذه العبارة ( باليونانية ) « ملكوتك ايها المسيح ملكوت ابدى وسلطانك يمتد مدى الابد » (١)

ولم يكذب بنهي الرجل من حكايتو حتى انتظم عقد الصلاة وقام الاساقفة بهاخرم وصلبانهم وعلت اصوات الترنيم والترنيم والجدران تردد الصدى حتى صمت الآذان وتخشع الناس ونظر حماد الى الجناح مرمر مرمر وقوفاً وقد ولط وجوههم المشرق وبغى مقدمهم توما في كرسي من العاج المرصع بالفضة فوقه قبة من العاج بدبغة النخس ولما انقضت الصلاة حول توما وجهه نحو الجناح مرمر مرمر صليب من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة وامامه طاولة عالية فوقها كتاب مغطى بالذهب عرف حماد انه الانجيل الشريف والتفت توما وقد تغير منظره وهو يهتف كلاماً بقوله فاصغى الناس منغ الانجيل ووضع يده اليسرى عليه وفي يده اليمنى الصليب بشير بو وهو يتكلم وقال ما معناه « اهلوا يا معشر النصرانية ان عبي ومولاي جلالة الامبراطور هرقل قد كتب اليها يستعينا على دفع هؤلاء الاعراب عن اسوار دمشق واخراجهم من بلاد الشام فقد التفت الفتى فيها ومام بالحقيقة الا قوم جباة عراة ساقهم فقر بلادهم وجذب ارضهم الى التماس الغزو من غياض الشام وخيراتهما وقد اطعمهم فيها ما لا قوة من ضعف حامية بصرى وقائدها روماس اليعين الذي قادة الانتقام الى التلمذ . اما انتم فانكم رجال اشداء قائمون على الولاء فلا يهكم من امر هؤلاء شي . ولا احرصكم الا على الاتحاد ونبذ الاختلافات المذهبية فقد ان لنا ان نفقه حالنا ونعتبر بما صار اليه الناس قبلنا وما هؤلاء العرب بشي . يذكر اذا نحن اتحدنا والا فان العاقبة وخيمة فاذا رأيتم الخروج اليهم خرجنا واذا قنم مرة العذاب »

( ١ ) الروضة القناء للقساطلي . ( ولما فتح المسلمون الشام اتخذوا بعض هذه الكنيسة جامعاً

ثم استقلوا جامعاً وعرفت بالجامع الاموي )

فقال رجل واقف بالقرب منه « ما لنا وللخروج اليهم ونحن آمنون في اسطارنا  
فلنهمهم حتى نثأر الاقامة فينقلب على اعقابهم »

فتأمل حماد في حال ذلك الجميع وفيهم خيرة رجال الدولة فرأى التردد والخبول  
مستولين عليهم وكان يحسب كلام توما يثير فيهم حمية فاذا هولم يسمع منهم الا تسمة ولم  
ير الا تقاعداً وقد فقدوا الحمية بما انغمسوا فيه من الترف والبدخ والرخاء وفسدت  
اخلاقهم وساءت آدابهم فقابل ذلك بما آتته في جند العرب من الانفة وعزة النفس  
والنشاط ووحدة الكلمة فتمثلت له عاقبة الامر جلياً وابقن انها عاتية على الروم اذا  
هم لم يصالحوا العرب فلبث ينتظر ما يأتي به القدر

وعادوا من الكهنة وهم يهدثون بما سمعوه وحماد مستغل بهند وقد حاول  
الخروج منفرداً الى كهنة مرم فلم يستطع لما ضيق عليه توما من الحجر فان  
خفيه لم يكن ينافقه لحظة وخاف اذا خرج خلسة ان يرتكب ذنباً يستوجب عليه القتل  
فصبر نفسه رغماً عنه وفي صباح الغد خرج توما ومعه رجاله الا الخنبر فانه بقي في القصر  
وحماد معه طأس في خروجهم حركة غير اعتيادية فاستطلع الخبر فقال الخنبر ان  
البطريق سار الى الاسوار يري العرب منها بالبال ولم يأت المساء حتى عاد الروم  
وفهم توما ويد على عينه وقد جاءت الاطباء فسأل حماد عن حاله فقبل انه اصيب  
بنبله من نبال العرب فثأرت عينه <sup>(١)</sup> ولانه تدهأ من ذلك كثيراً فقال حماد في نفسه  
فعمى ان يرجع الى صوابه ويرغب في الصلح

## الفصل الرابع والثمانون

### \* باب الفرج \*

ومضت بضعة ايام بالحرب سجال بين الجاليين والروم ينتظرون نجدة من  
مروان والنجدة تبع عنهم حتى اذا كان ذات صباح وحماد جالس في بعض غرف القصر  
يثمناً اسبقاً اذ جاءه رسول يستدعيه الى توما فصار اليه وقلبه يخفق مخافة ان يكون  
في الدعوة ما يدعوه الى الخطر

فلما دخل عليه رآه جالساً على سرير، قطب الوجه فحياه فاجلسه نوما الى جانبه وهو يشله فأنس حماد منه رقة لم يبعدها فيه . ثم اشار نوما فخرج كل من في الغرفة ولم يبق غيرها فقال نوما دعني اقض عليك خيراً اقلني وهو حلم رآته امرأتي في منامها البارحة وهي حامل انا الحلم فانها رأت الداء تتدفق عن اسفار دمشق والاسواق مزدحمة بالقبلى فأفاقت . من نومها مرعوبة فقصت عليّ الحلم وهي ترتعد وتقدمت اليّ ان اقبل بصاح هؤلاء العرب حجباً للداء ولندساءني اقتراحها لاني راغب في الحرب الي آخر نسمة من الحياة ولكنها ابنة الامبراطور صاحب الامر والنهي فضلاً عن منزلتها عندي وهي حامل . واذا ذكرت لك اخبرتي عن ابي عتبة قائد فقة باب الحامية انه ميل الى السلم فهل تظن اذا خابرناه به يفعل ويحفظ عهدك .

فاستبشر حماد بذلك وانترجت كربة وقال لا ريب عدي بحفظ العهد اذا عاهد

قال اتذهب اليه وتستطلع رأيه في ذلك سرّاً وتعود بالخبر

فقال انعم ذلك ما موراً طائعاً فذن بين يريشدني الى الطريق ويخرجني من

الباب وانا اسير الى الرجل واخطبه

قال قد اذننا لك بذلك ولكنني اشترط في امر الصالح شرطاً لا بد منه

قال وما هو

قال اريد من هؤلاء العرب اذا دخلوا المدينة ان يفظلوا الارواح ويحجوا الدماء

وان يتركوا لنا كنائسنا ولا ينقصوا علينا منها كرامة

فقال حماد لا اظنهم يخلفوننا في ذلك وعلى كل فاني اسير اليهم بالامر واعود

اليك بالخطاب . وكان حماد يكلم نوما وهو معجب بقتضائه الى هذا الحد . على ان خيال هند

ما زال نصب عينيه فخطرت له ان يفتن تلك الفرصة للاستعانة به على تسهيل زواجه بها

وقال في نفسه لا اخلقي ارى رجلاً اقدر على مساعدتي من صهر الامبراطور وهو الآن

في حاجة اليّ فاذا استعنته ووعدي فقولاً نافذ على جيلة وغيره

فتوسم نوما في حماد توقفاً وتردداً فقال له ما بالك لتردد العلك خفت الذهاب

الى العرب . قال كلاً يا مولاي فاني افتنم المخاطر في سهيل انفاذ امرك ولكن لي امراً

يهمني ليس هنا محل الكلام عليّ انني لا ارى بدّاً من استعانتك فيه وهو من اسهل الامور

عليك فاجعل مساعدتي في انمامو مكاناً لي اذا قربت في عند الصلح على ما تريدون

فقال نوما وماذا عسى ان يكون طلبك  
قال اخاف اذا ذكرته ان تضحك مني وتظنني مشغولاً بعيب الغلمان ولكن الامر  
با مولاي قد اقلنتي ولا ارى بداً من استعانتك فيو فاعذرني  
قال قل ما هو

قال اتعرفون الامير جبلة الغساني  
قال اليس هو ملك الغساسنة حلوتنا  
قال بلى يا مولاي هو هو بعين  
قال وما خبره

قال حماد اقول بالاخصار اني خطبت ابنته هنداً ثم ان ابن عم لها يقال له تعبدة  
يسى في الحصول عليها وقد قبل والدها ولكن الفتاة لا تريد ونظراً لما اعهدت من  
نفوذكم على جبلة ارجوان توعز الى ان يعطيني الفتاة

فبسم نوما وقد تذكر ايان شبايو وزمن عفو فعدر حماداً وطيب خاطر وقال  
انه امر سهل لك عابنا تضاعف فانبسطت نفس حماد ومال الى مفارقة هند وتشيرها  
بذلك الوعد وهم بالتمتدان نوما ان يرب بكيسة مريم اثناء ذهابها فاذا هو قد ابتدره  
قائلاً « فاقدم اليك ان تسرع في مهنتك فتسير حالاً الى مخاض ابي عبيدة فاذا  
عقد الصاب وهدأت الاحوال زفنا اليك هدأ رضي والدها او لم يرض »

فشكر له حماد شكراً جزيلاً وقد عول في باطن سره على ان يجال في المرور  
خلصة ثم سمع نوما ينادي اثنين من حاشيته قائلاً لها اعدا مركبة من مركبات  
النصر ارحل بها هذا الشاب العراقي الى باب الجابية حالاً وافتحا له الباب وليركب  
جبلة هناك ولما انتما فانظرا رجوعه فتى عاد ارجعاً به الى هنا

فقالا سمعاً وطاعة وخرجوا جميعاً وحماد آسف لمعين في المركبة اذ لا يتأني له  
الوقوف عند الكيسة

وبعد برهة اعدت المركبة فركبوا فجرت مسرعة وقد تعاظمت فرقتها على بلاط  
الدوارع وخصوصاً الشارع المستقيم حتى اذا دنّت من كيسة مريم خفي قلب حماد  
وشاعت عيناه فمولى بنيت نحو النوازل والدرقات لعله يرى هنداً او احداً من اهلها  
فغاب رجاءه وتجاوزت المركبة الكيسة وهو يصيح بصوت خافت ان يناديه احد وتحول

قرفعة المركبة دون سماع النداء ولكنه ما لبث ان وصل الى باب الجابية فوقفت المركبة وكان جواده هناك فركبه وخرج والعلم معه حتى اتى معسكر ابي عبيدة فلم يستشفه احد من العرب فساروا الى خيمة عبدالله وهي في الطريق فرآه جالسا حزينا لا تشغال بالو فمالا وقع نظره عليه فنهض مسرعا وضمه الى صدره وسأله عن سبب ثيابه فقص عليه الخبر فحمد الله على سلامته ثم سأله حماد هل سمع شيئا عن سلمان فقال لا لم اسمع عنه شيئا ولكنني ارسلت دلهنا الى بصرى لعله يراه هناك فيجدهم بمقرنا ولم بعد الدليل بعد . فاندخل بال حماد وليثا برهة يتحادثان في امر جليلة وحدث فقال عبدالله اظننا اذا تمّ الصلح بين العرب والروم لا نعدم وسيلة في العثور على سلمان فيها بنا الآن الى ابي عبيدة ثم نهضا معا حتى اتوا فسطاطة فرجع بها فقص حماد ما اشترطه نوما من امر الكنائس والاموال فقال ابو عبيدة لقد قبلنا بذلك فليرسل من يعتمدهم من رجاله لعقد الشروط

فودعهم حماد واد الى دمشق وقد مضى معظم النهار فوصل الناصر فرأى اهله في هرج وضجة فسأل عن السبب فقبل له ان امرأة البطريق نوما تتهخص والبطريق عندها ينتظر ساعة الولادة<sup>(١)</sup> فقال ابعتلي اليو من بيتي برجوعي فأنأوه فخرج اليو وامارات الغنى ظاهرة على وجهه فقال ما خبرك فقال ان الامير ابا عبيدة قبل بالصلح فارسل من تعتمد لعنت فامرته من كبار النصارى يخرجوا في صباح الغد ومعهم حماد وقال لم اتي مستغفلا في ما تقاسمو ابنة الامبراطور من آلام الخاض وعسى ان يأتي النرج قريبا

## الفصل الخامس والثمانون

### ❀ صلح الشام ❀

وكان الليل قد سدل نقابا فباتوا تلك الليلة واصبحوا وقد نهبا مئة منهم بالالسة الرسمية وحملوا الاعلام والصلبان وساروا حتى اتوا باب الجابية وكان حماد اكثر

الناس رغبة في ذلك الصلح ائلاً بقرب الوصول الى هند  
فلما وصلوا الباب كان بعض العرب هناك وعليهم ابو هريرة قد قاموا ينتظرون  
وفد الروم فأنبأهم حماد بما اتى من اجله فتخول الابواب وخرج الوفد باعلامهم  
وصلبانهم وقد تكسرت اشعة الشمس عن خوذهم وفلانهم وارديتهم المختلفة الالوان  
وصلبانهم المرصعة بالبحر الكريمة مما يبهز الابصار ومشي ابو هريرة ورجالته في مقدمتهم  
حتى اتوا معسكراي عبيدة فلما اشرفوا على المضارب اوعر الهم ابو هريرة ان يتزعوا  
الصلبان<sup>(١)</sup> فزعموها حتى وصلوا الى فسطاط ابي عبيدة فاستقبلهم بالحناة وعقد مجلساً  
امضوا فيه الشروط وفي جملتها ان يتركوا الكنائس على ما هي . وكان في دمشق عدة  
كنائس منها كيسة مريم وكيسة بوحنا المعدان المنتمين ذكرهما وكيسة سوق الليل  
وكيسة انذار<sup>(٢)</sup> فكتب لهم ابو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيو اسمه ولا  
اثبت شهوداً فنشأوا لول الكتاب ودعوه لصحبتهم ليدخلوا المدينة معاً فقام ابو عبيدة ومعه  
٢٥ من اعيان الصحابة وسار الجميع وفيهم عبد الله وحماد . فلما وصلوا باب المدينة  
وقف ابو عبيدة وقد تذكر امرأه اماً وذلك لانه اصلا . يتو رضي بالصلح وقل بدخول  
المدينة مع عدوه ولم يخاف من ريب من غدر او نحوه ولكنه لما وصل الابواب ورأى  
الاسوار وفوقها الجند بالاسلحة تخوف وتحذر فقال لمن معه من الروم اننا نطلب منكم  
الرهائن قبل الدخول فبقي منكم اناس رهناً عندنا حتى اذا حدث غدر ذهبنا ضحية  
القدر . فتركوا بعضاً منهم وسار الباقون حتى دخلوا الابواب واقبلوا على الشوارع  
المحتنمين وقد تزاخم فيو الناس وفي مقدمتهم الاقمة والرهائن فلما دخل ابو عبيدة  
استقبلوه بالاناشيد واعندوا عن تخلف البطريق ثوما لانغفالوا باهل بيته ثم مشوا  
بين يديه على مسرح المعمر وقد رفعوا الاناجيل والماخر وفيها البخور يتواعد دخانه  
حتى حجب عنهم الطهر الشوارع فساروا يهتفون شكراً لله على حجب الدماء والاعلام  
تغلق فوق رؤوسهم وبينها اعلام المملوكين والروم معاً  
وكان المشفقون بطلون من النفاذ وعن الاسطحة والشرفات رجالاً ونساءً واولاداً  
وكلهم فرحون بنجاة انفسهم واموالهم لان اهل البلد اكثر الناس نفوراً من الحرب لانها  
عائنة عليهم بالخراسة في اي حال

لما حماد فكان مستغلاً عن تلك الضوضاء يعلى نفسه بقرب اللنا. وعبد الله الى جانب وكان الموكب مائراً ببطء فنفد صبر حماد وهو يتخوف من خلال الاعلام والصلبان الى كبسة مرم عن بعد وقد عول على ترك الموكب ودخول الكبسة خلسة ليرى هنداً ويغيرها بانفراج الازمة

## الفصل السادس والثمانون

### ﴿ خصام ابي عبيدة وخاله ﴾

وفيا هو في ذلك تراءى له في آخر الدارع جموع قادمون نحو الموكب فراراً من اناس يطاردونهم فامعن نظره فرأى مع المطاردين اعلاماً اسلامية ورجالاً من المسلمين في ايديهم السيوف والرماح وقد امنط في الناس قتلاً ونهباً ورأى في مقدمة الاعلام علماً اسود عرف انه راية الغائب لولد بن الوليد ثم ما لبث ان رأى الفارين يتقدمون حتى التقى بالموكب عند كبسة مرم ثم دنا خالد فلما رآه ابو عبيدة عجب لامر وناداه قائلاً « كف يا ابا سلمان قد فجع الله على يدي المدينة صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال »

فصاح فيه خالد « وما الصلح لا صلح الله بالم وماين لم الصلح وقد فتحها بالسيف وخضعت سيوف المسلمين من دماهم واخذت الاولاد عبيداً ونهبت الاموال »

فقال ابو عبيدة « اعلم ايها الامير اني ما دخلتها الا بالصلح »  
فقال خالد « انك لم تزل مغالاً وابا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لم حماية فكيف صالحهم »

فقال ابو عبيدة « انني الله ايها الامير والله قد صالحت القوم وتذ المم بما هو فيه وكنت لم الكتاب »

فاعترضه خالد وارتنع الصباح بينهما وقد شخص الناس اليهما واصحاب خالد لا يزالون يقتلون وينهبون وكانوا قد دخلوا المدينة من الباب الشرقي وهم لا يعلمون بصالح ابي عبيدة ولكنهم اغتنموا الفرصة باشتغال توما ورجالو بالفصر والولاد<sup>(١)</sup>

فقال ابو عبيدة « وانكلاه حذرت والله وتنقض عهدي » وجعل يقسم على المسلمين ان لا يدخلوا ايديهم نحو الطريق الذي جاء هو منه حتى يرى ما يتفق هو وخالده عليه فمكثوا عن النهب واجتمع رجال المسلمين هناك وتنازضوا في الامر فتم الرأي على التبول بالصنح على ان يخرج توما وهو ريس ( وهو والي على نصف الدمام من قبل توما ) وفيما هم في المجدال جاء توما وهريس وذكرا ابا عبيدة بالعهد وقالوا اذا ايتم صلحنا فاننا نخرج من المدينة ونكون في ذمتكم نحن واهلنا واموالنا وبعد جدال طويل قبل خالد بذلك (١)

فاخذ توما بتأليب اللخروج وكان حماد في جملة الوقوف يسمع ما دار من الحديث فلما علم بخروج توما على هذه الصورة ارتبك في امره وعلم انه لن يرجو منه نفعا ولكنه عول على دخول الكنيسة ومقابلة هند فاستأذن عبدالله فقال لهم ندخل معا وتركنا الدار في تراحمهم وعرجا نحو الكنيسة فاذا هي مقفلة فلتمسا مفتاحها فظن اللواتب انها يريدان بها اذية فذكرهما بالعهد فقالا اننا لا نريد امرا غير الزبارة ونحن مسبيون . فلكم ففتح لما الباب فسأل حماد عن قيم الكنيسة فنقدم اليه قميس شيخ وكان مغبثا في المبهكل وهو يخاف الفتك فلما رأى الرجلين برسان علامة الصليب اطمأن باله فسألما عن مرادهما فنقدم اليه حماد وقيل به وقال هل بقيت في هذه الكنيسة احد من الغرباء . قال القميس لم نخرج العادة ان يقيم الناس في الكنائس قال وانما اريد هل بقيت احد في بعض الغرف التابعة للكنيسة

قال لا يا سيدي ولكن اهل ملك غسان وكلهم من النساء كنن مقبات عندنا ومعهم الخدم ولكنهم خرجوا جميعا منذ بضعة اسابيع

فاضطرب قلب حماد وقال وقد ظهرت الغنة على وجهه والى اين خرجوا قال لا ادري ولكن رجلا جاء من قبل الامير جيلة اقامنا هنا ساعات قليلة ثم خرجوا جميعا . فوقف حماد برهة صائتا وقد نسي موقفه وغلب عليه البأس وجعل يفكر في ماذا عسى ان يكون سبب رجوعهم . فاعاد السؤال ووضحة فلم يفهم شيئا آخر فقال وهل تذكر انهم خرجوا من هذا المكان قبل حصار المدينة او بعد قال اظنهم خرجوا قبل الحصار

فبغت حماد وقد اسقط يده ونظر الى عبدالله كأنه يستطلع رأيه فقال عبدالله  
اظن الملك جيلة انفذ في طابهم لما سمع بقرب الحصار فمارط اليو  
فتماطم الهأس على حماد ومكر في الامر بمبراً ملاح له ان هنذا لا تخرج على هك  
الصورة مالم تترك له خبراً او اشارة وخصوصاً بعد ان كتبت اليو تستعجل قدومه اليها  
فقال للفيس الا ترشدنا الى المنزل الذي كان يقيم به اهل جيلة

## الفصل السابع والثمانون

### \* الاستطلاع \*

قال القميس سمعاً وطاعة وخرج بهما من بعض ابواب الكعبة الى رفاق ضيق  
لكه مرصف بمجارة عظيمة شأن ارفة دمشق على اختلاف عرضها واستطرق من  
الرفاق الى منزل لا يظهر من بابو ووره انه يليق بمكي الملوك على انهم ما لبثوا ان  
دخلوا داره حتى تبينت لهم منزلته من الاتقان والزخرفة ولكنهم لم يسمعوا غير خريز  
الماء في بركة تدلت فوقها اغصان الصنصاف وفاحت رائحة الازهار لما احاطوا به  
جواب المكان من اغراس الرياحين فوق حماد وهو يتوقع ان يرى احداً او يسمع  
صوتاً فلم يلبس غير المكوت فمشى الى باب رآه في صدر الدار فتحة وصعد في سلم  
ومعه عبدالله فانتهى الى رواق مشي فيه فاطل من نافذة مفتوحة تطل على غرفة مقفلة  
الابواب فنتاول بهتو يستطلع ما فيها فرأى شجراً مزروباً في بعض جدرانها عليه لباس  
النساء فتاداهما فصاحت وصوتها يرتجف قائلة ليس في هذا المكان احد من الرجال  
فاذا كنتم تريدون النهب فاشفقوا على النساء

فاخرج قلب حماد لما سمع ذلك الصوت وتنسم منه شخصاً بهرقة فقال لا تخافي  
يا خاله فانحن من الاعداء ولا نريد بك شراً واننا نحن نسأل عن اهل ملك غسان  
فلما سمعت المرأة صوت حماد دنت من النافذة وتقرعت فيه فعرف انها خادمة هند  
التي حملت اليو الكتاب في دهر مجبراه واما في فحالم عرفة قالت العلك ميدي حماد

فقد كدت التي حثني في انتظارك

فقال انفي الباب ولا تخافي واخبريني خبرك

فتفتحت الباب وهمت بيك فقبلتها وقالت والبقعة لا تزال ظاهرة على وجهها وقد امتنع لونها « لقد خرج اهل الملك من دمشق منذ اسابيع وتركوني هنا في انتظار قدومك لاطلعتك على خبرهم فطال غيالك حتى يثمت من لقيالك ثم حوصرت المدينة ووقع ما وقع فيها من القتل والنهب . ولما سمعت وقع اقدامكم الآن حصنكم من العرب الفاعين فحنت واخبيت في هذه الغرفة فنشكر الله على ما حصل »

فقال حماد اخبريني يا خالة ابن سيدتك هند

قالت لقد خرجت من دمشق مع والدتها وسائر الخدم بامر والدها قبل الحصار قال واين في الآن

قالت اظنها في بيت المقدس لان سيدي الملك بعد ان انفذ اليها ان تغادى للاقتراح بالامير ثعلبة عاد فكتب الى سيدي سعدى ان تأتي سريعاً الى بيت المقدس لانها ابعد عن الخطر من دمشق والظاهر انه سيعبزم العرب على حصارها . ففقد ذلك على سيدي وخافت ان تأتي انت ولا تعلم بصيرها فاستفتني ما لاقص عليك الخبر فنظر حماد الى عبد الله وقال ما الرأي يا امير

فقال لا حيلة في الواقع يا مولاي فان مقامنا في دمشق لا يجدينا نفعا وارى ان نغتنم اول فرصة للغروج الى بيت المقدس

فالتفت حماد الى المرأة وقال لها وانت ماذا تفعلين

قالت اذا بقيت حية سأذهب الى بيت المقدس

قال ان الحرب قد انقضت ونم الصلح فلا بأس عليك ولكنني لا اظنك تستطيعين الذهاب وحدي وانت امرأة

قالت انما استطعت ذلك لاني امرأة لان هؤلاء العرب شديدو المحافظة على الاعراض فاذا اتيني احد منهم كان لي عوناً في ايهالي الى حيث اريد

فقال اوصلي اذا انتهيت بيت المقدس وكانت هند لا تزال هناك ان تقر بها مي السلام وتخبرها اني قادم اليها على عجل ان شاء الله

قال ذلك ونحو مسرعة وعبد الله معه ثم قال طيبا بالاسراع الى بيت المقدس

قال عبدالله علينا قبل الذهاب ان نعمل امتعتنا فانها في معسكر ابي عبيدة  
قال لا بد لنا من الانظار بناهنا الببال ونسكن الاحوال فودع ابا عبيدة  
ونشكره على حسن وفادته ونصرف ولعله يصحبنا من يدفع عنا خطر الطريق  
فخرجوا من المنزل فلقيا الفهيس فودعاه وخرجا الى الشارع وكان الناس قد  
استأمنوا وهدأت الاحوال فصارا نوا الى قصر الحاكم فرأيا المسلمين قد تغلوه ووضعوا  
أيديهم على ما فيهم وامل توما يحملون الاحمال ويخرجون مهرولين وفيهم النساء والرجال  
فأسفوا لما انتهت البو حال هؤلاء وتذكر حماد انه توما يوم لقبه في ذلك الفجر  
فاعتبر رأاه

وقضا بقية ذلك اليوم والناس في هرج بين مهاجرة وسنم لم يستطعا مقابلة  
ابي عبيدة ليخاطباه بشأن الذهاب

وفي اليوم التالي دخلا عليه فاذا هو قد ازداد رفعة بعز البصر وكان جالسا على  
على كاتبة وهو يكتب الى الامام عمر بن الخطاب ففتحها حتى انتهى من الكتاب فدخلا عليه  
فرحب بهما وش لما وخطب حمادا قائلاً انك خدمت هذه المدينة خدمة تستوجب  
الثناء عليها لانك كنت الماسطة في حجب الدماء

فنجل حماد لذلك الاطراء وقال اني لم افعل شيئاً استوجب عليه ثناء وان ما  
حصل من الصالح انما كان من رغبة الامر في السلام ثم هم حماد ان يذكر له عزمة على  
الخروج الى بيت المقدس واكنه لم ير قبلاً الى ذلك فصمت فادرك عبدالله ذلك فيو  
فخطب ابا عبيدة قائلاً لقد اتينا يا مولاي نيمك بالفتح الذي هم على يدك ونمنا ذلك  
بالانصراف

فقال ابو عبيدة والى أين تنصرفون ؟

قال ان لنا في بيت المقدس املاً نريد النزوع اليهم

ففكر ابو عبيدة مدة ثم قال لم بأن زمن الانصراف بعد فالليل في ضيافتنا اباما  
نحمن وفادتك بعدما عانهم معنا في زمن الحرب ثم تنصرفون ومعكم رجال ما حني  
تلفوا ما منكم

فلم يتجزأ عبدالله على مراجعة ابي عبيدة ولبث صامتا على نية العود الى الامتدنان  
في فرصة اخرى ولكنه استأذنه في الخروج الى المعسكر ليستولي على الامتعة

فقال ابو عبيدة ان امتعكم وخوكم في ما من مع امتعتنا في المعسكر ونحن خارجون  
اليها لاننا لانحب الاقامة في القصور خوفاً من الانفاس في الترف

## الفصل الثامن والثمانون

### \* مهمة خطرة \*

وفي الغد خرج الجميع الى المعسكر وقد اتسموا الغنائم ونزل كل في خيمته وكان  
عبد الله يتوقع عود الذليل من مهنته التي سار فيها الى بصرى فلم يعد فعلم انه انما  
رغب في الذهاب فراراً من غائلة ذلك الحصار فلما وما قلقان على سلمان وهند فحاولا  
مخاطبة ابي عبيدة مرة ثانية في الممير الى بيت المقدس فلم يملكا فرصة لانفعالوا في تعبير  
الجند لفتح سواحل الشام وغيرها من البلاد فصبرا ربنا تسخ الفرصة فمضت ايام وما  
على ذلك حتى اصبحا ذات يوم وما على مثل الجمر في انتظار الخروج الى بيت  
المقدس يتوقعان حملة يخرجان بها فرأيا بعض الجند في هرج وسارة فخرجوا فاذا  
بهمجان قد دخل المعسكر وعليه غبار الاصفار فعرفوا انه رسول من الامام عمر الى  
ابي عبيدة ثم رأياه ترجل ودخل فسطاطه فلبثا ينتظران ما جاء و

وبعد ههذه خرج الرسول وجاء بعض الفاتحين في خدمة ابي عبيدة والتمسوا من  
عبد الله وحامد الذهاب الى فسطاط الامير حالاً . فاجمعا خيفة اثلا يكون في تلك  
الدعوة ما بدعوا الى التأجيل

فلما دخلا رأيا ابا عبيدة في صدر الفسطاط والى جانبه خالد بن الوليد وعمر و  
ابن العاص وغيرها من الامراء فحيام فامرهما بالجلوس

ثم قال لهما مخاطباً عبد الله « لقد انأ في اخي ( وشار الى خالد ) انكم من اهل  
العراق ولم اكن اجهل ذلك ولكني دلت من انكم من امراء العراق العارفين  
باحوال تلك البلاد وقد شاهدنا من اخلاصكم في خدمتنا ما دنا الى تكليفكم امراً  
نمنوهم عليكم الاجر والثناء

فازداد عبد الله خوفاً من تلك الدعوة ولكمة نظاهر بالارتياح وقال اننا في

خدمة الامير طوع ارادته

فقال لقد جاءنا رسول مولانا امير المؤمنين الآن يدعونا الى نصره اخواننا في العراق وان ننفذ اليهم جنداً ممن خبروا تلك الارض<sup>(١)</sup> فاريد ان تسيروا مع تلك النجدة وفي ذهابكما خير لكمما وخدمة لجند الجهاد

فقال عبد الله ان امره ولاي الامير مطاع ولو اتذني الى حيث اراد لفعلت ولكنني خرجت من العراق منذ اعلم ولا ادري ما طرأ عليها من التغيير والتبديل فاخشى ان لا يكون في ذهابي فائدة لكم وزد على ذلك اننا مذبذبو البال على بعض اهلنا في بيت المقدس

وكان خالد مصغياً لما يهدوم عبد الله وكان يتوقع ذلك الجواب منه فقال له لقد سمعت من خادمك سلمان يوم صالح الحيرة انك صاحب عقار وكلمة نافذة وقد حيناً لك مالك واهلك في ذلك الصلح فكيف تعذر عن الذهاب قال خالد ذلك وعلامات الغضب تكاد تظهر على وجهه فخاف عبد الله عاقبة اعذاره فابندره قائلاً اني لا اعتذر عن الذهاب فان ذلك فرض علي ولكنني اود ان اتفقد الذين في بيت المقدس ايضاً

فقال ابو عبيدة فليذهب اليك حماد الى بيت المقدس ونحن نصممه بن بوصلة اليها وسرانت الى العراق وكن وانما اننا نحافظ على اهلك وولدك معافظنا على اهلنا لانك في ذمتنا واعلم ان سفرك الى العراق لا يطول لان الفتح قريب ان شاء الله فاذعن عبد الله صاغراً اعلو ان تردده ربما هاج غضب خالد لما يعلم من شدته وتصارعه

اما حماد فشقى عليه فراق عبد الله ولكنه تأسى بقرب مشاعته هند

فقال عبد الله هل يا امر مولاي بتسيير ولدي هذا قبل خروجي

قال نعم سنميرن في الغد واما انت فلا بد من بمائك بضعة ايام رثماً بتأهب الجند للذهاب

ثم خرج عبد الله وحماد الى الحيرة لا يلويان على شيء وباتنا تلك الليلة لا حديث لم الا حديث ذلك التراق وفكرا طويلاً في الفرار ولكنها خافنا العاقبة فضلاً عما

حسبناه من نجس العربون وما قد تكون عاقبة الفرار لو قبض عليها . ولو كان حديثها مع ابي عبيدة لمان التخلص لما بعلمنا من سهولة اخلاقه اما خالد فانه سريع الانتقام وفي الغدر كبح حماد وودع عبدالله وتواعدا على اللقا . في بيت المقدس واذا اضطر حماد للخروج قبل محي . عبدالله فليترك له خبراً في كهنة القيامه هناك . ثم سار حماد الى ابي عبيدة فودعه فقال ابو عبيدة وهو يتهم سر بحراسة المولى ورجوان نلافك قريباً في بيت المقدس وقد نحتاج الى خدمتك هناك مثل حاجتنا اليها في دمشق . فادرك حماد انه يدبر الى قرب ذماهم لحصارها فتجاهل ولم يجب فامرا وعبيدة بهض الرجال يسهرون معه لحمايته اثناء الطريق فصار وعينا عبدالله تراعيما و حتى تبارى اما هو فلما ابتعد عن دمشق تذكر هذا وحالها وخبل له انها تزوجت بعلبة فارنعدت فرائصه ولكنه قال في نفسه انها لو كانت تقبل و لما انتفت في طليبي الى دمشق ثم احتبقت خادمتها لاستفداعي الى بيت المقدس ثم فكر في طول مدة غيابها فغلب له انها يمتعت من قدومه فاضطرت لجارة والدها والقبول بعلبة ففضى معظم الطريق في مثل هذه المواجهات

## الفصل التاسع والثمانون

### \* خيبة المسعى \*

وصل حماد بيت القدس فتزل في دير بالقرب من كهنة القيامه حتى اذا استراح قليلاً خرج للبحث عن هند في دير القيامه نفسه فاخذ يفتش ويمتطلع لعله يتنفس خبراً فلم ير احداً يعرف جبله ولا اهله ولم يكن حديث انوم الا الحرب وعواقبها وكلهم خائفون مما سمعوه عن سقوط دمشق فقال في نفسه لأذهبن الى قيم ذلك الدير لعله يبيننا نبأ وكان يونانياً فصار اليه فقال له القيم ان اهل الملك جبله تزلط هنا باماً ولكنهم مافرو منذ اسبوع

فاجل حماد وقال هل مافرو جميعاً نساء ورجالاً

قال لقد كان النساء فقط عندنا ولكن رجالهم اتوا منذ اسبوع واقاموا هنا ساعات قليلة ثم اقلعوا جميعاً الى حيث لا يعلم احد

فقال حماد ألم يتركها شيئاً من امتعهم هنا . قال تركها منها ما لا قيمة له من ثياب  
الاحمال هبة للمدير ولم يأخذوا الا ما خف حمله وغلا ثمة

فبهت حماد لذلك الخبر وقال في نفسه وهل ثعلبة معهم ثم لم يردّ من اعادة  
الموال فالتفت الى القيم وقال له انقدم اليك ان تعبرني سمعك ولا يثقل عليك  
سؤالي لان هؤلاء القوم بهمني امرهم وقد كنت في دمشق اقاسي عذاب الحصار فلما  
تم صلحها انتهت لافتش عنهم فمل عرفتم اشخاصهم جيداً

فاهتم القيم لمحدث حماد عن حصار دمشق وكان شديد الرغبة في سماعه  
فقال له وهل عانيت الحصار بنفسك ورأيت جند العرب رأي العين  
قال نعم رأيتهم واخطلط بهم وسمعت احاديثهم  
قال الا قصصت عليّ حديث الحصار

فاضطر حماد ان يقص عليه الخبر مختصراً استيلاً لرضاه لعله يصبر علي استئذنه  
فلما اقتضى الحديث امتنع لون القيم وهو راهب طاعن في السن فقال وما ظنك بهم  
هل باتون البنا

قال اظنهم باتون اذا لم يجدد الامبراطور هرقل المهمة في التجديد والتزيم فان  
هؤلاء العرب اشداء صبورون على القتال ولكن الله يحمي عباده . فاخبرني الآن عما  
تعرفه من امراهل الملك جبلة

قال اما وقد اصحت لي عن رأيك بعد ان خبرت الامور فاخبرك يا ولدي ان  
سقوط دمشق اوقع الرعب في قلوب رجالها فاصبح كل منهم خائفاً لا يأمن على نفسه  
ولا اهلوه وكذلك جبلة فانه اسكن اهله في هذا الدبر وفي عزمو ان يعقد لابنته الوحيدة  
على ابن عمها . . . فهل بينك وبينهم قرابة

قال لمست بيننا قرابة ولكن لي مع الامير جبلة شغلاً هاماً قال ذلك وهو ينتظر  
بقية الخبر ليرى ماذا تم من امر الاقتران

فقال الراهب ولكنني لحظت من الفتاة نفوراً شديداً من ابن عمها هذا وكان  
والدها قد كلفني باقناعها

فارت الغيرة في قلب حماد واصبح كله آذاناً لسمع نهاية الحديث فقال وهل

قال كلاً يا ولدي لانها كانت شديدة النور وكنت اذا سالها اجابني والدموع مل عينيها تعتذر والدنيا لا تأومها

ولم يتم الراحب كلامه حتى نثار الدمع من عيني حماد فضاغل باصلاح كونه و اخفاء لعواطفه وقال لقد هني امره ان يثارة وارى من الظلم ان تجبروها على الافتران  
برجل لا تربك

قال الراحب بعد صدقت يا ولدي ولذلك فان العناية الصمدانية حلت هذا  
المشكل على امون سبيل  
فقال حماد وكيف ذلك

قال الراحب ان ابن عمها المفسار ابو قتل في بعض المواقع الاخيرة  
فاجعل حماد اجفال البينة وقال هل تعرفت ذلك يا مولاي لعل الذي قل  
هو غير الخطاب

قال بل تعرفت انه مولاني معهم يتحدثون بمكائيو وكانهم يمشون هداً بذلك  
فقال حماد الا تذكر اسم  
قال اذكر ان اسمه ثعلبة

فايقن حماد بخبايا من ذلك المناظر ولكنه ما زال في ريب من مفرهند والدما  
فقال وماذا تعلل مد ذلك

قال الراحب وفي اهل جملته عندما بعد ذلك اليماً حتى شاع سقوط دمشق  
وتصرع المسلمين فوقع الرعب في قلوب الناس وجاء جملة ومعهم بعض الخاشية من  
رجالهم فاسرعوا في حمل امنهم ما خف حمه وغلائمه وخرجوا لخروج المارين من  
الموت ولا ادري الى اين

فوقف حماد صامتاً وقد تجبر في امره لا يدري ماذا يعمل فتدبر بافتناره الى  
عبد الله وولمان وهو بعيد عنها فاظلمت الدنيا في عذو وضاق صدره فنهض للحال  
فودع الراحب واصرف الى حجرته وهو غارق في الحنج المواجس لا ينفك جهة مسير



## الفصل التسعون

## \* سلمان \*

وكان حماد في اثناء مسيره الى الدير نائماً في بजार الملاجس بفكر تارة في هند وطوراً في سلمان وآونة في عبدالله حتى عظم عليه الامر ومخيل له ان المسالك سدت دونة فضلاً عما كان يمرض سبيله من احوال الحرب وقد اصبح اهل الشام في هرج على اثر مقطود مفتق واخذوا في المهاجرة زرافات ووجداناً الى مصر او بلاد الروم او غيرها فوصل الدير وهو لا يدري انه وصل حتى اذا كان على مقربة من غرفته رأى عند بابها رجلاً كان جالماً ثم ممرراً ملاقاته وحالاً وقع نظره عليه علم انه سلمان فناداه باسمه فترامى سلمان دلي بك بقبلها ويشكر الله على لقاءه فقال حماد اهلأ بك ايها الصديق لقد اطلت القباب علينا فاذا قمنا من الوحشة مالم يبق لنا صبراً عليه فنجعل سلمان لذلك الاطراء وقال لقد غمرتني ايها الملك بفضلك فدعوتني صديقاً لك وما انا الا من بهض خدمك

فلما سمع حماد لفظ الملك تمثلت له حالته وتذكر حكاية النذر والانتقام وما شغله عن ذلك من شطاع الغرام وما انتهت اليه حالة من الهأس حتى كاس الايام قد كسبت عليه الشقاء فلا يكاد يقترب من نصيبه حتى يفاجئه عارض يحول دون مراده وانفضت به المحادثات الى ضياع كل آماله بفرار جيلة واهله الى حيث لا يدري احد ولكن ظلمات تلك المخاوف كان يثقلها بعض النور ما يتوقعه من مساعدة سلمان ومغفرتهم فزاد استئناسه به ولما رآه ينكر عليه ذلك الاطراء مال اليه وصانحه وقال له لا بل انك صديق واعز من الصديق وما نحن في معرض الانساب وانما ينضل احدنا الآخر بما طمع عليه من مكارم الاخلاق والثناء وصدق المودة ولقد رأيت فيك من ذلك ما بهز مثالة

فاطرق سلمان خجلاً ومثبا حتى دخلوا الحجر وكل منهما يتوقع سماع حديث الاخر فلما استتب بها المنام قال حماد اين كان مقامك كل هذه المدة وما الذي جاء بك

الى هنا حتى التقينا على هذه الصورة  
قال سلمان ان لقاءنا يا سيدي لم يكن على سهيل الصدفة ولكنني قطعت القنار  
وطالعت البحث حتي علمت بمفرك وجئت على ما ترى . وقبل سرد حديثي الطويل  
ابشرك بموت ثعلبة

فتنهذ حماد وقال لقد عرفت ذلك يا سلمان ولكنه جاءنا متأخراً وقد كادت  
تقطع منا الآمال

فقال سلمان وكيف ذلك

قال لاني سمعت بمقتل ثعلبة وفرار جيلة في وقت واحد في هذا اليوم

قال سلمان واي فرار

قال لقد تحققت فرار الابر جيلة من بيت المقدس بالامم الى حيث لا يعلم احد  
ونص علي مختصر الحديث من يوم يجيئوا الى دمشق وسقوطها وسماعو بمقام هند في  
بيت المقدس وما سمعه من قيم الدبر

وكان سلمان شاخصاً ببصر مصيحاً يسمعو حتي اتى على آخر الحديث فامتنع لونه  
وظهرت عليه مظاهر الاسف والبخل ولبث صامتاً كأنه اصيب بصدمة وكاد الدمع  
يتسائر من عينيه ثم تنهد وقال الم تعلم الى ابن سافر جيلة يا سيدي

قال كلاً ولولا ذلك لمان الامر

قال سلمان لا تنأس يا مولاي اني غير تارك وسهله لا استقدمها في سهيل البحث  
عنه وبكفنا الآن اما نخلصنا من ثعلبة

فقال حماد وكيف عرفت بمقتله ومن هناك الى مكاني

قال متعلم ذلك من سباق حديثي عن سبب تقبي علك

قال افصص علينا خبرك

قال تركتكم في بصرى وجئت اليرموك فشهدت حربها وكان جيلة في الابر جيلة  
الحاربين قلما عقد لواء النصر المسلمين وقد علمت ان مندا في دمشق همت بالمسير  
اليكم ثم حدثني نفي ان استطلع مقاصد جيلة وكان قد فر الى حصن برجاله وفيهم  
ثعلبة فما التفيت بهم حتي امرط بالمسير للملافة المسلمين في اجنادين فسرت اليها  
وشهدت موقعة هائلة وقعت بين الروم والعرب هناك تقسب لمولانا الولدان وفي

تلك الواقعة قبل ثلثة وفضل جند الروم وفر الغساسنة . وكنت قد سمعت بمحاصر دمشق فآن لي ان اسير اليكم بالمخبر فاسرعت الى بصرى فلم اجد احداً منكم فظننت الراهب الشيخ يبنثني بمخبركم فسرت اليو فاذا هو قد مات فاسنت لوفاتو لعلمي انه لو كان حياً لهداني الى . فرم فمكنت في بصرى مدة ابحت عنكم واسأل كل من عرفته فلم يرشدني مرشد فظننت انكم في دمشق ولكنني استبعدت ذلك لما دلت من حصارها ثم ما لبثت ان سمعت بمقطوعها فهمت بالمعبر اليها لعلي ارى احداً استطاع منه خبركم وفيما انا اهتم بذلك رأيت جنداً من المعلمين قادمًا الى بصرى فقلت لعلي اتسم منه خبراً فلقيت اميرة مالك بن الحارث بن هشام وقد وجهه ابو عبيدة اميراً على حوران بعد سقوط دمشق<sup>(١)</sup> وكان الحارث بن هشام والد الامير مالك قد جاء مع ابي عبيدة اميراً في بني مخزوم لحصار دمشق<sup>(٢)</sup> فقتل في بعض الوقائع فلما سقطت دمشق تعين ابنه مالك اميراً على حوران لينجد الجند الذي يقوم من الحجاز مدداً لابي عبيدة في حروبه بالشام<sup>(٣)</sup>

فلما وصل هذا الجند الى بصرى تمكنت بطرق مختلفة من الاجتماع بالامير مالك فاخبرني عما كان من نزولكم على ابي عبيدة في الجابية والمهمة التي انفذك بها هذا الامير الى حاكم دمشق الى ان اتى في بجز وملك الى بيت المقدس وخروج الامير عبدالله الى العراق فهروات حتى اتيت هذه المدينة وما زلت ابحت عن مفرك حتى علمت اليوم انك مقيم في هذا الدبر وراك خرجت بعد الصباح فجمت هنا في انتظارك حتى انتهت فاحمد الله على سلامتك وارجو ان تلقي بسودي الامير عبدالله قريباً

فقال حماد لقد نفذ الصبر يا سلمان واحتملت من غدر الزمان ما تعلم واراني قد مللت هذه الحياة المعوقة بالمكآرة المزوجة بالمشاق ويحال لي ان الله لم يكتب لي نصيباً يند مع ما تعلمه من تعاقب قذينا . قال ذلك وتفرقت الدموع في عينيه . فنارت الحمرة في رأس سلمان حتى كاد ينفذ غيرة ونظر الى حماد وقال دع ذلك اليّ يا مولاي وانكل على الله واذا كانت لك على ابي عبيدة دالة فلنذهب اليو لعلمنا

( ١ ) تاريخ الاعيان في جبل لبنان ( ٢ ) النوافدي ( ٣ ) والحارث بن هشام هو جد الامراء الشهابيين من عشائر لبنان ويقال . ضم سمو بالشهابيين نسبة الى قرية شهاب من قرى حوران اقام بها مالك بعد ذلك ( ذكره تاريخ الاعيان نقلاً عن سبلات محكمة صيدا الشرعية )

نمتطلع منه خبراً

فقال حماد ان لي عليه دالة عظمى ولقد اصبح بعد ما تم علي يدي من صلح  
الغام كثير الوثوق بي حتى اشار بوم قدومي الى بيت المقدس الى انه ربما يحتاج اليّ  
فيها مثل حاجتي في دمشق فلا اظني اذا استعنتني في البحت عن جبلة الا فاعلاً ما اريد  
قال سلمان وابن هو الآن

قال تركته في دمشق يبعث البعوث لنفخ ما بقي من بلاد الغام

قال اذا اذنت ان نذهب اليو غداً فعلنا

قال حسناً

فقال سلمان والاهتمام ظاهر على وجهه انقدم اليك يا مولاي في امر ارجو ان

نطعمني فيه

قال وما هو

قال ارجو اذا نحن ظفرنا بجبلة هذه المرق ورأينا منه تردداً او سمعنا منه وعوداً ان  
لا نضع الوقت في الانتظار طالما طلة عبداً

قال حماد وما معنى ذلك

قال معنى ذلك يا سيدي ان تأخذ هنداً من بين يدي واراد هو اولم يرد  
فضحك حماد وكان قد قضى زمناً لا يضحك وقال سئري في ذلك يا سلمان .  
ونضبا بنية ذلك اليوم في الاحاديث المتنوعة وبانا على نية الاهتمام في الركوب  
الى دمشق في الصباح

## الفصل الحادي والتسعون

### \* حصار بيت المقدس \*

ولما اصبحوا أخذوا يهتفون في الخروج وكان ذلك اليوم من الاحاد فقال حماد لهم  
بنا ندخل كبسة القمامة نتبرك بساع الصلاة قبل ذهابنا فخرجوا حتى اتوا الكنيسة فرأيا  
جماهير الناس في صحته ينتظرون قدوم البطريرك لاقامة الصلاة فوقفا بينهم فلم يسمعا

من احاديثهم الا ما يتوقعونه من قدوم العرب لتفتح بيت المقدس ثم ما ج الناس وتزاحموا  
بما سبق بعضهم بعضاً فعلموا ان البطريرك قادم ولم تنص برهة حتى اطل بموكبه يتوكأ على  
عكازه يحف به الاساقفة والقسيسون وقد اوقدت الشموع وفتح الناس طربقاً في  
وسطهم مراً بها البطريرك وهم يتبركون بلمس رداؤه حتى دخل الكيسة فقبضوه حتى وقف  
عند الميكل فبدل ثيابه بما يلبسه البطاركة اثناء الصلاة وعلى رأسه تاج مرصع  
بالحجارة الكريمة وعلى كتفيه فباء مؤركش بالذهب والنضة وفي عنقه صليب مرصع  
يتدلى على صدره بملسلة من الذهب وقد اوقدت الشموع واحرق البخور وعلت اصوات  
المرنمين والمصلين ثم وقف البطريرك على عرشه وهو كرسي من العاج مزين بالنسبساء  
الجميلة والثمن نحو الجواهر فاعلموا انه بهم بالكلام فاصطف اليه فقال بعد البركة

« اعلموا معاشر الصرانية ان رجال العرب الحجازيين الذين قد سمعتم بقدومهم  
هذه البلاد وامتلأتم على بصرى ودمشق قد استنجل امرهم حتى فطموا حلب وحمص  
وبعلبك وقيسارية وقنسرين وانطاكية<sup>(١)</sup> وغيرها وقد بلغني في هذا الصباح انهم  
قادمون الى هذه المدينة المقدسة بجند كبير وقد بلغكم على ما اظن خروج مولانا  
الامبراطور هرقل من بلاد الشام الى القسطنطينية لاحوال اقتضت ذلك وقد فوض  
اليها التصرف في امر هذه الحرب بالتي هي احسن ففاوضنا حاكم هذه المدينة فرأينا  
من الحكمة ان لا ندع لاولئك العرب سبيلاً لتقريب شيء من ابنتها المقدسة فان  
فيها كموز الصرانية بل ندافعهم بالامر الممكن فاذا رأينا خطراً في مقاومتهم عقدنا معهم  
صلحاً نحتفظ به الارواح والاموال ونمنئي كرامتنا لا كما فعل اهل دمشق فاعلموا ان  
ان نصلي الى الله ان يوفقنا بالنصر في الدفاع عن قبر ابنا المخلص وهذه حصوننا متينة  
وعندنا العدة والرجال فانهدم الفقاق واطمح اولي الامر واعلموا ان الله لم يكن هؤلاء  
العرب من بلادنا الا لما اردنا من الانقراض في ديننا والانفصال عن طاعة الله  
بالفقاق والانقسام فلنجمع قلوبكم ولنُدافع جهد طاقتنا والله يفعل ما يشاء »

فلما انتهى البطريرك من خطابه وضع الناس وهم بين مصوب ومغضب أما حماد  
فلما اقتضت الصلاة خرج وهو يقول للملحان لم تعد ثمت حاجة بنا الى دمشق فاننا  
لا نلبث ان نرى ابا عينه هنا وبالحج لي اني سأخدم في هذه المدينة خدمة اعظ

شأنًا من خدمتي في دمشق لأن أهلها على ما يظهر اقرب الى الصلح من الدسفيين .  
وسارا الى مرتفع من المدينة بطل على ضواحيها وقضيا بقية ذلك اليوم يتفوقان لهما  
بريان جند العرب قادمين واهل المدينة بنأهبون للدفاع وفي صباح اليوم التالي رأيا  
الغبار يتصاعد في الافق وبانت من تحته اعلام المسلمين وفي مقدمتها راية القباب  
فعلم حماد انهم رجال خالد بن الوليد وفي اليوم التالي جاءت فرقة اخرى نزلت في  
جانب آخر من المدينة وما زالوا يرون كل يوم فرقة تأتي باعلامها وخيامها وتنزل  
في ناحية من المدينة حتى صارت عدة الفرقة سبعة كل واحدة منها خمسة آلاف وجلة  
المجدد ٢٥ ألفا عليهم سبعة قواد عرف حماد بعد ذلك انهم خالد بن الوليد وشرحبيل  
والمرقال وبزيد والمحب وقيس المرادي وعروة بن ماهل<sup>(١)</sup> فلما تحقق حماد  
وسلمان انحصار المدينة على هذه الصورة جمعا يبعثان عن ابي عبيدة امله جاء معهم فلم  
يريا رايته هناك ولكن حماد اكان يظن ان لابد من حضوره ففتح تلك المدينة

وقضيا اياما يترددان بين اسوار بيت المقدس والدير يستطلعان مقاصد الروم  
فرايا الخوف مستوليا على الخاصة أما العامة فكانوا لا يزالون مصرين على الدفاع فرموا  
المسلمين بالنشاب عن الاسوار فاجابهم المملوكون بمنابا ومضت ايام والحرب سجال بين  
المجانيدين حتى مل حماد الانتظار وعول على الخروج الى الشام للملافة ابي عبيدة وسؤاوه  
عن جبلة فقال له سلمان ان الطريق لا يخلو من الخطر يا مولاي واخشى اذا خرجنا  
من المدينة ان يستغفنا اهمل فريدو بنا سوءا ولا فليكن خروجنا بجيلة فتربصا  
بضعة ايام وهم في كل يوم ينفان في مشارف المدينة يطلان على ما وراء الاسوار من  
السهول والممالك فرايا يوما جهدا جديدا قادمًا من جهة دمشق عرفا انه جند ابي  
عبيدة وفيهم رايته فاستبشر حماد وقال تدآن الوقت يا سلمان فلنسمع في سبيل الى  
الخروج فما الرأي

قال الرأي ان نحرص حاكم المدينة على محاربة العرب بفان الصلح فلملة ان  
ياذن بخروجنا او يخرج احدنا للمحاربة  
قال حماد ومن يوصلنا اليه وانا لا اعرفه ولا هو يعرفنا ولا يثق بنا

(١) الواقدي . وذكر ابن الاثير عمرو بن العاص وبين روايته ورواية الواقدي تباين

قال سلمان دع ذلك اليّ فاني ادين باذن الله . وإطاعة علي ما ينوي اجراؤه .

## الفصل الثاني والتسعون

### \* صلح بيت المقدس \*

ورجعا الى الدير وليس سلمان احسن لباسا ومار يلمس الحاكم فقبل له انه عند الطار برك في الكيسة فصار اليو فرأى الخدم والحاشية وقوا امام غرفة الاستقبال لا باذنون لاحد بالدخول فتقدم الي كبيرهم وقال له اني آت بهمة ذات بال الى حضرة الحاكم فاستأذنه بالدخول عليه . فاستأذنه فأذن له فدخل سلمان فاذا هو في غرفة قد خلا فيها البطريرك والحاكم وعلى وجهها دلائل البغنة وكأنها كانا في جدال فسجد بدخولو امام البطريرك فقبل يده ثم قبل يدي الحاكم ووقف متأثرا فأذن له بالجلوس فجلس فقال له الحاكم وهو مقطب الوجه ما غرضك

قال ان غرضي بامولاي سلامة هذه المدينة من سلاح الاعداء وصيانة قبر السيد المسيح من الامانة والاحتقار  
قال ومن انت

قال اني تابع لامير من امراء العراق كان في جملة من شهد فتح دمشق وتوسط في صلحها بين الروم والعرب ولولا توسطه لاهرقت الدماء وخربت تلك المدينة وله مع امراء جند المسلمين معرفة ودالة

فقال الحاكم اتريد ان نلتص الصلح من عند انفسنا ونحن لم نبد دفاعا بعد فقال سلمان كلاً يا سيدي انما انا اعرض عليكم الامر عرضاً ولا غرض لي فيه سوى حجب الدماء

فقال البطريرك بورك فبك يا بني ولكننا لا نرضى بما رضى به اهل دمشق فان بيت المقدس قبر سيدنا ومخلصنا وما نُسليمه بالامر السهل فقال سلمان اذا امر مولاي بصلح رأيت لا اظنه الا رضياً به

قال قل

قال اري انكم اذا خابتم هؤلاء العرب بامر الصلح ان لا ترضوا بمقتك علي بد احد

منهم اجلاً لمقام هذه المدينة المقدسة وحنظلاً لمنزلتكم ولكنكم تطلبون ان يتم ذلك على يد امير المسلمين الاكبر وهو سلاطنتهم وخليفتهم ومقامي في يثرب بانجاز فاطمى ان يكون الصلح على يد فاذا رضى به وأنى الخليفة بنفسو من كرسي ملكو الى هنا كان في ذلك حنظ لكرامة هذه المدينة وامتيازها عن كل ما فتح من مدن الغام قبلها

فامعن البطريرك بفكرتو قليلاً ثم قال ابن هو مولاك الامير

قال هو في منزله هنا فاذا امرتم باستقدامو فعلت

فامعن باستقدامو فذهب سلمان وقد سرّ بنجاح مهمته حتى اتي حماداً وكان في انتظاره فلما قص عليه ما دار من الحديث نهض فلبس لباس الامراء وسار مع سلمان حتى دخل على البطريرك والحاكم فلما رأياه استأنسا بطلعتو وما يجلى في وجهو من المهابة والجلال فاذا نأ بجلسو ثم قال البطريرك هل تعرف قائد جند هؤلاء العرب قال نعم اعرفه جيداً ولي معه صداقة

قال هل انبأك تابعك بما استقدمناك به انو

قال نعم وهو الامر الذي اراه انا ايضاً وقد شهدت حرب هؤلاء في دمشق وبصرى وغيرها ورأيت من ثباتهم وصبرهم ما لا اقول ان الروم يعجزون عن مثلو ولكهم قد يفلتون راحة الناس فتتف حركات الاعمال بلا فائدة وخصوصاً بعد ان رخصت أقدامهم في كثير من البلدان وزد على ذلك ان السهل الذي تطلون محاربهم به يحفظ مقام هذا المدينة وكرامتها الى الابد اذ لا يجنى على حضرته ان امير المسلمين المقيم في يثرب رجل عظيم جداً قد اقرب بطنو القريب والبعيد وهو عندهم في ارفع منزلة بعد نبيهم لانه خليفته والقائم بأمره ولم يسبق انه قدم هذه البلاد مثل هذا الشأن فقدمو بنفسو على ما ذكرت امتياز خاص ونظراً لما لي من الصداقة لدى الامير ابى عبيدة كبير امراء هذا الجند سأحب اليو ان يوجب طلبكم ولا اغلثه الا فاعلاً

فالتفت البطريرك الى الحاكم كأنه يستشير فقال الحاكم لا بأس من ذلك غير

اني لا ارضى ان ينهم هؤلاء انا خائفون او انا نطلب الصلح لعجزنا عن القتال

فابتدرو حماداً فائلاً لا تخف يا مولاي فاني اذا خابرتهم اما اجعل ذلك من

عند نفسي على املوب ليس عليكم منه بأس غير اني اتيسر ان يصحني من يخرجني من

الاسوار لئلا يستغني احد من رجالكم

فقال الحاكم لك علينا ذلك ونحن نطلب ان يبقى تابعك هذا هنا ربنا نعود  
قال لا بأس بذلك وخرج حماد حالاً فركب جواده ومعه بعض اهل النضر  
حتى اوصلوه الى باب المدينة فخرج الى معسكر ابي عيينة فلما رآه ابو عيينة استقبله  
باسماً ورحب به وقال له ألعلك جئت بهمة اخرى

قال اني لا آلو جهداً يا مولاي في كل ما يأول الى حجب الدماء

فقال ابو عيينة هل جئنا اهل بيت المقدس الى السلم

قال نعم يا سيدي اظنهم يريدون الصلح ولكنني فهمت انهم رفعة لمقام هذه المدينة  
المقدسة يريدون ان يكون صلحها على يد خليفكم الامام عمر بن الخطاب ألا ترى  
انه يقدم اليها بنفسه وهي مدينة مقدسة يحترمها كل طوائف الناس

قال لا اظنه الا قابلاً بذلك وما بعد قبوله

قال اذا اكدت لي قبوله جعلت الخابرة في ذلك رأساً بينكم وبين حاكم المدينة  
او بطريركها على مشهد من الناس واني انما جئت نوطنة للامر بهمة خصوصية

فأثنى ابو عيينة عليه وقال له لقد سمعت سعيماً حسناً بورك فيك واذا تم  
الصلح وقدم امير المؤمنين الى هنا سأقدمك اليه واذكر له شهادتك

قال ان ذلك شرف كبير احسبني سعيداً اذا حصلت عليه وانقدم الى مولاي  
الامير بسؤال ارجوان لا ينقل عليه

قال قل وما هي

قال اتعرف جيلة بن الاهيم امير الغساسنة الذي كان يجارهم مع الروم

قال نعم اعرفه وما حديثه

قال ان لي معه امراً بهمي وكنت احسبه في بيت المقدس فجئت كما علمت فلم  
اجن ولا احداً من اهل وقيل لي انهم كانوا هناك وخرجوا خروج الفارين لا يعلم  
احد بمفرم فهل يعلم مولاي شيئاً عن هؤلاء الغساسنة

قال ابو عيينة ان الذي اعرفه من امر هذا الامير انه خرج من بلاد الشام جملة  
هو واهله وقد بعثت العيون عليه فاذا عرفت مقره انبأك به او ربما سمعت بقتلو  
بسيننا الا اذا سلم صاغراً

قال وكيف تقتلونوه وهو انما يحارب بسيف مولاه الامبراطور ولعله اذا خبر لا  
بخنار غير التسليم  
قال اما اذا سلم فهو في ذمتنا له ما لنا وعليه ما علينا والآن فان السيف بيننا وبينه  
واخشى مع ذلك ان يكون قد قتل في بعض الاماكن ولم يعلم به احد  
فاضطرب قلب حماد وخاف ان تلك الحجازيون بجيلة واهله اذا التقوا بهم في  
مكان فوقع في حيرة ونظر الى ابي عبيدة وهو بهم ان يخاطبه في الامر ويوقفه الحذر  
فلطمح ابو عبيدة ذلك فيه فقال ما لي اراك تحاذر ان تخاطني فهل يسوءك قتل جيلة  
قال نعم يسوءني يا سيدي

قال وهل بينكما قرابة

قال وقد تلجج في الجواب نعم بيننا شبه قرابة

قال واي قرابة بينكما واثم من لحم وهو من غسان فالظاهر انها قرابة المصاهرة  
فقال وهو مطرق نعم يا مولاي ثم رفع نظره اليه وقال هل يا ذن لي الامير بأمر  
أقدم اليه فيه

قال قل ما بدالك

قال ان امر جيلة بهمي كثيرا وحياته افنديها بجياني  
قال وما معنى ذلك اني لم افهم السر فاذا كانت بينكما هذه العلاقة فما بالك لم  
تدافع عنه في شيء ولا ذكرته امامي في مثل هذا المعرض قط  
قال ان الاحوال لم تلجني الى ذلك قبل الآن اما وقد آتست فيك هذا  
الانعطاف فأجتاسر في بشك امرا بهمي كمنه الآن ولكنني ابسطه لديك عساه ان  
يعود علي بالفائدة  
قال قل ما هو

قال اعترف لمولاي الامير ابيك الله ان لي في جيلة مأربا بهمي كثيرا ولا اخفي  
عنك اني خاطب ابنته وقد قضيت بضعة اعوام في انتظار وقت القران فحالت الحروب  
بيني وبينه وكان آخر عهدي بالامر ان اجتمع بواباه في بيت المقدس فلما جئتها  
رايتهم قد رحلوا الى مكان لا يعلمه احد فجمعت استنهم عن مكانهم قال ذلك وقد  
ظهرت علي وجهه علامات الاهتمام بمازجها الحياء

فقال ابو عبيدة وهو ينظر الى وجهه يراعي حركاته « كيف هان على ملك غسان ان يزوجك ابنته وانت غريب ولست من سلالة الملوك »

فتغير حال حماد وعلا وجهه الاحمرار لما تذكر من حقيقة نسبه ولكنه تجاهل وقال « لقد عابنا في سبيل ذلك مشقة ولعله السبب في تأخير الاقتران الى اليوم »

فقال ابو عبيدة طمب نفساً يا حماد واعلم اني نصيرك في الحصول على مرامك ولا يخفى لجلبة ان يفاخرك في النسب وانت شهم هام قد رفعنك همتك الى اعلى من مقام الملوك وما اني باث العيون والارصاد للبحث عن جيلة وساحملة على ما تريد فها

فأثنى حماد على غيرته وشكره وهمّ بوداعه على ان يعود الى حاكم بيت المقدس بنتيجة الرسالة . فقال له ابو عبيدة تمهل ريثما اشاور الامراء في الاهر

وامر فحاء خالد وسائر الامراء وخرج حماد فعقد ابو عبيدة مجلساً شاور فيه اصحابه فلما انفض المجلس استدعى حماد فدخل على ابي عبيدة ولم يكن في الخيمة غيره فراه عابساً فقال له ما بال مولاي مقطب الوجه

فقال ليس بي بأس ولكنني لقيت من الامراء رغبة في اجراء الصلح على بدنا استعجالاً للفتح . لان استخدام الخليفة من المدينة يستغرق زمناً طويلاً وقد يمتنع عن المجيء لما يحول بينه وبين ذلك من المشاغل الهامة

فادرك حماد ان البادي في ذلك الرأي خالد بن الوليد لما يعلم من عجلته ورغبته في الفخر فقال اظن الامير خالداً اكثر الامراء ميلاً الى هذا

فلم يجب ابو عبيدة في بادىء الرأي فصمت حماد ولبت ينتظر الجواب فقال ابن عبيدة عد الى حاكم ايلياء<sup>(١)</sup> وقل له اننا قبلنا باجراء الصلح على يد امامنا الخليفة امير المؤمنين واذا جاءهم احد من الامراء بغير ذلك فهم مخبرون في القبول او غير

فنهض حماد فودعه واوصاه بالسعي في البحث عن جيلة ثم خرج يريد بيت المقدس فلقية حماد فآخبره الخبر فسرّ لنجاح مهمته وقال له هلم بنا الى الحاكم فساروا اليه فلما اقبلا عليه استطلعها الخبر فقضّ حماد ما دار بينه وبين ابي عبيدة فقال الحاكم لا نصالح احداً غير الامام

فقال البطريرك ( وكان حاضراً ) وكيف نميز بين الامام واحد الامراء لو جاءنا باسمه  
فقال سلمان اني عالم بصفة امامهم وقد شاهدته بنسي غير مرة في المدينة يوم شهدت  
فتح مكة وكان لا يزال اميراً كسائر الامراء.

وفي اليوم التالي صعد البطريرك والحاكم الى اسوار المدينة ومعها حماد وسلمان  
متكرين فلبثوا ينتظرون ما يكون من امر العرب فجاءهم رسول على جواد خاطبهم من  
اسفل السور يطلب اليهم التسليم فقال البطريرك اننا نقبل بالصلح اذا كان على يد  
اعظم امرائكم

فمضى الرسول وبعد برهة عاد معه فارس آخر علموا من لباسه وحاله انه من  
الامراء فقال الرسول هذا هو كبير امرائنا فصالحوه

فنظر حماد فاذا هو ابو عينة بنفسه فعلم ان رأي امرائه غلب على رأيه فجاء  
يطلب الصلح بنفسه فلما رآه البطريرك استطلع رأي حماد عن الرجل فقال هذا هو  
ابو عينة كبير امراء جند الشام  
فقال اليس هو ملكهم الكثير  
قال كلاً

فنظر البطريرك الى ابي عينة وقال اننا لا نصالح احداً غير خليفتم المقيم في  
المدينة فاستقدموه واحجبوا الدماء

فعاد ابو عينة وفي اليوم التالي جاءهم خالد بمنزل ذلك فأبوا مصالحة (١)  
واصرروا الآن بأنهم عمر بنفسه وكان الفصل شتاء وقد تكاثرت الامطار والعواصف  
فامتنع على المسلمين الثبات هناك مثل ثباتهم في دمشق الشام لان اهل بيت المقدس  
مقيمون في البيوت والعرب في الخيام على انهم صبروا على مناجزتهم اربعة اشهر بين  
حرب ونضال ومخافة والروم مصرّون على ان يكون الصلح على يد الامام عمر فلم ير  
ابو عينة بداً من استقدامه فكتب اليه بذلك

اما حماد فكان يتردد الى معسكر ابي عينة يستطلع ما حدث من امر جيلة  
ويستحث ابا عينة على استقدام عمر قياً بما بوعده فمضت الاشهر الاربعة ولم ينف الجيلة  
على خبر

اما سلمان فانه لم يطلق صبراً في انتظار ابحاث ابي عبيدة فخرج بنفسه يستخير الناس من ظن انهم يعلمون شيئاً عن جيلة واهله فلم يسمع الا اخباراً متضاربة فمن قائل انهم فروا الى العراق او مصر او غيرها وقال آخرون انهم لا يزالون مخبئين في بعض بلاد الشام ولكن الاكثربن على انهم فروا الى العراق فعاد الى حماد بتلك الاخبار المتضاربة فلم تغنوه شيئاً فاشتد اليأس وضاعت دونه السبل ولم يكن برّ تعزية الا بقاء ابي عبيدة . ففينا هو عند ذات يوم وسلمان ينتظر خارجاً اذ دخل عليه رجل منبسط الوجه كأنه جاء ببشارة فقال ابو عبيدة ما وراؤك

قال ان بالباب رسولاً من امير المؤمنين جاء يخبرنا بقدموه  
قال فليدخل فدخل الرجل وانار السفر بادية على وجهه وعلي ثياب  
فقال له ابو عبيدة ابن تركت امير المؤمنين  
قال تركته راكباً من دمشق واسرعت لبشارتك

فقال ابو عبيدة ما باله ابطأ علينا  
قال انما ابطأ لما اعترضه في طريقه من المسلمين يستثونونه ويتفاوضون اليه وهو لا يرى الا سماع اقوالهم والعدل بينهم

قال هكذا يكون الامراء بورك بطن حملك يا عمر . ثم بعث الى خالد وسائر الامراء فجاءه فأنبا هم بقدم عمرو قال فلنذهب للقاء والتفت الى حماد وهمس في اذنه هلم بنا لعننا نسمع من اهل المدينة خبراً عن صاحبك جيلة

فركب الامراء وركب حماد ومعه سلمان وقد شغله ركوبه هذا عن اهتمامه بجيلة وخبره وكان الامراء بلباس الديباج والحبر<sup>(١)</sup> وقد امتطوا خيولاً فوقها السروج النضة<sup>(٢)</sup> ما غممه من دمشق الشام وغيرها الا ابا عبيدة فقد كان على قلوصة ( ناقة ) وفوقه عباءة قطانية وخطام الناقة من الشعر وساروا وقد تركوا الجند في مكانهم حول اسوار بيت المقدس . وكان حماد مشتاقاً لمشاهدة عمر بعد ان نولى امر المسلمين وهو يتوقع ان يراه في موكب حافل كما تعود ان يرى او يسمع عن ملوك الروم والفرس ما يبهّر النظر ويستوقف البصر فكان كلما مشوا قليلاً تشوف عن بعد لعله يرى الغبار او نحوه مما يتقدم الموكب فلم ير شيئاً

## الفصل الثالث والتسعون

### \* الامام عمر بن الخطاب \*

وفيا هو يشوف رأى هجنا قادمة فقال في نفسه هن هي طليعة الموكب قد جاءت  
بشارة فلما اقتربت رأى في مقدمتها هجينا احمر عليه من الجانبين غرارنان وامام  
الرحل قرية الماء ووراءه جفنة للزاد وقد امسك بخطام الناقة بدوي ماش .  
وعلى الناقة رجل ابيض الوجه مع حمرة تعلقه شديد حمرة العينين حسن الخدين والانف  
خفيف العارضين ضخيم الكراديس على رأسه عمامة وعلى كتفيه عباءة من صوف عليها  
بضع عشرة رقعة بعضها من الجلد والبعض الآخر من الصوف (١) يحمل بيده درة هي  
عبارة عن سوط عريض من الجلد . فتعير حماد في امر هذا الهجان والتفت الى سلمان  
فابتدعه قائلاً هذا هو الامام عمر يا مولاي ثم ما لبث ان رأى ابا عبيدة ترجل عن  
ناقه واسرع نحوه وترجل عمر ايضاً وتعاونا فتحقق حماد انه الامام عمر فعجب لذهن ثم  
ما لبث ان سمع عمر ينتهر بعض الامراء فتقدم لسمع كلامه فاذا هو يؤنبهم لما اتخذوه  
من لباس الديباج والحجرب وقال لهم ما بالكم تمسكنم بالديبا وغفلتم عن الآخرة ما هذه  
الملابس انما البسة اهل الترف وانتم في سبيل الجهاد قال ذلك وحسا عليهم التراب  
فقال ابو عبيدة ائهم يا امير المؤمنين اما اتخذوه كساء خارجياً وتحنه السلاح (٢)

ثم نادى ابو عبيدة حماداً فاقبل فقدمه الى عمر وقال له انه شاب من امراء  
العراق كان لنا نصيراً في حصار الشام واسطة في صلحها

فرحب به عمر والتفت الى ابي عبيدة وقال لقد اذكرني بحيلة من الابهام الغساني  
لم يصلك كتابي بشأني

قال كلاً يا مولاي وما خبره

قال له خبر طويل سأقصه عليك بعدئذ وهلم بنا الآن الى بيت المقدس  
وركبوا جميعاً

أما حماد فلما سمع اسم عمه جلة خفق قلبه وتناق لهما حديثه ولكنه لم يجسر على

التماس ذلك فاضطر للانتظار الى فرصة اخرى وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على بيت المقدس وحولها معسكر العرب ورأوا الاعلام عن بعد ولما اقتربوا من الخيام سمعوا ضجيج الناس ورأوا جماعات منهم مهرولين للملافة عمر فرحب بهم وأثنى على غيبتهم وشكرهم لحسن جهادهم وذكر ما فنع من المدن على ايديهم حتى اذا وصلوا معسكر ابي عبيدة نزل عمر في فسطاط من شعر نصوه له هناك ونزل الامراء معه وراح الناس للثنين بمشاهدته وسامع كلامه . اما هو فجلس على التراب وجلس الجميع معه وحماد يعجب لزهة وتواضعه ثم نهض وألقى عليهم خطاباً ثم جلس الجميع يقدشون بامر النفع وما لقوه من الجهد وما كان من فوزهم وكلهم فرحون وامارات الافتخار ظاهرة على وجوههم وكان حماد ينتظر ان يجري حديث جبلة لعل عمر ان يقص خبره فاشتغلوا عن ذلك باحاديث الفتح ثم نودي بالصلاة

فخرج حماد وقد ملّ الانتظار فقال ما قولك يا سلمان هل نسأله ليفص علينا خبر جبلة قال لا حاجة بنا الى ذلك وإنما يكفيننا ان نسأل ابا عبيدة وهو يطلب اليه قال حسناً وسارا الى ابي عبيدة بعد الصلاة فلما وقع نظره على حماد قال له غداً نسمع حديث امير المؤمنين عن جبلة واهل بيته اما الآن فاطلب اليك ان نسير الى حاكم هذه المدينة فنشئ بقدم امير المؤمنين وقل له ليخرج للصلح ومتى عدت من هذه المهمة قدمتك الى مولانا الخليفة فتعال منه بركة وحظوة فخرج حماد وسلمان فانيلاً الحاكم والبطيريك بقدم عمر فخرج البطيريك على الاسوار وطلب ان يرى عمر رأياً العين

فعاد حماد بالخبر فرمى عمر ناقته ورفعته ونقدم نحو الاسوار وابو عبيدة الى جانبه وكان حماد قد عاد الى الاسوار وأشار الى البطيريك انه هو الرجل فاستغرب ما رآه من سذاجة لباسه وكثرة زهده واعتبر بما انغمس فيه الروم من الترف والرفاه وما اراد الله من خضوعهم لاولئك العربان ثم نظر الى اعيان المدينة وكانوا قوفاً معه على الاسوار وقال « اليكم يا اهل بيت المقدس هذا هو الرجل الذي تنقح بلادنا على بني فاخرجوا اليه واطلبوا صلحه واعقدوا معه الامان والذمة <sup>(١)</sup> » ففتحوا الابواب وكانوا

قد ضاقوا ذرعا عن احتمال الحصار وخرجوا افواجا وفيهم الرجال والنساء والشيوخ والاطفال وصاحوا بصوت واحد يستغيثون فلما رآهم عمر على هذه الحالة تخشع لله وسجد وهو على قتب بعين ثم اناخ ناقته ونزل وقال للناس عودوا الى منازلكم ولكم الذمة والعهد

فعادوا ولم يقللوا الابواب وعاد عمر الى معسكره وفي صباح الغد دخل عمر المدينة والناس يرحبون به وقد رفعوا اصواتهم بالنزيم والترنيل وفيهم القسس في ايديهم المباخر حتى اتى سراي الحاكم قرب كنيسة القيامة واجتمع اليه الحاكم والبطريرك وكبار اهل الدولة وعقدوا صلحا اقرؤا به على اداء الجزية واوصى بهم الامام عمر خيرا وهدأت الاحوال وسكنت القلوب<sup>(١)</sup> الا قلب حماد فانه ما زال ينتقلب على حجر الانتظار والتردد

## الفصل الرابع والتسعون

### \* جيلة بن الایهم \*

ومكث عمر في بيت المقدس عشرة ايام لم يحل يوما واحدا من الوفود من سائر انحاء سوريا وخصوصا عظماء البلاد التي خضعت للمسلمين فانهم كانوا في اشتياق لرؤية الخليفة . وفي اليوم الخامس من دخوله وهو يوم الجمعة خط عمر محرابا في المدينة وفي موضعه بني جامع بعد ذلك ففي ذلك اليوم سار حماد الى ابي عبيدة وشكا اليه قلقه ورغبته في سماع حكاية جيلة عن لسان الامام عمر فاستمعه الى المساء وقال له ان امير المؤمنين سيجز من المدينة بعد صلاة العصر ليصلي العشاء مع باقي الامراء في فسطاطه وسنفضي السهرة هناك فينص علينا الخبر

وفي العصر خرج حماد وسلمان الى معسكر ابي عبيدة حتى اذا كان العشاء وصلى المسلمون سارا الى خيمة الامام عمر فلقبها بالحاجب فاستاذن لها فدخلوا وجلسا في بعض جوانب المكان وكانت الخيمة كبيرة وفيها زهاء خمسين رجلا

وكان الجميع جلوساً على الثرى نثلاً بامامهم الخليفة وبعد ان قرأ القراء بعض السور وتبرك الناس بذلك المساء تقدم ابو عينة الى الامام عمر ان يقص عليه حكاية جبلة بن الهم ملك غسان وما كان من امره

فقال الامام عمر ماذا تعلمون عنه انتم

قال ابو عينة نعم انه فرّ باهل منزله الى مكان لا نعلمه

فتبسّم عمر وقال انه لم يفر ولكنه جاء المدينة بعد فتح دمشق يلتمس الدخول في الاسلام فقبلت منه ذلك فاعتنق الاسلام واقام بيننا في اهل منزله معزراً مكرماً واذا لة ان يبقى على ما اعتاده من فاخر اللباس من الحرير والديباج وركوب الخيل مسرجة بالسروج الثمينة عليها سلاسل الذهب في اعتاقها ولذا ركب وركبت حاشيته عقدا اذئاب الخيل فسارت تحظرهم حتى لانبى واحدة من نساء المدينة الا ونخرج لمشاهدتهم<sup>(١)</sup>

ولكننا ما برحنا نرى فيو روح الاستبداد والظلم ما يأنه عدل الاسلام لان هؤلاء العرب المنتصرة عاشروا الروم واعتنقوا ديانتهم وتحلقوا باخلاصهم ولا يخفى عليكم ما في دولة هؤلاء الروم من التفاوت بين طبقات رعاياهم فيا كل القوي منهم الضعيف بغير وجه الحق فاراد جبلة ان يسير على ذلك فاوفقناه عند حد

وما دعانا الى ايقافه خاصة حادثة جرت لرجل من فزاراة مع جبلة وذلك اننا خرجنا من الحج وفيما نحن نطوف في البيت ومعنا جبلة وجمع غفير من المسلمين وفي جملتهم رجل من فزاراة فوطى الفزاري آزار جبلة فاخل ازار فغضب جبلة ورفع يده وضرب الفزاري فهشم انفه شجاء في هذا الرجل بشكوا الم يو فبعثت الى جبلة فاتى فقلت ما هذا قال نعم اني هشمت انفه لانه تعمد حل ازاراي ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عيني بالسيف

فلما قال ذلك علمت انه يريد الاستبداد فقلت اعلم يا جبلة انك مخطى وقد اقررت بما ارتكبت فعليك اما ان ترضي الرجل واما ان يفعل بك مثل فعلك يو . فعظم ذلك على الغساني واستغربه وقال وما ذا . قلت امر بهشم انفك كما فعلت

فقال كيف ذاك يا امير المؤمنين وهو سوقه وانا ملك  
قلت ان الاسلام جمعك وياه فلست تنضله بشي الا النقي والعافية  
فقال وقد خاب ظنه « كنت ظننت يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام امنع  
مني في الجاهلية »

فقلت دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك  
فقال اذا انتصر

فقلت له ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك  
فلما رأى ابن الایهم ما صممت عليه سكت ثم قال لي اني ناظر في ذلك ليلتي هذه  
قلت انظر ما شئت ثم انصرف ولم اعد اراه ولا ادري مقره . وقد كتبت اليك  
بشأنه والتست ان نجث عنه فهل علمت عنه شيئاً  
قال ابو عيينة كلاً يا مولاي انا قضينا اشهرًا ونحن نجث عنه فلم نقف له  
على خبر

## الفصل الخامس والتسعون

### مشورة وذكري

وكان حماد يسمع حديث عمر وهو شاخص ببصره تطاول بعنقه وقلبه يخفق في انتظار  
آخر الحكاية فلما اتى عمر على آخر كلامه اقبضت نفس حماد وعظم عليه الامر وهم  
مخاطبة عمر يستطلع رايه في مصير جيلة واهله فاقعدته هيبة المجلس ومقام الخليفة وما صدق  
ان ارفض الجميع حتى خلا بسلمان ووقفا بالقرب من معسكر ابي عيينة فقال حماد  
يا رأيك يا سلمان

قال لقد هان الامر يا مولاي والرأي عندي ان نجث عن جيلة في الطريق بين  
المدينة والشام اذ لا اظنه اذا فر من الحجاز الا قادمًا الى اطراف الشام او البلقاء او  
مكان آخر لم يفقه المسلمون اولعله يخفي في بعض الدبور ولا بد له في كل حال من  
المرور بدير بجهرا ولو متكرراً فلنجث عنه ونستقراهل الدبر واذا اشكل الامر أكثر  
من ذلك قصدنا ناسك حوران فان له معرفة وكرامة

فتأفف حماد ونذمر ولكنه فكر في الامر فرأى كلام سلمان معقولاً فظل صامناً  
برهة وسلمان ينظر اليه ويتأمل حاله فرآه غارقاً في بحار الهواجس وقد تولاه الانقباض  
وغلب عليه اليأس فقال له ما بال مولاي لم يعتد بكلامي العلي مخضئ في ما اقول  
قال لا اقول مخضئاً ونعم الرأي رأيك ولكنني افكر ياسلمان في هند كيف طال  
هذا الامد ولم يصلني منها علم ولم اسمع عنها خبراً مع علمها بذهابي الى بيت المقدس  
بعد فتح الشام

قال لا نلها يا سيدي ألا نعلم انها فتاة لانستطيع المجاهرة بامرها فضلاً عما كانوا  
فيه اثناء فرارهم من الخوف والاهتمام واقاموا في المدينة غرباء ثم عادوا فارين كما قد  
رأيت فهل نستطيع هندامراً

فقال حماد لا ادري ولكنني اراني مقيد الفكر مغلول اليدين والامير عبد الله  
بعيد عنا لا نعلم خبره ولا ما لاقاه في العراق

قال سلمان اما الامير عبد الله فانت نعلم انه من الحكمة والتعقل في ما لا تخشي  
عليه معه بأساً ولا يلبث ان يعود اليها وقد نال حظوة في عيني المسلمين  
ولكن ... وصت

فقال حماد ما بالك صمت قل ما في نفسك  
قال سلمان ماذا اقول ونحن كما قلت مقيدو الفكر مغلولو الابدي  
قال وما ذا تعني

قال اعني يا مولاي اننا شغلنا بحروب الشام والتماس ملك غسان عن امرنا  
اتينا هذه البلاد من اجله ولولاه لكان مقامنا في العراق معاً ندافع عن دولة الفرس  
دفاعنا عن انفسنا

فاتبه حماد الى حكاية النذر وحقيقة نسيه وماله من التأثير على الفرس فقال  
لقد صدقت يا سلمان اننا نقاعدنا عن تأرنا وانشغلنا بهما انفسنا عن وصية والدي  
والله لو اني فرغت من مشاغي المتهاجرة وخلوت بنفسي يوماً واحداً لما بقيت في هذه  
الديار بل كنت اول شاخص الى العراق اشهد فتح المدائن عاصمة تلك الدولة الظالمة  
واني لواتق بقرب سقوطها لما نعلمه من بطش العرب وفساد احوال الفرس وانقسام  
حكامهم بعضهم على بعض

فقال سلمان اذا نسير الى العراق ...

قال حماد بصوت مخنق ونفس صغيرة « وهد » ونظر الى سلمان فكان لنظريه وقع السهام على قلب سلمان فنظر اليه وتبسم ثم همّ به وضمه الى صدره وقال له ان هندا في المقام الاول يا مولاي ثم النار

فتنهذ حماد وقال لابل الانتقام للملك النعمان قبل كل شيء. هكذا اوصانا بصوته المنبعث من ظلمات القبر ولكن ..... قال ذلك وترقرقت الدموع في عينيه

فابتدريه سلمان قائلاً ان كلا الامرين مستدرك فلنبعث اولاً عن مفر هند فاذنا النفيينا بها وكان السفر الى العراق مستعجلاً وكان اجل الفرس قريباً اجلت الاقتران الى ما بعد الرجوع منها وسوط دولة الفرس والآن فانك نتزوج ثم نسير فقم بنا الى بيت المقدس وغداً نستطلع اخبار العراق ثم نسير للبحث عن جيلة واهله في اطراف الشام وحوران ويفعل الله ما يشاء.

فقال حماد حسناً نرى ولكن ذهبننا الى بيت المقدس في هذا الليل لا يخلو من المشقة فضلاً عن الخطر وقد دعانا ابو عبيدة للمبيت عنده فلنبت هنا الليلة وغداً لناظر قريب

قال حسناً ونحولاً نحو النسطاط وقبل الوصول اليه سمعا اصواتاً عرقاً انها اصوات القراء يتلون القرآن والناس يصلون فتنبها برهة حتى فرغوا من الصلاة فدخلوا على ابي عبيدة فقال لها ابن ذهبننا وانا ابحت عنكما منذ خروجنا من مجلس الخليفة فقال حماد لقد كنا في شأن جيلة وخبره ولم يزدني حديث امير المؤمنين الا تلبكاً فلا ادري ابن هو هذا الرجل الآن

فقال ابو عبيدة سنبحث عنه في سواحل الشام لعله ينم في مكان هناك او اذا كان قد خرج منها الى بلاد الروم او مصر او غيرها عرفنا خبره

فقال سلمان ونحن نرى ان نفتش عنه في اطراف الشام وحوران لعلنا نسمع عنه شيئاً في بعض الدبور. قال ابو عبيدة نعم الرأي رأيت وسيكون بحثنا وبحثكم معاً فمن استطاع امرأ اطلع الآخر عليه

فقال حماد وماذا تعلمون من اخبار العراق وفارس فان والدي لم يكتب اليّ شيئاً منذ سفره

فقال ابو عبيدة ان ما اتانا به مولانا امير المؤمنين يسره كل مسلم فان النصر معقود لوائه لجنود المسلمين حينما ولوا وجوههم وقد كان الامام عمر على موعد من موقعة هائلة بين المسلمين والفرس في القادسية فخرج من المدينة وهو في انتظار البريد مخبرها وقد ابطأ عليه فاوعز الى نائبه في المدينة اذا جاء بريد العراق ان ينفذ اليه في بيت المقدس حالاً ف نحن نتنظر ورود البريد<sup>(١)</sup> انتظار الظان لموارد الماء . وكلنا على يقين من نصره رجالنا مها تكاثرت جنود الفرس وافيالهم ودوابهم فاهم اشد وطأة من الروم بل نحن اشد وطأة على الفرس منا على الروم لان هؤلاء اهل كتاب قد اوصينا بهم خيراً واما الفرس فانهم محسوس يعبدون النار<sup>(٢)</sup> فضلاً عن اختلال احوال مملكتهم وتنازع دعاة الملك على كرسيمهم فقد توالى على ابوان كسرى بضعة ملوك في عام واحد بعضهم نساء والبعض الآخر من الرجال وملكتهم الآن يزدرج بن شهر يار ابن كسرى انوشروان وهو ضعيف الرأي لا يستطيع القيادة فهل يعقل ان جند يغلب جند امير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلى كل حال ان موعداً من اخبار النصر قريب ان شاء الله

ثم امر بعض رجاله فاعدوا خيمة للضيفين فباتا تلك الليلة واصبحا وقد قام الامام للخطابة والصلاة فاذن المؤذنون وصلى المصلون ففتحن حماد وسلمان ومشيا خارج المعسكر يقعدان في تلك الشوئون فوقع نظرهم على هجين قادم من عرض الافق بسرعة البرق فقال سلمان هذا هو صاحب البريد على ما اظن فوقفا فاذا به دار حتى اتى معسكر ابي عبيدة وترجل عند فسطاطه فاسرعا الى الفسطاط فرأيا ابا عبيدة خارجاً من خيمته ومعه الهجان وهولا يزال بفباره وقد مشى وهيمته وراءه حتى اتوا فسطاط عمر فدخلوا جميعاً ودخل حماد وسلمان معهم فرحب بهم وخاطب صاحب البريد قائلاً ما وراءك يا رجل . فقال ما ورأى الا الحير . ومد يده فاستخرج من بين اثوابه صندوقاً ففتح واستخرج منه ملفاً من جلد ناوله الى الامام عمر فضفذه ودفعه الى بعض خاصته وقال انله علينا لنرى ما كان من امر المسلمين في العراق

فتناول الرجل الكتاب ووقف واخذ يقرأ والناس سكوت فاذا فيه :



## الفصل السادس والتسعون

### \* وقعة القادسية \*

« الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من سعد بن مالك امير جند العراق اما بعد فاني اكتب اليك تفصيل واقعة القادسية التي فاز بها المسلمون على اهل فارس واليك هي . جئنا يا امير المؤمنين بمجنود المسلمين من تعلم مع ما انضم اليهم من جند الشام وجمعهم جميعاً ٢٥٠٠٠ و نزلنا في القادسية بين العتيق والحنديق بجبال الفنطرق والقادسية يا امير المؤمنين واقعة في راس بحيرة وراءها مضيق من البر يفصل بين البحيرة والفرات فاقمنا هناك شهرين ندافعهم تارة ونطاردهم اخرى حتى ملوا منا فكتبوا الى ملكهم يزدرج وشكوا ما يقاسونه وقالوا اننا اخربنا ما بيننا وبين الفرات وبنينا الدواب والاطعمة . فبعث يزدرج الى رستم كبير قواده والحج عليه ان يقدم هو بنفسه لقتالنا فحاج وعسكر في ساباط . وقد كتب اليك بذلك في حينه فكتبنا اليها ان لا يكرهنا ما يأتينا عنهم فاستعنا الله وارسلنا نراً من المسلمين الى يزدرج في المدائن يدعونه الى الاسلام او الجزية او السيف فاستقدم رستم اليه واستشاره فيما جاؤوا من اجله فلما سمع مقالهم تهدهم وتوعدهم ثم وعدهم بقوت ومال وكساء فاجابوه بكلام شديد فاخرجهم من المدائن مهاتين فلما رأينا ذلك منهم جعلنا نغزو ما حولنا من البلاد والقرى نسوق اغنامها وابقارها واساكها وابلها . فلما بلغ رسم ذلك حمل بجند عدده مئة الف وعشرون الفا<sup>(١)</sup> اربعون منها بقودها رجل اسمه المجالينوس والباقيون يتقدم رستم فجاؤونا في هذا الجند الثقيل ومعهم الفيلة والخيول وكانوا لا يمرون ببلدة الا اساقوا اهلها وشربوا خمرها . واكثرنا من الفساد فيها فنقم الناس عليهم وقد علمنا من بعض اسراهم انهم فضلو في انتقامهم هذا من المدائن الى القادسية اربعة اشهر فلما وصلوا القادسية عسكروا بجبالنا ورأينا معهم فيلة بعضها مشهور عندهم بالثك كالفيل الحسي فيل سابور الابيض وغيره . فنظم رستم جيشه فجعل من الافيال ١٨ في الوسط و ١٥ في الجانبين ثم انفرد هو في مكان مشرف ينظر منه الى جندنا وبعث اليها ان

نوافية رجل منا بكلمة فارسلت اليه واحداً فاخبرني لما عاد انه دخل على رسم فاذا هو جالس على سرير من الذهب وبين يديه البسط والفارق والوسائد المنسوجة بالذهب فلما وصل رسولنا بعباءته ودرعه وسيفه لم يبهه ما رآه هناك من بهارج الدنيا فقاد جواده فوق البسط وشق وسادتين ربطته بهما فسالوه ان يضع سلاحه فاني حتى اقبل على رسم فابتدره ترجمائه وهو من اهل الحيرة واسمه عبود فساله عما جاء من اجله فاجابه بالدعوة التي تعلمونها فعظم ذلك عليهم وقالوا « كيف تطلبون قتالنا او الجزية وقد كنتم في قشف ومعيشة سيئة لا تراكم شيئاً وكنتم اذا قحطت ارضكم استعطيمونا فناً مر لكم بشيء من الثمر والشعير ونردكم ولا ننظنكم قادمين علينا الا من الجهد فاننا امر لا ميركم بكسوة وبغل والى الف درهم ولكل منكم وقرنم وتصرفون عنا » فاجابه الرسول بما اسكنه وبعد جدال طويل غضب رسم واقسم ان النهار لا يطلع قبل ان يقتلنا اجمعين فقال له الرسول من يقتل منا يدخل الجنة وارسلت اليه رسلاً آخرين يدعونه الى ما هو خير لنا وله فاجابهم بمثل جوابه الاول فلم يجيدنا ذلك نفعاً

« وفي اليوم التالي جلس رسم على سرير وضرب عليه طيارة وعين الاقبال كما ذكرت واتخذ في ابصال خبر الحرب الى ملكه يزدرج طريقة اعجبتني ولعلي متعذرها في بعض حروبي ان شاء الله وذلك انه جعل بينه وبين يزدرج رجالاً على كل دعوة رجالاً او لهم على باب ابوانه في المداين واخرهم عند رسم فكل ما فعل رسم شيئاً قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا الى ان ينتهي الى يزدرج في اسرع وقت . وكنت يا امير المؤمنين مصاباً بدمامل وعرق النساء فلا استطيع الجلوس وانما كنت اجلس مكباً على وجبي وصدرى فوق وسادة على سطح القصر اشرف على الناس وارى قتالهم ولكن الله اعاننا بمنه وكرمه فاننا لما رأينا الفرس يهيمون للقتال بعثنا الخطباء في الجند وقرأنا سورة المجهاد ثم صلينا الظهر وكبرنا اربعاً فرحف الجند وتلاحم الجيوشان والله يا امير المؤمنين لقد كنت ارى جند فارس يهالون كالسيل وفيهم الاقبال كالأموال المتلاطمة وهي تنور فتلتفف الرماح والنبال بجراطمها وتدوس الناس والحبول بخفافها فهالني امرها فقلت يا قوم اما من حيلة لها فرماها بعض المسلمين بالنبل فقتل ركبها وتقدم آخرون فازاحوا عنها

توايئتها فتلبكت حركاتها وفسد نظامها فجاء المساء وقد قتل من الفرس جند كبير وفي اليوم التالي وصلتنا نجدة اهل الشام اني ارسلها ابو عبيدة فهاجنا الفرس حتى كدنا نقبض على رستم ولكنه نجا وفي اليوم الثالث لقي الجند ان شدة وجهداً اما نحن فواصلنا العمل في الليل وكانت ليلة سمينها ليلة الهرب لان رجالنا لم يكونوا يتكلمون وانما كانوا يهرون ههراً فنقلنا الجند الى مكان يأخذ العدو من خلفهم ففعلنا ذلك وهم لا يعلمون

« ولما اصبحنا هاجنا اعداء الله من كل جانب ففشلوا واختل نظامهم ووصل بعض رجالنا الى سربر رستم وقد اطارت الرمح الطيارة عنه فاستظل بظل بغل فقتلوه وقتلوا الجالينوس فانهزم الفرس شر هزيمة فتعقبهم رجالنا وغنمنا اسلحتهم واتصرونا نصراً ميبناً<sup>(١)</sup> ونحن سائرون الآن لنفخ المدائن بعون الله تعالى » انتهى

فما فرغ القاري من قراءة الكتاب حتى ضج المسلمون بالتكبير والشكر لله على ذلك النفع اما حماد فانه صبر على سماع الخبر رغماً عنه فلما تفرق الناس خرج حماد وسلمان فقال سلمان بظهر ان اجل الفرس قريب وسيفتح المسلمون عاصمتهم فبندك عرشهم ويكون ذلك جزاء ما كسبته ايديهم من قتل الابرياء

فقال حماد ولكننا لم نستفد شيئاً عن الامير عبد الله ولا عن جيلة ألا نظن صاحب البريد يعلم شيئاً عن ذلك

قال ربما كان على علم فلم بنا نستطلعهُ وساروا يبحثان عنه فاذا هو قد خرج الى خيمة بعض الجند للاغتسال والوضوء وتناول الطعام

فقال سلمان اظن صاحب البريد يجناج الى الراحة بعد سفره الطويل فلندعه وشأنه على ان نعود اليه في صباح الغد

قال حماد لقد احسنت رأياً وانصرفا الى خيمة للاستراحة



(١) قيل كانت هذه الواقعة سنة ١٤ لهجرة وقيل ١٥ وقيل ١٦

﴿ فتاة غسان ﴾

## الفصل السابع والتسعون

﴿ ويأتيك بالاخبار من لا تسأله ﴾

تركنا حماداً وسلمان وقد انصرفا الى خيمة بلنسان الراحة ريثما يتمكننا من مقابلة ساعي البريد واستطلاع خبر جلبة وعبد الله . وفيما هما صائران الى الخيمة رأيا محموراً حدياء عليها سات الفرو وغار الاسفار قادمة نحوهما تنوكاً على عكاز وقد آنت راسها بخمار فظنّاهما من المتسولات فلم يعبأ بهما وظلّا في طريقهما حتى دخلا الخيمة وليس فيها سواهما وما لبثا ان جلسا حتى رأيا تلك العجوز قد شئت حجاب الخيمة بعصاها ودخلت بلا استئذان فصاح بها سلمان ما غرضك يا خالة

فلم تحبه وظلّت داخله حتى دنت من حماد وحسرت اللثام عن وجهها فاذا هي خادمة هند التي لقيها في دمشق فحنق قلبه لرؤيتها وشعر بانعطاف نحوها وقد تنسم منها رائحة حبيبته فبغت وصاح بها ما خبرك وابن هند

قالت تمهل ريثما استريح فاخبرك الخبر وقد جبت البلاد وتقصت العباد وانا في هذا الري اجث عنك فلم افف لك على خبر وقضيت حول هذه المدينة اياماً لا يخبرني احد عن مقامك ولا انا استطيع المجاهرة باسمك لان حالنا تدعو الى الاستتار . قالت ذلك وهي تجم عن وسادة تجلس عليها وتنظر الى خارج محانة ان يسمعا احد فجلست وعينا حماد تراعيانها وقد ندد صبره في استطلاع حال هند فقال لها اخبريني عن هند قبل كل شيء هل هي في خير

قالت كن مطمئناً انها في خير وسلامة لاترجو الالفاءك

فقال ابن هي

قالت لا ادري ابن هي الآن ولكنني اعرف الخطة التي سنسير فيها فاذا قصصت عليك الحديث من اوله هان عليك فهم الحقيقة

قال قولني باختصار . وليت صامتاً مصغياً لما نقوله

فقالت تركني في دمشق بجوار كنيسة مريم فاسرعت الى ما بين يدي ما

بُجمل وأكثر تربة بغلة ركبها حتى انبت بيت المقدس . وكانت سيدي هند واولادها وسائر اهل القصر مقيمين في دير هذه المدينة فانبا تم يستوط دمشق فخافوا ولكنني طأنت هذا واملأتها بقرب عجيتك فهان عليها كل عسير ولبنا نتظر ذلك اليوم . ولكن الامر جاء بالعكس فان سيدي الملك جلة بعث الينا في اليوم التالي ان تنأهب للرحيل سرًا ثم جاء هو وامو ان يسير على عجل بما خفت حملة وغلا ثمة ولم يجسر احد من اهلنا ان يسأل عن جهة المسير ولولا ذلك لبقيت انا هنا لآخرك بمكانهم فرجنا وقد اسررت مولاتي هدايا انها حالما تعرف المكان الذي سنقيم فيه تبعث بخبر اليك

فسرنا ايامًا وليالي ولم نخط رجالنا الا في المدينة مقام خليفة المسلمين الذي سمعتم الكتاب يتلى بين يديه الآن وقد كنا في خوف عظيم ولكننا آسنا اكرامًا وحسن وفادة وبلغني ان سبب سلامتنا اعتناق سيدي الملك ديانة هؤلاء الناعمين . فلما ظننا المقام استفر بنا لم يبق على سيدي الا ان تنفذ اليك بذلك . وقد فاتني ان اخبرك وفاة ثعلبة اولئك سمعت به قبلًا

قال حماد لقد سمعنا خبر رحمة الله

قالت ولم نكد نتوسم الراحة ونحبي الامل حتى جاءنا سيدي الملك بعجلة وبغثة كما فعل يوم خر وجنا من هنا فتأهبنا وخرجنا في ليل داس خفنا فيه خوفًا شديدًا ولكن بعض جيراننا اليهود من اهل المدينة كانوا لنا عونًا في مسيرنا الى ما وراء اسوارها . وفي اليوم التالي تحققتنا اننا قاصدون بلاد الشام فرأيت في سيدي هدايا تباحًا الى هذه الوحشة على رجاء ان تهب ملك ففضينا في طريقنا هذه مدطال امدها ونحن نسير ليلًا متكررين ونحني نهارًا ولا نقيم الا في الدبور لانها امن مبيت او مقام لاهل الصراية وكنا نمكث في بعضها ايامًا واسابيع . قالت ذلك وخننت صوتها لئلا يسمعا احد وجعلت تتطلع من باب الخيمة خوفًا من يحمس او يسمع . فقال لها سلمان تكلمي لا تجزعي فان ليس في هذا المعسكر من يظن بنا سوءا ولكن اخفي صوتك

قالت واخر مكان اقمنا فيه دير بجبراء ولا تفعل عن حالنا لما اظلمنا قبل ذلك على صرح الغدير وبستانو وميدانو وما استولى عليه اولئك المجازيون من المغارس والابنية التي بناها الملوك الفساسة منذ اجيال وقد رأيت في وجه سيدي الملك علامات الغضب والنشل حتى كادت الدموع تنثاثر من عينيه لولا عزة النفس . اما

سيدتي سعادى وهند فقد بكتنا واظن هندا انما بكت لذكرها امرأ وقع لها في ذلك الصرح . والحلاصة اننا لم نصل دير بجيرا حتى اخذ البأس من سيدي الملك كل مأخذ لما ذاقه من ذل التنكر في بلاد كانت طوع اشارته لا يرثيها الا محنوقا بالجنود والاعوان فنصب له الاعلام ويحثل اهلها بقدميه فكيف يرثي الآن متنكرا يخاف ان يعرفه احد ( قالت ذلك وشرقت بدموعها فمسحتها بطرف خمارها ) . فتأثر سلمان وحماد لكلامها وغم عليها ما آلت اليه حال الفساسة وتصوّر حماد ان حال ملوك الحيرة سناول الى مثل ذلك فشكر الله في باطن سره لان سنوطين سيكون على يد غير يد.

وانت المرأة حديثها فقالت . فني ذات ليلة دعا سيدي الملك سيدتي سعادى وهندا وخلا بهما في حديث طويل وفي الصباح التالي دعني سيدتي هند واسرت الي ان ابحت عنك في بيت المقدس فما حولها حتى اقف على مكانك واظنك عنها واخبرك انهم ساروا الى العراق وسيقبضون في دير هند بعيد عن الشام والبقاء لانهم لا يستطيعون صبرا على ما خرج من ابديهم ان يروا كل يوم رأي العين وايدي الغالين فوفوا فلما سمع ذكر دير هند اجنل وقال اي دير تعنين قالت دير هند في ضواحي الحيرة

فنظر الى سلمان وقال اعهد دير هند في الحيرة وليس خارجها فما هذا الدير فقال سلمان ان في الحيرة ديرين ينسبان الى هند احدها الاصغر وهو في الحيرة والاخر في ظاهرها اما الاول فقد سمي باسم اخنك هند بنته لما قبض كسرى على المرحوم والدك الملك النعمان في اوائل حكمه وحبس قبل ان تولد انت باعوام فذرت شقيقتك هذه ان رده الله الى ملكه ان نبي ديرا وتسكنه حتى تموت فلما اطلق سبيل والدك فعلت ذلك ومكثت في ذلك الدير (١)

واما الدير الاكبر وهو ما يسمونه بدير هند الكبرى فقد بنته هند بنت الحارث بن عمر بن حجر آكل المرار الكندي بظاهر الحيرة (٢) وهي من كتف وليست من لحم والدير كبير اذكر اني زرته غير مرة وكان رهبانة يترددون على منزل سيدي الامير عبدالله للمداولة بشؤون تتعلق باملاك له هناك . يا أم هذا الدير اس من جهات

العراق وغيره يقيمون فيه اباماً وفيه ما يحتاجون اليه من الزاد ونحوه  
 فنظر حماد الى المرأة وقال هل تطنين هنداً في ذلك الدبر الآن  
 قالت لا ادري اذا كانت لا تزال هناك لانها اوصتني بما تقدم منذ بضعة اسابيع  
 قصيتها في البحث عنك . ولكن سيدتي سعدى اسرت الي بعد خروجي من بين يدي  
 هندان مولاي الملك جبلة انا يريد النخوص الى القسطنطينية ليقيم بقرب امبراطوره  
 هرقل معززاً مكرماً وانه سيجعل طريقه في الفرات ومنه براً في البلاد التي لم يصل  
 سيف المسلمين اليها اما سواحل الشام فانها في ايديهم لا يخلو المور فيها من الخطر .  
 وقالت لي انها اقنعته ان يقيم في دبر هند مدة ليرى ما يكون من حال جند العراق .  
 فاذا طال غيابي عنهم اظنهم يقصدون القسطنطينية وذاك آخر مكان يقصدونه  
 فافعل ما يبدو لك

فلما سمع حماد ختام الحديث انقبضت نفسه مخافة ان يقصد العراق فيذهب  
 سعيه ضياعاً وادرك سلمان فيه ذلك فقال له الا ترى يا مولاي ان يسيرنا الى العراق  
 في حجرنا فنصيب صيد من لم تكن في حاجة للبحث عن سيدي الامير عبدالله في العراق  
 فمسيرنا الى هناك يحرمنا به ويهتد ان شاء الله

فقال حماد لم نسمع ما تلي علينا اليوم من خبر واقعة القادسية وهي بالقرب من  
 الحيرة الا نضن على الحيرة خطراً

قال سلمان ان الحيرة يا مولاي دخلت في صلح المسلمين منذ اعوام وكنت شاهداً  
 صلحها بنفسي وزد على ذلك ما نعلمه من صيانة الدبور عند المسلمين

فقال حماد وهل تعرف الطريق الى الحيرة

قال نعم

قال وانت ماذا تفعلين يا خالة

قالت لا اظني استطيع المسير معكم لما انا فيه من الاستعجال ولكي اسعك في  
 طريق آخر اوافي في دبر بحيرة انتظر خبراً من عندهم



## الفصل الثامن والتسعون

\* هند — في دير هند \*

دير هند الكبرى بناء واسع شادته هند بنت الحارث الكندية بحجارة ضخمة في بستان خارج الحيرة يشرف عن بعد على بحيرة كانت هناك وفي الحديقة أنواع الرياحين والازهار وحوها كروم العنب والتين وغيرها من الناكهة . يأوي اليه الرهبان من اهل العراق وفيه منازل للاضياف هي دار الضيافة ينزل فيها الغرباء من المارة او نحوهم يقيمون اياماً ثم ينصرفون . ورئيس الدير راهب شيخ سرياني اصله من ساباط . وقد جاء جند المسلمين العراق وحرق ما جرى لهم من الوقائع والدير في مأ من لم يصب بسوء واهله آمنون

ومن يستقبل باب الدير بوجهه يقرأ على عتبة نقشاً هذا نصه « بنت هند البعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر امه المسيح وام عبد وبنت عبيد في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان في رمان مار افريم الاسقف فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويرحم عليها وعلى ولدها ويقبل بقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر » (١)

في ذات ليلة بعد انقضاء واقعة القادسية وسكون الناس الى الراحة سمع اهل الدير قرع الاجراس وهي اجراس تعلق ببيان بعض الديورحتى اذا مرَّ غريب دقها فيفتحلون له فيبيت هناك يتناول الطعام او نحوه . فلما سمع خدام الدير الدق هرول بعضهم الى الباب وكان الباب ثقيلاً مصغياً بالحديد وفيه المسامير الضخمة فاطل من فوقه من غرفة صغيرة فرأى ركناً على افراس ومعهم الخدم والامتعة فتدل الى الباب وتنفذ ورحب بالقادمين واسرع الى قيم الدير بحجة يقدم ركب كبير فدخلوا رفيعهم المشاة والفرسان فلما وصلوا الى ساحة الدير ترجل الفرسان وتقدم بعض المشاة فامسكوا بازمة الخيل ووقفوا جاثياً لا ينفون احد منهم بكلمة . فلما ترجلوا جميعاً تقدم واحد منهم وهو لا يزال ملثماً حتى دنا من قيم الدير فمس في اذنه فاسرع وسار الكل

( ١ ) دائرة المعارف . ويلاحظ لنا انها كانت مكتوبة بالبر يانية خطأ ولغة

وراءه الى غرفة باتوا فيها تلك الليلة واهل الدبر يتحدثون في من عسى ان يكون هؤلاء الناس الذين لتلتهم لا يعرف النساء فيهم من الرجال ولكنهم عرفوا من فيافهم وسروج افراسهم انهم من اهل الشام وكانوا قد سمعوا بحروب المسلمين هناك فترجح لديهم انهم بعض كبار الغساسنة وهم بالحقيقة جيلة واهله فاقاموا هناك مستترين

اما حماد وسلمان فلما عزموا على العراق سارا لوداع ابي عبيدة فاذا هو يتأهب لوداع الامام عمرو قد هم بالرجوع الى المدينة فوقفا ريثما ودعه فامتطى عمر جملة وركب معه بعض الامراء وودع الناس وتحول نحو المدينة وسلمان وحماد ينظران اليه ويعجبان بما اوتيوا من رفعة المنزلة مع رغبته في الزهد والاقتصار على بسائط الاشياء ولما توارى الامام معاد الامراء الى معسكرهم وفي مقدمتهم ابو عبيدة فانتظر حماد وسلمان ريثما خلا بنفسه فسارا اليه واستأذناه بالانصراف

فقال الى ابن

قال حماد اننا سائرون الى العراق لعلنا نلتقي بالذي فقد طالت غيبته قال ثقلوا بسلامته وصحبوه فانه مقيم على الرحب والسعة وهل سمعتم خبراً عن جيلة قال لم نسمع خبراً بعد ولعلنا نعرف عنه شيئاً هناك ( قال ذلك وهو يعلم ان ابا عبيدة اذا علم بمكانه بعث من يقبض عليه عملاً بارادة الامام عمر فانكر مكانه )

فقال ابو عبيدة اظنكما نعترا ن علي في العراق فقد سمعت من بعض الناس انه سار الى هناك وربما يقيم في دير هند الكبرى خارج الحيرة فلما سمع حماد ذلك اجفل ولكنه تجلد وتحامل وقال ستبحث عنه جهد الاستطاعة وهل تظن عليو بأساً اذا عرف مكانه

قال ان امير المؤمنين كتب الى عماله في الشام وفلسطين والعراق كافة ان يقبضوا على الرجل حيثما وجدوه لانه اسلم وارتنه وخرج من المدينة فاراً فشكر حماد لنفسه لانه لم يبع بمكان جيلة ولكنه خاف عليو من الرقباء ومال الى العجلة في المسير الى العراق فاستأذن ابا عبيدة وودعه سلمان وسارا الى خالد وغيره من الامراء ودعاهم وخرجوا يتأهبان للمسير



## الفصل التاسع والتسعون

### ✽ وادي الفرات ✽

وبعد بضعة ايام حملا ما استطاعا حملته من المتاع وخرجا من بيت المقدس وفيما هما في الطريق قال حماد لانتظما اذا اتينا العراق عائدتين الى هذه البلاد فلنأخذ امتعتنا التي تركناها في بصرى وخصوصاً الدرع فانها كثر غنمين عندي وقد احتاج اليها في دفاع او هجوم . فمرّا ببصرى فتزلا البيت حملا منه ما طاب لهما من خفيف الحمل وغالي الثمن وخرجا الى دير بجيرا ودخلا الصومعة قبلاً ابنتواتها فتذكر حماد اياماً مرت به هناك فهاجت فيه ذكرى هند وتبتهت اشجاءه وتناقت نفسه الى العراق للملاقاة حبيبته قل ان يصيبها سوء ولقيا في دير بجيرا خادمة هند فسألاها عن حالها فقالت انها سنسير في اثرهما مع قافلة من قوافل العراق

اما هما فاصطحبا خادماً او دليلاً يسوس الخيل ويدهلها على الطريق وسارا وهما نارة بمران بغياض وطوراً برمال وآونة بحبال وأودية وتارة بصخور وعرة وكانت أكثر البقاع مشقة عليها صحراء الشام وفيها بقايا مدينة تدمر العظيمة وبعد بضعة عشر يوماً اطلّا على وادي الفرات من أكمة مرتفعة فاذا هو سهل منبسطة يجترقها الفرات وفيها القنوت والبحيرات بينها المغارس واليساتين . والمزارع وكان وصولهما الى هناك قبل الغروب فوقفا والخادم ينصب الخيمة على نية المبيت فوق ذلك النلّ اما حماد فوقف وهو على متن جواده والتفت الى تلك السهول الحصبة وما يتخللها من القرى والمدن وفيها الماشية عن بعد وشجر النخل كأنه جند واقف لائقاء النخلة فتذكر والدك النعمان وقال في نفسه هذه هي البلاد التي كان يحكمها والدي . ومرّت بذاكرته خيالات جمّة أكثرها مخيف ولكن صورة هند كانت تظللها كلها فتزبل المخاوف على انه ما لبث ان تصورها في حال الضيق فهبّت من اعماق تصوراتها وعاد الى قلنو

أما سلمان فكان يساعد الخادم في نصب الخيمة وإعداد معدات الراحة فلما فرغ من ذلك جاء الى سيده وطلب اليه ان يترجل فتترجل فساق الخادم الفرس ووقف حماد وسلمان ينظران معاً الى وادي الفرات

فقال حماد وابن موقع الحيرة يا سلمان  
قال ان الحيرة اول مدينة تستقبلك قبل وصولك للرات واظننا نشرف عليها  
غداً وبينها وبين القادسية بضعة عشر ميلاً

ثم جلسا للعشاء وانصرفا بعد للرقاد لان التعب اخذ منها مأخذاً عظيماً . وفي  
الصباح التالي بكرا وركما وحماد لا يصدق انه بشرف على الحيرة ويرى دير هند ولو  
عن بعد . وبعد ظهره ذلك اليوم اشرفا على بحيرة من الماء كبيرة ظنها حماد لاول  
وهلة بمرأ فقال ما هذا يا سلمان قال هذه بحيرة النخف يا مولاي وعلى ضفافها جرت واقعة  
القادسية التي سمعنا خبرها في معسكر ابي عبيد . ووراء هذه البحيرة شمالاً مدينة الحيرة مقام  
المناذرة اجدادك وورا الحيرة شرقاً نهر الفرات . واما دير هند فهو خارج الحيرة وربما  
أطلقنا عليه بعد قليل . ولا يخفى عليك ان معظم الكروم والبساتين المجاورة للدير في  
ضواحي الحيرة هي من املك الامير عبدالله ولا تدري ماذا جرى فيها بعد واقعة  
القادسية واذا كان مولاي الامير من شهدوا الواقعة فاطنة يتدبر في حنظها وحمايتها

فقال حماد الان نرى اذا اطلقنا على الحيرة الآن ان نبيت في الدير الليلة  
قال لا اظننا نستطيع ذلك والمسافة بعيدة ولا تدري ما هنالك من العنقات  
فقد ببيت الليلة في مكان على مقربة من الحيرة وفي الغد نسير الى الدير

قال حماد . وفي الغروب ظهرت لها الحيرة بانيتها ولكن الضلام غشيها قبل ان  
يتبينها فباننا تلك الليلة واصبحا وحماد لم يتم الا قليلاً لذهة قلقه وتشوقه فكان كلما تصور  
ملاقاة هنداً اغتمح قلبه فوصلا ضواحي الحيرة عند الظهر فاطلاً على دير هند فلما رآه  
حماد تذكر انه يعرفه من ذي قبل ولكنه لم يدخله فمشياً بين الكروم ومغارس الفاكهة  
والزيتون وسلمان بدله على ما يملكه الامير عبدالله منها وحماد يزيد استئناساً ولكنه  
ما زال هاجساً بهند لا صبر له على لقائها ثم وصلوا الى قناة من الماء نظلها شجر عظيمة  
وحولها الاشجار بانعة يثر بها النسيم اللطيف فتسمع لاوراقها حفيفاً يطرب السمع بما يمازجه  
من خرير الماء الجاري فوق الحصاة . فتقدم سلمان الى حماد ان يستريحاً هناك ويتناولوا  
الغداء وفي الاصيل يدخلوا الدير

فقال حماد لا صبر لي على ذلك كيف تكون بقرب الدير ولا تسرع اليه  
قال سلمان اري والامر لمولاي ان تستريح انت هنا والخادم يدبر لك الطعام  
واذهب انا الى الدير ابحث عن هند واعود اليك بالخبر

قال لا اراني قادراً على ذلك ولا بد لي من المسير معك فلنترك احمالنا تحت  
هذه الشجرة مع الخادم ونذهب الى الدير  
قال افعل ما بدا لك فشرنا وغسلنا ايديها ووجهيها من الغبار وهما بالمسير

## الفصل المئة

### ﴿ الفشل ﴾

ركبا وسارا بين الاشجار والشمس فوق الرؤوس فلم يغنهم ظلي الاغصان الا  
قليلاً حتى انتهيا الى باب الدير ومحمد قد نندصبه . وكان سلمان عارفاً بالجرس المعاني  
هناك فاجذب المحبل فدق الجرس ودق قلب حماد معه فوقنا رمة لم يتفع لها احد فاعاد  
الدق وبعد قليل اطل من فوق الباب راهب وقال مستنهما . من انتم

قال سلمان زوار للدير

قال من اين انتم قادمون

قال من جهات الشام

فقال الراهب لهنجة النور « لا محل للزيارة عندنا » وتحوّل الى داخل الدير  
فناداه سلمان فلم يجب فكلمه بلسان اهل الحيرة فعاد الراهب وقد تذكر انه يعرف  
ذلك الصوت فاطل ثانية من اعلى الباب وقال من انتم

قال سلمان لسنا من اهل الشام واما نحن عراقيون مثلكم افتحموا لنا فتنفس الراهب  
في وجه سلمان برهة ثم جذب سلسلة مشدودة بالنافذة ففتح الباب فدخل حماد وسلمان  
وفرساها وراهما فاخذ الراهب برحب بهما وينظر الى سلمان لعله يعرفه

فقال له سلمان اتعرف هذا الشاب يا حضرة الاب . وأشار الى حماد

فالتفت اليه وقال اليس هو الامير حماد بن الامير عبد الله

قال بلى هو فهل رأيت والدني في هذه الاثناء

قال رأيت مراراً وهو الآن مع جند المسلمين في خيبر ولولاه لأصابنا ضحك وربما

قتلنا فقد كان لنا عوناً ومجئاً نورك فيه ومرحاً بابيه  
وما زالوا سائرين حتى اتوا دار الضيافة وحماد ينظر يمنة ويسرة وقد شاعت  
عيناه لعله يرى شيئاً ينسم منه رائحة هدد فلم يرَ إلا رهيباً وفعلة فدخلوا دار الضيافة  
وتناول الفرسين بعض الخدم فساقوهما الى الاسطبل وبعثوا من يدعو الخادم  
ليأتي بالاحمال.

اما حماد فتعاطف قلبه ولم يعد يستطيع صبراً فادرك سلمان فيه ذلك فابتدر  
الراهب بالاستنهام عامعة من فتح الباب لها حالاً وما الذي يخافونه من اهل الشام  
فقال نلتس من الامير حماد عذراً على توقفنا عن استقبالو برهة وما ذلك الا  
لأننا وقعنا منذ ايام في ورطة بسبب ضياف زلزلو عندنا وكأنا قادمين من الشام  
فقال سلمان ومن هم اولئك الاضياف

قال جاءنا جماعة نزلوا في هذا الدير شهراً ونحن نخشىهم من اعيان الشام فما لبثنا  
ان عرفنا انهم جيلة بن الابهيم وامرأته واسنة وبعض خدمه  
فلما ذكر جيلة واهله خفق قلب حماد وخاف ان يسمع خبراً يسوءه وقد عودته  
حوادث الايام ان يسيء الغال في كل مستقبل فاصاح بسمعه ليرى ما تم لهم واكتفى  
باصغافه حالاً للراهب على اتمام حديثه . وكان بعض الرهبان قد جاؤا بالمواعين  
فيها الماء ليغسل الضيفان فلم يمتنع احد منها اليها وظلاً مصغيين

قال الراهب : فاقام الملك جيلة بيننا اياماً على الرحب والسعة ونحن لا نحسبه الا  
من بعض امراء الشام . على اننا كنا نعجب لاحتجابه في الدير واحساسه عن العيون  
ونحن نتوسم من خبولة وخدامه انه محب للصيد والفروسية . ولكن الامر انكشف لنا  
بغثة فجاءنا جماعة من جند المسلمين في عشارى بعض الايام وفيهم الفرسان والمشاة  
وقرعو الباب ففتحنا لهم ونحن غير خائنين لما نعلمه من اليهود التي خصصوا الدبور  
والكنائس بها . فخرج الرئيس المحترم لاستقبالهم فقالوا لا خوف عليكم ولكن عندكم  
عدوٌّ فرٌّ منا في حرب الشام وكان قد اسلم ثم اردت فلا بد من القبض عليه وسوقه  
الى الامير سعد بن مالك

فساله الرئيس عن ذلك العدو فقال انه جيلة بن الابهيم ملك غسان وكان جيلة  
قد رأى الرجال وعلم انهم فادمون للقبض عليه فتربص ولو كان وحده لتمكن من

الفرار ولكنه لم يجد اليه سبيلاً . فعضوا عليه وساقوه حالاً ولم يهلوه ريثما يلتفت وراءه .  
فقطع سلمان الحديث قائلاً هل ساقوه وحنه  
قال ساقوا معه امرأته والخدم

قال حماد وماذا جرى لابنته . قال ذلك وهو مضطرب الحواس  
قال الراهب اما انت هذ فكانت قد خرجت في صباح ذلك اليوم لزيارة دير  
هند الصغرى في الحيرة على ان تنضي نهارها هناك وتعود في المساء . فلما أخذ والداهما  
لم تكن هي هنا فلما جاءت في المساء اخبرناهما بما كان فاجلت ولطمت خديها  
ونديت والداهما ثم وقفت تبكي تارة وتفكر أخرى حتى قاربت الشمس الزوال  
ونحن نخنف عنها فسلنا عما قاله لنا والداهما قبل ذهابه فاعذرننا بأنه لم يستطع كلاماً  
لفرط ما الحوا عليه بالذهاب . فاسرعت الى جواد لها كان باقياً معنا فركبت وتزملت  
بعيامة من الحرير المزركش كأنها فارس مغوار واستنهمت عن الجهة التي ساروا فيها  
بوالدها فاشرنا اليها فمزت الفرس وخرجت تنهب الارض نهباً ونحن لا نهتد مثل  
ذلك في البنات . ثم لم نعد نعلم عنها خبراً

فما اتى الراهب على تمام الحديث حتى انقبضت نفس حماد وانقدت الغيرة في قلبه  
وتولاه اليأس فابت صامتاً كأنه اصاب بصدمة ثم التفت الى سلمان فاذا هو صامت يفكر  
فاستغرب الراهب . الم بينهما من البغنة وعهد بالخبيين يسرون بما يسوء الغساسنة  
لما بينهما من الضغائن القديمة فقال لهما ما بالي ارى حديث جيلة قد همكنا الى هذا الحد  
وهو غساني العلكان من غسان

فقال سلمان لم يهنا حديثه ولا يهنا امر الغساسنة كلهم ولكننا نتكر في تلك النناة  
المسكينة . فهل مضى على ذهابهم مدة طويلة

قال لا تزيد على بضعة عشر يوماً

قال وهل سمعتم عنهم شيئاً بعد ذلك

قال سمعنا اخباراً متضاربة فمن قائل ان سعداً امير جند المسلمين قتلهم حالاً  
وقائل انهم قتلوا قبيل ووصلهم اليه وقائل انهم لا يزالون احياء

فازداد اضطراب قلب حماد وهم بالنهوض فاقعد سلمان وقال للراهب متجاهلاً  
وماذا سمعتم عن ابنتي المسكينة

قال لم نسمع شيئاً عنها منذ خروجها ولعلها اقتضت آثارهم الى معسكر المسلمين فلم يعد حماد يستطيع صبراً فنهض الى جواده وتبعه سلمان . وكان خادم حماد قد وصل الدبر بما معه من الامتعة وجعلها في مأ من . فانفردا في مكان

فلما خلوا قال حماد دعني يا سلمان اقضي اثر جلة فقد ضاق صدري وتجدثني نفسي بسوء اصحابهم جميعاً . اذن نهاية آمالي ونتيجة اتعابي . قال ذلك وحرق اسنانه وتلاآت الدموع في عينيه ولكنه تجلد تجلد الرجال وقال علينا السعي يا سلمان وعلى الله التدبير . فما الرأي

قال الرأي ان نقصد معسكر المسلمين ويدخل على سعد بن مالك اميرهم فنسأله عن مولاي الامير عبدالله وهو عدك من كبار المشيرين كما نعلم فاذا لقيناه اعاننا في البحث عن جيلة واهله واذا كان جيلة لا يزال حياً وسطنا الا بمر عبد الله بالعنوة عنه فقال نعم الرأي رأيتك ولكن هتدا أين هي

قال نظنهما معهم وهب ان والدها قتل فهي لا تقتل لان المسلمين لا يؤذون النساء فقد تكون عندهم في حفظ وخصوصاً اذا كان سيدي الامير عبدالله قد رآها او عرف مقرها

فقال حماد الا نظنهم يتخذونها سيبة . . اعوذ بالله قال ذلك وهم بالجواد بركبة فقال سلمان نهل يا مولاي ربنا نلاقي رئيس الدبر ونسأله عن معسكر المسلمين لئلا نضل السعي والوقت عبثاً . قال حسناً وتجلدا ودخلا على الرئيس وكان قد عرف قدمهما فرحب بهما وقبل جماداً وامرهما بمائدة فقالا لا نستطيع طعاماً لاننا خارجان على عجل لامرهم لنا وقد جئنا لوداعك . قال انودعاني قبل ان يلتقي

قال كذلك قضي علينا وانتم تعلمون ان سيدي الامير عبدالله في معسكر المسلمين وفي نيتنا ان نذهب اليه فابن هو معسكرهم قال ان المسلمين معسكرون الآن تجاه المداين في بهرشير <sup>(١)</sup> وانظنكم تعرفونها وهي بالحقيقة قسم من المداين فانها في الغرب والمداين في الشرق وبينهما دجلة . فقد نزل المسلمون على بهرشير وحاصروها شهرين ورموها بالنبال والحمايق حتي فحقت . فاحتلوها وهم عاملون على فتح المداين <sup>(٢)</sup>

فقال سلمان اني أعرف بهر شير حيداً ويسهل علينا الوصول اليها اذ لا يحول بيننا وبينها الا الفرات وبعض السهل

## الفصل الحادي بعد المئة

### \* فتح المدائن \*

فودع الرئيس وزلا الى الغرفة التي أودعها الامتعة فيها فلبس حماد درعه ورداء والد الملك النعمان وجعل خاتمة بن اثوابه وسلمان ينظر اليه فسأله عن سبب لبسه ذلك الرداء فنهده وقال . السنا ذاهبين الى المدينة التي قتل فيها والذي النعمان

قال بلى

قال ألسنا في شك من قاء هدد حية

قال الله اعلم

قال حماد ونحن نعلم ايضاً انها قد تكون حية او مينة اذ لا يعرف احد مكانها وقد سبق والدها الى القتل لا محالة فاذا كانت لحقت به فلا يحلو امرها من احد خطر بن اما ان تكون سبيبة او قتيلة وكلاهما موت . فهل أطلع بعد ذلك في الحياة وقد آن الوقت الذي يجب علي ان اتقم فيه لوالدي وهذه جنود المسلمين على ابواب المدائن فاني محارب معهم حتى ادخل الابواب منسي فاقتل كسرى بيدي فاذا قُتلت فما انا خير من هدد ولا عيش لي بعدها . واذا حببت فذلك امر الله بقدره لحكمة لا نعلمها . قال ذلك وقد علاه الغضب ونجلت في وجهه مهابة الملوك فاقتطع اسنانه وما زال يلبس درعه وصليل حديد مسموع الى الخارج . فتهيب سلمان من منظره ولبت صامتا لا بدري ما يقول . ثم قال الا ترى يا مولاي ان تتنكر بزي المسلمين لئلا يستغشونا في وسط المعركة فيجسبونا من الفرس او من عرب الكهيرة احلافهم

قال لقد رأيت حسناً . وكان بين ثياب سلمان كثير من تلك الاثواب لما كان يحتاج اليه من التنكر فاستخرج ثوبين لبس كل منهما ثوباً ونعماً بعمامة امل المحجاز حتى لا يشك الناظر اليها في انها محجازيان

وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل وهم اهل الدبر بنمئة طعام المساء فشاهدوا جماعات منهم عائدتين باحمال الاثثار والاختشاب من بساتين الدبر ثم ركبا واطلنا الاعنة للجوادين ففضيا مدة صامتين وافكارها ساجدة في ما سمعناه يستوقف مجاريها اصوات حوافر الخيل والغام وقعها بين قرقة على الحجارة وهمس على الرمال وهما لا يتكلمان . فامسى عليهما المساء وراء الحيرة فبان في كيسة هناك واصبحا راكبين فمرا يجفف بعضها رمم خيول وجمال والبعض الآخر جثث آدميين مبعثرة في تلك السهول لم يبق منها غير العظام الضخمة التي لم تقدر على قضها النصور فتذكرا ما وقع هناك من الحروب الهائلة بين المسلمين والفرس . ثم قطعوا الفرات على جسر من السفن وفي اليوم التالي اشرفا على المدائن وقصورها عن بعد فرأيا فوقها ضبابا كثيفا يكاد يحجبها عن الابصار فقال سلمان لقد همني امر هذا الضباب فاني اظنه غبار الحرب ويخال لي ان المسلمين يهاجمون المدينة في هذا الصباح . ثم وخرنا الجوادين حتى وصلا بهرشير فاذا هي في هرج والناس فيها بين فارس وماش يهرعون نحو النهر فسألا عن سعد بن مالك فقيل لهما انه يخوض النهر يجيشو لتخ المدائن والمسلمون يقتنون اثره ففتشوا عن الامير عبد الله فلم ينيهما يجيبه احد فصعدا الى اكمة اشرفا منها على المدائن ودجلة فرأيا المسلمين يقطعون النهر بافراسهم والرماح مشرعة في ايديهم<sup>(١)</sup> وبعضهم قد بلغوا الضفة الاخرى يحملون الاعلام . ونظرا الى المدائن فاذا بعض حاميتها قد خرجوا من الاسوار فاقبلهم وافراسهم واعلامهم يتأهبون للقاء المسلمين وقد علا الضجيج حتى استككت المسامع وتساعد الغبار حتى حجب السماء . فهاجت عواطف حماد وجرى دم الملوك في عروقه ونارت الحمية في رأسه فنظر سلمان اليه فرأه قد احمرت عيناه وهو يفرس في ساحة القتال كأنه بهم بالوثوب اليها فقال له ما بال سيدي في شغل .

« فنظر حماد اليه وقال « اراني يا سلمان راغما في نزول هذه الساحة فقد آنت ساعة الانتقام لوالدي . هؤلاء هم قتلعة النعمان المنذر قد زلزل لقتال المسلمين فلا اراني صابرا عن منازلهم ووصية والدي خارجة من ظلمات القبر . ولا ريب عندي يا سلمان ان نقاعدي عن القيام بتلك الوصية من اول الامر هو الذي عرقل مساعي »

وحرمني من هند لان طاعة الوالدين واجبة وقد تنهاملنا في هذا الواجب فجوزينا بالنعب والشفاء والفشل والفتور . لم تكن هـد طوع ارادتنا لم يكن والدها راضياً بي ينتظر ساعة القرار . فما باله احجم وتغير من يوم قرأنا تلك الوصية المقدسة وعولنا على اغتيالها . ذلك اول قصاص ثلناه وما زالت تتوالى علينا الاحـن ونقف في سبيلنا العقبات من ذلك الحين حتى خرج النصب من ابدينا او كاد وكان الله سبحانه وتعالى قد جرنا الى هذه الساحة ايزكرنا بما ارنكبناه لعلنا سرعوي وضدع بالامر وكأني بوالدي يناديني باعلى صوته من اعماق قبره واطنه ما انك بفعل ذلك منذ اعوام ولكننا كنا بهيدين عن مدفوه فلم نسمع الداء . وتحدثني نفسي يا سلمان ان انازل هؤلاء الفرس في جملة المنازلين وعليّ برد النعان من المنذر ويدي خاتمة فاما ان اُقتل شهيد النار المقدس واما ان احيا بعد النصر واظفر بخطيبي فيطيب لي القرآن عملاً وصية والذي فقد اوصاني ان لا اقضي امراً مثل هذا الا بعد الانتقام له » وما اتى حماد على آخر كلامه حتى ارتعشت انامله وثارث عواطفه ولم يتالك عن ان همز جواده نحو النهر فحاض الماء وخاضه وبلمان في اترع حتى اتيا الضفة الاخرى فرأيا المسلمين يطاردون الفرس حتى دخلوا المداين فدخلوها في اثرهم . واوغل المسلمون في المداين وحماد في جملتهم حتى اتوا ابوان كسرى فدخلوا حديقته وخبولهم تدوس الازهار والرباحين ورماحهم تخترق اغصان الليمون والازدرخت حتى وصلوا باب الابوان فكان حماد اول داخل وقد عول ان يقتل كسرى يده . والابوان قاعة كبيرة <sup>(١)</sup> طولها مئة ذراع وعرضها خمسون مبنية بالاجر والجص سقفها عقد واحد قائم على عمد من الرخام المنقوش وفي صدر الابوان عرش يجلس عليه كسرى تعلوه قبة مرصعة في داخلها مروحة من ريش العمام والى جانبي العرش مجالس الاعوان والوزراء من المرازبة والكهنة وجدران الابوان وسقفه مزينة بالرسوم وفي جملة ذلك رسم كسرى انوشروان وغيره من الاكاسرة العظام وايات من الشعر الفارسي مكتوبة بالحرف الكداني وفي سقف الابوان رسوم الافلاك والاجرام فلما رأى حماد نفسه في وسط الابوان ووقع نظره على ذلك العرش اسرع نحوه وهو يحسب كسرى جالساً عليه فاذا هو خالٍ وليس في المكان احد من الفرس لفرارهم

جميعاً الى حلوان<sup>(١)</sup> ولم تنض لحظات حتى امتلأ الابوان بالمسلمين وقد اخذوا في تكسير النائل وتمزيق الصور وكان النرس قبل خروجهم قد حملوا معهم ما خف حملة وغلا ثمنه وبقي مع ذلك ما لا تندر قيمته من الذهب وأحجار الكريمة والثياب المزركشة والاسلحة المذهبة والتيجان المرصعة

اما حماد فحالما تحقق سقوط المدائن لم يعد يشغله شغل عن الناس الامير عبد الله فلم يره بين الهاجرين فانشغل باله عليه فاعز الى سلمان ان يساعده في طلبه وكان سلمان اكثر قلقاً عليه من حماد . فقال لحماد لا تبعد انت عن هذا الابوان فاني ذاهب الى سعد بن مالك امير هذا الجند لعلني اسمع منه خبراً عن سيدي الامير قال حسناً وبني حماد في جملة الجند لا يستغشه احد حتى سكنت الغوغاء . وهو ينظر الى ما يجمله اتفاحون من الخف الغربية وفيها التيجان والسيوف المرصعة فسمع قائلاً يقول هذا هو سيف النعمان فلما سمع ذلك خفق قلبه وود لو يناله هو ولكنه لم يجسر على الناس . فقال في باطن سره هذا هو سيف النعمان وهذا ابن النعمان وهذا رد النعمان وهذا خاتمه قد شهدوا حرب الفرس معاً ورأوا سقوط دولتهم رأي العين وذلك ما تمناه والدي ولم يبق لي في الحياة مأرب الا اذا ظفرت بمنيتي ومنتهى اربي . ولم يكذب تذكر هذا حتى عادت اليه اشجانه وسي موقفه والناس في شغل عنه فهمز جواده واخذ في البحث عن عبد الله فتذكر موعد مع سلمان فوقف حتى عاد سلمان فاذا هو منفض الوجود فقال له حماد ما وراءك قال لتيت بعض حاشية سعد من مالك وسألتهم عن الامير عبد الله فقالوا انه كان معهم ولكنه خرج من المعسكر اول البارحة ولم يعد

فقال هل سألتهم عن جيلة

قال سألتهم فقالوا ان مداً امر نقتلو منذ قبض عليه

فقال هل علمت اذا كانت هند معه عند قتله وماذا جرى لها

قال علمت انها لم تكن معه ويظهر انها لم تصل اليه فقد قال لي مخبر ان جيلة سبى اسيراً ومعه امرأة فقط وعلى كل حال لا نظننا تبين الحقيقة الا من سيدي الامير عبد الله

وتركا المدينة والمسلمون يحسبونها من جملة جندهم لما تنكروا به من الزي الحجازي حتى اذا صارا خارج المداخن قال حماد لقد قضى الامر يا سلمان وسقطت عاصمة الفرس وان يكن ملكها بزدجرد فرّاً ولم يقتل بعد ولكنه مقتول لاحالة فيها قد انفذنا وصية والدي ولكننا ما لبثنا ان سمعنا بمقتل جيلة ونحن في ريب من امراهلوه ولا نعلم مقرّ هند . قال ذاك وحرق اسنانه واطرق

فقال سلمان لا اظن هنداً الا في بعض الدبور وعلى كل حال اسنا لانستطيع امرّا قبل مواجهة الامير عبد الله

قال حماد وما العمل

قال ارى ان نفتش عنه

قال اخاف ان يكون قد اصاب حنثه ايضاً

قال لا اظن ذلك لانه لم يكن في المعركة وقد علمنا انه كان في المعسكر قبل الهجوم فلعلمه التجأ الى مزرعة من مزارعه خوفاً من الحرب  
قال أنعرف له مزرعة قريبة من هذا المكان

قال اعرف مزرعة له على بضعة اميال منا فلنذهب اليها لعلنا نقف على خبره من بعض الفلاحين هناك

قال حماد سر انت في هذه المهمة ودعني اعود الى الحيرة اجدد البحث عن هند لعل احداً من اهل الدبر يبينني بخبرها ولنضرب موعداً نلتقي فيه بمكان نعينه

قال لقد رأيت رأياً حسناً وأرى ان نلتقي في دبر هند الصغرى في الحيرة بعد ثلاثة ايام فمن استطاع خيراً قصه على الآخر . وافترقا



## الفصل الثاني بعد المئة

### أين هند

فاطلق حماد لجواده العمان وعاد فحاض دجلة وأغرب يلتمس الفرات فقطعه وسار قاصداً دير هند الكبرى وبات في الطريق ليلة ونزل على الدبر في اصيل اليوم التالي ففرع الجرس فتحو له وهم يحسونه مسلماً لتكنه بلباس الحجازيين فرحبوا به ولبثوا ينتظرون ما يبعثه فلم يكلمهم وظل قاصداً الرئيس وقد عرف غرفته فاستقبله احسن استقبال وبالغ في اكرامه فلم يصبر على تكنه فاطلمه على حقيقته فسأله عما لقيه فقص عليه خبر المداين وفخما فذكر الله وقال لقد توسمنا قرب ستوط الفرس منذ اشهر لانه سبحانه وتعالى لا يبق على عنة النار فان هؤلاء الفانحين وان لم يكونوا نصارى فهم يعبدون الله وبوجدونه ويؤمنون بالانبياء والرسل ويذكرون عيسى ومريم بالخير في اتصارهم نصره للدين القويم

ولم يكن هذا الحديث ليهم حماداً ولكنه صبر حتى فرغ الرئيس من كلامه فقال له هل سمعت شيئاً عن جيلة بعد ذهابي

قال لم نسمع عنه شيئاً ولكننا سمعنا خبراً عن ابتوه

قال وماذا سمعتم عنها

قال ان بعض رهباننا ينزلون الحيرة مرتين في الاسوع يحضرون سوقها يستبدلون ما يفضل عندنا من غلات ارضنا بما نحتاج اليه من الانسجة او الآنية او نحوها فاتفق للذين نزلوا على اثر خروج جيلة واهل انهم رأوا تلك الفتاة في بعض طرق الحيرة على انهم اختلفوا في حقيقتها فاكبرها بعضهم واصراً الاخرون على انها هي هي بعينها فلا ندري ايها مصيباً

فلما سمع حماد ذلك قال لا يتنازل حضرة المحترم لاستقدام اولئك الرهبان لعلني اتحقق الامر بنفسي

قال حباً وكرامة . وصنف فجاه راهب فامر ان يدعوا راهبين سائها وبعد هنيهة جاء الراهبان فسألهما حماد عن تلك الفتاة فقال احدها رأيناها قبل ان ندخل الحيرة

بقرب بحيرة هناك وبخال لي انها ابنة جيلة ولكن اخي هذا يتكر علي ذلك فقال الآخر لا اظنها هي لاني لم اتوسم فيها ما عهدناه من الالفة والعزق فقد عرفناها هنا وفي وجهها مهابة الملوك وفارقتنا على جواد كأنها من امهر الفرسان والفتاة التي شاهدناها لا اقول انها لا تشبهها ولكنها اشبه بعامة الناس منها بالملوك او الامراء

فلما سمع حماد كلامها تحير في امره ومال بكليته للمسير الى الحيرة يتفقد هنداً بنفسه فتظاهرها بالاكتماء بما سمعه **هـ** بالنهوض فدعاه رئيس الدبر للبيت عندهم تلك الليلة فاعذربما يدعوه الى سرعة المسير وودعه وخرج والشمس قد مالت نحو المغيب وجعل الحيرة وجهته ولم يكذب تنواري عن الدبر حتى اشرف على الحيرة ورأى غدبرها المتصل بالبحيرة وقد غابت الشمس واخذت الكواكب في الظهور فاطلمت الدنيا في عينيه فالتفت فاذا هو على ميل وبعض الميل من المدينة ثم اشتد الظلام ولم يعد يرى الطريق فتبين له عن بعد نور مزدوج عرف من خفائه انه وقود عند الشاطئ انعكس نوره في الماء فظهر مزدوجاً فقصه وقبل ان يصله سمع صوتاً يناديه بلغة العراق « من انت »

فقال غريب لا اعرف الطريق ومن انت

فقال يا هلا بالضيف يا هلا بالفارس

ثم رأى حماد الرجل قادماً ويده خشبة مشتعلة يستضي بها فتفرس فيه فاذا هو شيخ طاعن في السن قد استرسلت لحيته وشاب شعره ولكنه لا يزال في نشاط الشباب عليه عباءة خلفة ويده عصا كبيرة فعرف حماد من مجمل منظره انه راع على انه ما لبث ان شم رائحة الزريبة وسمع معاء الماعز فتحقق ظنه ولكنه لم ير حوله بناءً ولا خيمة فترجل وسلم والراعي يتفرس فيه وينظر تارة الى وجهه وطوراً الى لباسه ثم قال له ما لي ارى لباسك حجازياً وكلامك عراقياً

قال لي من كليهما وقطع الكلام فسكت الراعي وتقدم الى الدرس فقاده بعناؤه وليس في ذلك المكان غيرها فمشيا لا يسمعان صوتاً غير معاء الماعز وتبقى الضفادع حتى انتهيا الى كوخ صغير مبني من سعف النخل وقد ربض عند بابو كلب كبير الجثة ظل رابضاً هادئاً كأنه ادرك ان النازل ضيف لا خوف منه على القطيع

## الفصل الثالث بعد المئة

### ❁ ابن الشبي من الحلي ❁

اما حماد فلما وصل الكوخ واشتم رائحة الرعاة استنكف من الدخول اليه فقال  
الشيخ دعنا نجلس ههنا فان ذلك افرج لنا

قال مرحباً بك حينما جلست . وانا بهرور من جلد الماعز جلس عليه وذهب الشيخ  
بالفرس الى عمود وراء الكوخ شدة اليه واخذ في نزع السرج . وفيما هو يفعل ذلك  
سمعه حماد يتمن ويقول اقول اقول لا لم ينهها

فناداه فلم يجبه فاعاد النداء فجاء الشيخ والجام يبع فنظر حماد اليه فاذا هو يتبسم  
فبانث لثته ولم يبق فيها الا سن بارزة الى الاعلى

فقال له حماد ما يضحكك يا اخا لحم

قال انما اضحككي ما رأيت في عنة هذا الجواد ما يشبه عنة فرس تعودت ان اراه  
كل ليلة من ليالي الاسبوع الماضي بركة فارس قد اعجبني فيه ما اعجبني فيك  
قال من هو ذلك الفارس وما الذي اعجبك فينا

قال لقد اعجبني فيكما التكر فان ذاك كان يأتيني في كل صباح ملثماً وعليه  
عباءة من الحرير فيكلمني بصوت النساء وعليه رداء الرجال . وانت جئتني بلباس  
الحجاز وكلام العزاق فلا ادري تغيرت الارض واخطلت الناس ام كيف

فتذكر حماد هنداً وما سمعه من تزلزلها بالعباءة يوم خروجهما من الديار فاستأنس  
بحديث الرجل فهم باستبضاحه فاذا هو قد تركه وتحول نحو الزريبة فاستقدمه  
فاجاب انه آت على عجل فثبت حماد كأنه على مقالي الجحر حتى عاد الراعي وفي يده  
قصعة من الخشب قد أكد لونها من توالي السنين على استخدامها بلا غسل وفيها لبن حلبة  
من ماعزه وقدمها له ليشرب

فاعذر حماد بانه لا يجناج الى طعام

فقال الشيخ لقد نزلت ضيفاً فما عليك الا ان تناول الطعام واذا كنت ملائ  
الجوف نهل ربنا آتيك ببعض الخبز قال ذلك وتحول نحو الكوخ وعاد بقصعة فيها

خمر فقدمها لحماذ وهو يقول اليك هنك الخمر فانها من غلة كرمنا هذا العام . فتناول حماد القصة لا رغبة في الشرب ولكنه خاف اذا اعتذر ان يأتية الشيخ بشيء آخر ثم جلس الراعي بجانب كلبه ويده على رأس الكلب يلعب ناصيته بين اصابعه وهو ينظر الى حماد

فابتدعه حماد قائلاً ذكرت لي الفارس المتكروم نتم حديثك . قال هذا هو كل حديثي عنه . فانه اناني منذ بضعة عشر يوماً فاوقف جواده عند هذا الكوخ وسألني الذهاب الى دير هـد لاستنهم له على اناس قادمين من الشام هل نزلوا الدير ام لا . وكنت اذا نظرت اليه رأيتُهُ فارساً ملتماً فاذا تكلم خلته امرأة فسألته ان يحسر اللثام عن وجهه فأبى ودفع اليّ ديناراً فاطعت امره ووعدته بالجواب في المساء فعاد في المساء وهو يضرب ذهبت لاني اناذ مهمته ولم يدركني لا استطيع التخلي عن ماشيتي وليس عندي من اعهد امرها اليه . فلما سألني اجبتُهُ اني سألت اهل الدير فقالوا انه لم يأتهم احد . وما زال يكرر زيارته ودفع الدنانير وانا اجبته جواباً متشابهاً حتى اذا كان منذ بضعة ايام استغلني بدرّ الماشية والسيدة مريم ان آتية بالخبر اليقين . فسرت الى الدير فسألتهم فقالوا انهم لم يأتهم احد وهب ان احداً من اهل الشام جاءهم فلا يقبلون زيارته . فلما اجبت الفارس هذا الجواب غضب وغم وكاني سمعته يلطم ثم تحوّل عني ولم اعد اراه من ذلك اليوم فندمت لاخلاص الخدمة واناذ المهمة بالصدقة . فلما رأيتك وأنست ما أنسته من المشابهة بينكما ضحكتم وعولت على ان لا اصدق في خدمتك

فلما سمع حماد ذلك تحقّق ان السائل هند بعينها فقال للشيخ ألم نعلم الجهة التي سار فيها ذلك الفارس .

قال لا . وهب اني اعلم فما انا صادقك

فد حماد به واستخرج دينارين دفعهما اليه فتناول الشيخ القدين وهو يفرس فيها ويضحك ثم قال اما اذا شئت ان اصدقك الخبر فاعلم ان الفارس سار محاذياً لهذا الشاطئ قاصداً الحيرة فلما بعد عني وصار على مقربة من المدينة رأيتُهُ نرجل ووقف مدة فظننته عائداً اليّ فانشغلت عنه برهة ثم التفت فلم أره

فاستولى القلق على حماد وعجب لترجلها ووقوفها وليت صامتاً يفكر ثم قال ومتى

حدث ذلك

قال حدث منذ اسبوع

اما الشيخ فلما آتس من حماد بذلاً حاول المبالغة في اكرامه فجعل يقدم له الخمر واللبن فلما رآه لا يشرب شيئاً وقد مضى بعض الليل دعاه للرفاد في الكوخ فقال حماد لا احتاج الى رقاد

فقال اذا كنت تحفر كوخى وقد تعودت المنام على الاسنة فاني معذ لك فراشاً من الحرير . ودخل الكوخ ثم عاد وفي يده ملاءة فرشها له فعجب حماد لوجود تلك الملاءة عنده ففهرس فيها فاذا هي عباءة مزركشة فأجلج لرويتها ومد يده فتناولها ونظر اليها بضوء القمر فاذا هي عباءة هند وكان كثيراً ما يراها عليها اذا ركبت فصاح في الرجل وأنى لك هذه العباءة . فضحك الراعي ضحكة يمازجها خوف ولم يجب فندم حماد على ما باداه به من الجناء وقال بهدوء لقد اعجبني لطفك وحسن وفادتك فاني باعاه لا استطيع القيام بحق شكرك على هذا الاكرام الا تخبرني ممن اتبعت هذه العباءة

فسكن روع الشيخ وأشار الى كلبه وقال انها من صيد هذا الكلب  
قال وكيف ذلك

قال افتقدته ذات صباح فلم اجده وكان قد تعود السرح في بعض الايام ثم ما لبث ان عاد وقد عض على هذا الرداء بفيه وجاءه بجنه وراه  
فازداد قلبي حماد وقال ومن اي جهة قدم به

قال من جهة الشاطئ

فقال لا تظن انها العباءة التي كان ذلك الفارس ملتفتاً بها  
فتفخخ وتشاغل عن الجواب وحرك حاجبيه وكنبه كأنه يقول لا اعلم



## الفصل الرابع بعد المئة

### ❖ المناجاة ❖

فتحقق حماد انها عبادة هند فخاف ان يكون لوجودها هناك سبب محزن فتحقق قلبه ونشأه وحديثه نفسه ان يتنعم الشاطئ لعله يقف على اثر آخر ثم تردد مخافة ان يتمه عن الطريق والوقت لبل فحاول الانتظار الى الصباح ولكنه نظر الى السماء وتأمل مواضع الابراج فعلم انه في نصف الليل فاستبعد الأجل . وكان الفرق قد طلع حتى تكبد السماء فانار البجينة وشاطئها وابنية الحينة . وفي اول تلك الابنية قصر الخورنق الشهير . فعول على مغافلة الراعي والمسير على الشاطئ فنظروا بالصبر والقلق وقال له اراني لا استطيع رقادة الآن فاحفظ بالفرس ربها أتمشى على هذا الشاطئ وبرهة لعل النعاس ان يأتيني واعطني العبادة التيها فتعيني من العدة فقال افعل ما بدا لك

فتناول حماد العبادة ونزل بها وسيفه الى جنبه ورفعه وعلقه بمنطقته لئلا يطرق الارض فيحدث صوتاً يعترض مجاري تصوراته وسار الهويناً محاذياً للشاطئ وقد سكن الهوى واوت الطيور الى اوكارها . فبعد ان مشى برهة وقف والتفت وراءه فاذا بالزربية قد توارت عنه فنظر الى ما حوله فعلم انه على مفردة من الحينة وبينه وبينها المغارس والكروم وامامة البجينة وقد هدا ماؤها ونور القمر ينعكس عن سطحها فيتلاها كالرجاج والطبيعة هادئة ساكنة لا يتخلل سكونها الا نقيق الضفادع . فجلس على صخر هناك واطلق لصوره العنان ففكر في ما هو فيه من الهواجس وتصور هنداً وعبادتها وما الذي اوصل ذلك الكلب اليها . فاعترضه فكر اقشعر منه بدمه وخيل له ان هنداً لما تبست من لقاء الفنت بنفسها في ذلك الماء فبقيت العبادة على الشاطئ حتى حملها الكلب الى الزربية ولما تصور ذلك انقبضت نفسه واحس كأنك صبت عليه ماء بارداً وهم بالعبادة بقلبها ويتنسم رائحة هند فغلب عليه الوجد فاخذ في البكاء وجعل يخاطب العبادة وهو يبكي ويتندب ويقول

اخبريني يا عبادة هند اين تركت هنداً هل انت خلعتها ام هي خلعتك وقد غرقت في هذا الماء وتركته نذيراً بمصيرها آه من طواري الجذنان آه من ثقلات

الزمان أين هند الآن ألعها لا تزال في قيد الحياة أم هي غارقة في هذا الماء وقد أكلت لحما الاساك ... كيف تموت هند وحماد حي برزق .. وسكت رهة ثم قال العلي قصرت في البحث عنك حتى بئست من لقائي من يخبرني أين أنت ... هند هند ... أين أنت ألبستي درعا لتفني وتقتلي نفسك قبح الله رأي والدك وضعف عزيمته لقد جرّ علينا الشفاء ساعده الله اذا كان لا يزال بين الاحياء .. من يخبرني ان هذا حبة او مينة فاذا تحففت موتها استودعت الدنيا ولحفت بها لعنا نلتفي في ظلمة الابدية ... ثم سكت رهة ومسح دموعه ونظر الى ما حوله فاذا هو منفرد ليس من يسمعه او يراه فاطلق لنفسه عنان البكاء وعاد الى العباءة فلف بها وجهه وجعل يشمها ويقبلها ويشفق في البكاء حتى كاد يغى عليه

ثم رفع العباءة عن وجهه ووقف بغنة والتفت نحو الحجرة فاذا ببويتها ساكنة هادئة فقال ... هؤلاء اهل الحجرة نيام لا يزعمهم طيف ولا يفلهم خيال .. هل يعلمون ان على شاطئ بحيرتهم ملكا يبكي كالطفل هل يعلمون ان ان ملكهم النعمان صب هائم يبحث عن حبيبته في اكنافهم هبوا ايها الراقدون اخبروني أين هي هند أين أنت يا هند أين قامتك أين عينك أين أنت احبيبي فاخبرك ان دولة الفرس قد سقطت وانتقمتم للوالدي تعالي نجتمع ونسبي الاحزان والانعاب لقد آن زمن الراحة ...

ولكن آه أين الراحة من فتى مات والد قبل ان يولد هو وانقضت زهرة عمره وهو لا يعرف سبه حتى اذا عرفه وأن له ان يستريح نكبة الزمان بضياح حبيبته آه — يا ليتني لم اعرف ذلك النسب فان معرفته جرت علي كل هذا البلاء — ما احلى الحب وما اسعد الحبيبين اذا التقيا ولو عاشا في كوخ مثل كوخ هذا الراعي واوغل في البكاء وهو يقلب العباءة بين يديه ويتلها ويشم رائحتها حتى لها وقد تعب وخارت عزيمته فانكأ على الصخر ففعل الدرع فتوسد الثرى واتى رأسه على حجر فغلب عليه النعم — والنعماس فغمضت اجنانه وهو بين البقطة والمنام

ثم استيقظ مذعورا كأنه سمع صوتا يناديه فنظر الى ما حوله فلم ير احدا فعلم انها احلام اقتضتها هواجسه وشكوكه .. ولكن ذلك الصوت ما زال يرن في اذنيه وقد اضطربت حواسه وخيل له انه في المكان وسكون الطبيعة انه في عالم الارواح وان ذلك الصوت خارج من القبور فانتهر جسمه

وكان البرد قد قرس والتعب انهكه على اثر ما قاساه من الركوب نهاره كله مع ما لم يره من التهج والكدر في ذلك الليل فالف بالسياسة جيداً ونهض ومشى بالشاطئ وهو يجاذران تسع خطواته كأنه يخاف احداً . ثم رأى النجوم تتوارى رويداً رويداً حتى لم يبق منها الا القليل وقد تضاعل ضوءها فعلم ان الفجر قريب . ثم بدا الشفق من وراء الافق بطارد اشعة القمر وهو سامع في النضاء كأنه يودع الليل على موعد . ورأى الاطيار خارجة من اوكارها بين مغرد ومرغم ومصفق ومرفرف ومعلق فبشى حماد والعامية على رأسه وقد فسد هندامها لما قاسته من صدمات العباءة . اما العباءة فجعلها على كتفيه وشدها على صدره يتقي البرد بها ولم تنص برهة حتى سمع دق الاجراس من كنائس الحيرة وادبرتها فاخذ يتفرس في الشاطئ لعله يفت على اثر آخر من آثار هند ثم خاف ان ينزل احد من اهل الحيرة ليغتسل او يستقي فيهاء في تلك الحال فهم بالرجوع وفيما هو يتحول سمع وقع حوافر فأجفل والنفت فرأى فارساً خارجاً من سور الحيرة كأنه يطلب الجيرة ولم يقع نظره على الفرس حتى خنق قلبه لانه يشبه فرس هند ولكنه لم يره فوقه سرجاً وقد ركبه غلام يشبه ان يكون خادماً فوقف حتى دما الفرس منه فتأمل فاذا هو فرس هند بعينه فبغت واستبشر وصاح في الغلام فوقف

فقال له الي يا غلام

فحالما رأى الغلام العامية المجازية خاف واسرع نحوه

..

فقال له لمن هذا الفرس

قال هو للامير فلان

•

قال ومتى اقتناه

••

قال اول البارحة

•

قال ومن اشتراه

قال من بعض الرهبان عرضه للبيع في سوق الاربعاء

فقال ولاني للرهبان مثل هذا الفرس وهو من خيول الشام

قال لقد تعودنا مشاهدة مثل هذه الخيول يا سيدي منذ قامت الحرب فكل

قتيل لم يكن له وارث وُهيئت امتعته واسلابه للادبوق تنفثها في سبيل البر فكم من

فارس قتل وظل فرسه نائماً فاستولت عليه الديبور وباعته  
فلما سمع حماد ذلك ايقن بموت هند غرقاً في تلك البحيرة ونحوّل عن الغلام خشية  
ان يرى بكاءه واطلق لدموعه العنان والشمس لم تشرق بعد . اما الغلام فلم يصدق  
انه نجا من ذلك الحجازي فنحوّل عنان الفرس وكان قادماً ليسقية فعاد ولم يسفه  
فلما خلا حماد بنفسه وقف عند الماء والعباءة تظللّه ونظر الى السماء وتهد وقال  
أأطع بعد ذلك بالبقاء . . . لمن احيا وقد فقدت حياتي أشرب الماء وقد غرقت  
فيه حييتي . . . ما الذي حملك على الانتحار يا هند أيا سك من لقائي فضلت اللحاق  
بي الى دار الابدية وقد ظننت اني سبقتك اليها . فجنح على كل حال لاحق اثر ساق  
ولكن وبلاءه انترق اعياناً ونحن في جهاد وشقاء فاذا آن اللقاء وزالت العراقل  
امتنعت علينا الحياة . . . ثم سكوت ونظر نحو الشمس فاذا هي لم تطل بعد فقال أناظر  
شروقك لعلمك تأتيني ببشارة ام انت لا تحمّلين إلاّ البلاء والشقاء . دعيني اتوسد  
الماء قبل ان ارى وجهك . ونظر الى الماء امامه فاذا هو رقيق لا يفرقه فنحوّل الى  
صخر رأه نائماً فوق الماء على مقربة منه وقال الاولى بي ان التي تنسي من فوق ذلك  
الصخر فمشى نحوه وفيما هو ذاهب شعر بجاذب في نفسه بمسكه عن الانتحار فاعبر ذلك  
من فيل الضعف الذي يتولى الانسان اذا تحقّق دنوا الاجل

## الفصل الخامس بعد المئة

### ❀ لقاء هائل ❀

فلما وصل الصخر صعد اليه ومشى نحو حافته فزلّت قدمه وتعثّر باذياله فوقع وفيما هو  
يتجشّد للنهوض حاست منه الفتاة فرأى اشباحاً خارجة من ضواحي الحيرة تطلب البحيرة فقال  
في نفسه فلا تجنّ الاجل قبل وصولهم فتقدّم فاحسّ بما يمكنه عن ذلك العمل واستولى  
عليه الضعف الطبيعي فتجلّد ونظر الى تلك الاشباح فرأها تقترب نحو الشاطئ فتأملها  
فاذا هي اشباح نسوة احداهن تحمل جرة والاخرى سلاً واخرى تسوق بعيراً وكلهن في  
زيّ واحد فاستغرب البسنت المتشابهة وكلها سوداء وعلى رؤوسهن اغطية سوداء فهمة  
امرهن ويعلم ان تلك الالبسة لا تكون الا في الديبور . فقبل له ابهن راهبات خرجن قبل

الفجر للاستقاء وقطاف الاثمار والبقول من مزروعات الدير فحسدهن على سذاجتهن وخلو قلوبهن من لواجم الحب ورأى حاملة الحجر تقترب نحو الشاطئ، ثم ما لبثت ان دنت منه حتى كرت راجعة كأن احداً بطاردها فاستأنس بخطواتها لمشابهتها خطوات هند ولكنها أضعف منها كثيراً فعلق ذهنه بتلك الفتاة ودواؤه يراها لحظة اخرى فظل يتبعها بنظره حتى رآها وقفت الى رجل يحطّب فحاطبته واشهرت الى حماد فانشغل بال حماد ومال الى معرفة سرّ ذلك الخطاب ثم رآها آتية معاً الفتاة يجريها والرجل بفأسه

فلبت ينتظر وصولها فتقدم الرجل اولاً وحياً حماداً وتلطف في السلام عليه وحماد ينظر الى الفتاة وهي منصرفة نحو الشاطئ، لئلاّ جريها فقال الرجل لحماد انا ذن لي بسؤال . قال قل . قال مع اين اشتريت هذه العباءة

قال وما يعينك من امرها

قال لانها مسروقة من صاحبها فاذا اخبرتنا عمن باعك اياها طالناه بها

قال وما ادراك ان هذه هي بعينها ان العبي قد نتغابها

قال ان صاحبها رآها بعينه وعرفها وله فيها علامات

قال ومن هو صاحبها

قال الفتاة التي رأيتهما الآن فانها حالما رأتك عادت اليّ بالخبر وقد كنا قضينا ثلاثة ايام ونحن نبحث عنها

فلما سمع ذلك الكلام ظن نفسه في منام فمسح عينيه والتفت الى ما حوله واستشهد وجدانه فتحقق انه في بقعة فنظر الى حاملة الحجر فرآها قد ملأت جريتها وعادت الى رفاقها فجعل يتأمل خطواتها فاذا هي خطوات هند ولكن الجسم نحيل . فقال للرجل ما بال صاحب العباءة لا يطالب بها بنفسه

قال لان صاحبتها من راهبات دير هند الصغرى ولا يؤذن لمن بمخاطبة الرجال .

واما انا فمن خدمة الدير المكلفين بمثل ذلك

فقال حماد ( وقلبه يكاد يطير من الفرح وهو يسلك نفسه ويخجل ) وهل صاحبة هذه العباءة قديمة في سلك الراهبة

قال لا تزال حديثة وقد دخلت في طور الابتداء فاذا مضى عليها بضعة اشهر

نحت الاخبار رسموها ولذلك فقد وهبت الدبر كل ما كان معها من الثياب والمصاغ والدواب فايقن حماد انها هند ولولا عامته ولداسة المحازي لعرفته لاول نظرة وهي لولا ثوبها الاسود ونحوها لعرفها . فلما يقن انها هي بنفسها ارتعدت فرائض لما كان فيه من الخطر وحمد الله للنجاة على هذه الكيفية وحدثت نفسة ان يسرع الى هند فيطلبها على حقيقته فحاف عليها من الجنة مع ما آتت من ضعفها فصبر نفسه . وخاف من الجهة الثانية ان تكون قد نذرت العفة فلا يبقى له اليها سبيل فقال للرجل وهل نذرت العفة قال لا تنذرها قبل ان تنقضي مدة الابتداء

فاطمًا باله ونظر فاذا بالفتيات لا يزلن في شوارعهن بعيدات لا يسمعن ولا يرين وصاحبة الجرة قد وضعت جرتها على الارض وجالست على حجر منفردة تنتظر رفيقاتها ليرجعن الى الدبر معاً

فقال حماد للرجل اذهب الى صاحبة العباءة وقل لها اني لا اعطي العباءة الا تسلياً ايدها

قال قلت لك يا مولاي انها لا تستطيع ذلك

قال اليك هذا البرد . وخلع برد النعمان عنه من العباءة ادفعه اليها بدلاً وقال فنناول البرد وتأملته فاذا هوائن من العباءة كثيراً فاسرع به حتى أتى الفتاة وهي لا تزال جالسة وحدها فادفعه اليها وقال لم يعطني العباءة ولكنه دفع اليّ هذا البرد . فحالما رأتها صاحبت للرجال حماد حماد . . . وترك الجرة واسرعت نحوه وكان هو يراقبها ليري ما يبدو منها فلما رآها نهضت واسرعت نحوه لم يبق عنده ريب بشأنها فاسرع باللاقائها وقد نزع العامية عن رأسه فلما التقيا وقعت هند مغيباً عليها فاستلقت على جنب حماد فانهضها وكان خادم الدبر قد رآها تسرع نحو حماد فلما اغي عليها اسرع بالماء ورشها فافاقت وهي تقول حماد حماد حماد . . . وهو يقول هند هند حبيبي هند أنت حبة وانا احسك غريبة في هذا الماء . ولو تأخر قدومك لحظة اخرى لذهب حماد طعاماً للاسماك

قالت حماك الله يا حبيبي . ثم غلب عليها الحياء . فغطت رأسها بالنقاب الاسود وجالست منأدبة وقد امتنع لونها وتولاها الهزال . فقال لها ابن والدك يا هند . قالت اما سمعتم خبري انهم قتلوا واطنهم قتلوا والدتي آه من نقليات الايام . واوغلت في البكاء .

قال هل تحققت مغتلة

قالت لم أراه ولكنني سمعت به ولولا ذلك لرأيتني معه حينما كان لاني لما قبضوا عليه وعلى والدتي امتطيت جنادي ونعقت انرها فوصلت الحيرة فبت في هذا الدبر وقد كنت اتردد اليه قبلاً فاشارت عليّ الرئيسة ان ابقى عندها وابعث من يستطلع الخبر فعاد الخبرون وقد اكذبوا مقتلها فلم يبق لي نصير الا حيي حماد ومن يجبرني بقدموه فان الخادمة التي كنت ارسلنها للبحث عك في بيت المقدس لم تعد بعد فاستخدمت راعياً بالقرب من هذه المدينة كنت اتردد اليه متنكرة ليسأل عن قدومك الى الدبر فقطع املي من دخولك الدبر لان اهله لا يقبلون فيه واحداً من الشام فضقت ذرعاً واستولى عليّ اليأس ولم يبق لي في الدنيا مطع بعد فقد والدي وضياح حيبي وزوال عز الملك وخسارة الاموال والعقار ولا انكر عليك اني هممت بالانتحار غير مرة ولكن قلبي لم يطاوعني لاني لم اياس من لقاءك بعد فلم اجد وسيلة غير التهرب في دبر اعرف رئيسته وبعض راهباته فطلبت ذلك فقبلوني مبندية تحت النجفة فوهبهم كل مالي من الثياب والفرس ولم احفظ شيئاً غير الاساور وهي عربون المحبة بيننا فانها محبة بين اثوابي وكنت قد اضعفت عياني في هذه اثناء رجوعي المزمع الاخيرة من عند الراعي لفرط قلقي وهو اجسي على اثر ما انبأ لي به من خبر الدبر فوقعت العباءة عني ولم انتبه فجمعت عنها في اليوم التالي فلم اجدها وهو اليوم الذي طلبت فيه الانضمام الى الرهينة فاخبرتهم اني فددت هذه العباءة فاذا عنروا بها كانت حلالاً للدبر وهذا هو اليوم الثالث من دخولي وقد كنتوني تجارب كثيرة فحملت الاحمال واستغلت الاشغال الشاقة فزادني ذلك ضعفاً على ضعف

## الفصل السادس بعد المئة

\* دبر هند الصغرى \*

وكان الخادم واقفاً وقد ذهل لما رآه فتقدم الى هند فاوماً اليها ان عملها هذا مخالف لشروط الرهينة فقالت دعنا نذهب الى الرئيسة فنهضت ونهض حماد ومستيا لمقابلة الرئيسة وفيما هما في الطريق سأله عن سبب تنكره وما مر به فاحكى لها حكايته

بالاخصار حتى اتى الى حديث المدائن والبحث عن والدها فلما بلغ الى هناك تنهدت هند وقالت آه يا حبيبي انى سبعة بلفياك ولكن حظي غير تام لما قاسينته من فقد والدي فقال لها اننا لم نتحقق مقتلها وقد كلفت سلمان بالبحث عنها وموعدا الالتقاء في دير هند هذا في الغد وهو اليوم الثالث من افتراقنا ومن عرف خبراً اطلع الآخر عليه فقد فرت بطريقه في فسي هو ان بنو زبن يبحث عنهم والامير عبد الله معهم وكانا ماشيين في وسط المدينة لا يسمعا استغراب الناس لمسيرها معاً بل كانا في شغل من تجاذب القلوب لا بكادان يريان الطريق فلما وصلا الدير اسرع الخادم الى الرئيسة فانباها بما شاهدت من جرأة ذلك المحجزي على الراهبة المبتدئة مما يخالف العهود المعطاة من المسلمين فاطلت الرئيسة من باب الدير فرأت هنداً وحامداً قادمين وكان حماد قد نزع عمامته فعرفت من ملامح وجهه انه عراقي فارادت استطلاع السر فدخلت بهما الى غرفة منفردة فهم حماد فقبل يد الرئيسة فعرفت انه مسيحي فسألته عن امره

فقال اذا اذنت فاخبرك ان هذه الفتاة خطيبتي منذ اعوام وقضت حروب الشام بافتراقنا لا يعلم احداً مكان الآخر حتى اذن الله باجتماعنا على يدك ونأملت الرئيسة بوجه حماد وهو يكلمها فآسست في وجهه هيبة وجلالاً فقالت الست عراقياً

قال نعم ومن بني الحن  
قالت وبحال في ان هنداً شامية من غسان

قال نعم  
فقال وكيف اجتمعنا  
قال كذلك قدر الله

اما هند فنذكرت اول معرفتها حماداً وتذكرت والدها وباسها من حياتها فترقرقت الدموع في عينيها

فلحظت الرئيسة فيها ذلك فقالت لها ما بالك تبكين يا ابنتي وكان حماد قد ادرك سبب بكائها فقال اظنها تبكي لضياح بعض اقاربها في اثناء حرب الشام فجعلت تخفف عنها وتعزبها وتذكر حماد الامير عبد الله وسلمان فصبر نفسه ليرى

ما يأتي به الغد وقال للرئيسة على ترين ما يمنع خروج هند من سلك الرهينة  
قالت لا ارى مانعاً لانها لم تنذر العفة بعد  
قال فلتنقِ اذاً يوماً آخر في ضيافتك لاني على موعد مع خادمي باللقاء هنا  
غداً وقد ذهب للتنشيش عن ضائع لنا فاحفظني بها ريثما اعود فاني ذاهب الى راعٍ  
في ضاحية الحيرة تركت فرسي عند البارحة  
ثم نهض فلبس العمامة لئلا يتكره الراعي وترك العباءة عند هند وهم بالخروج  
فامسكتها فائلة لا تذهب فاني لست تاركك لحظة بعد هذا اللقاء فقد كداني ما فاسيته  
فلا يفرق بيني وبينك الا الموت

قال والفرس  
قالت دعنا من الافراس او ارسل من يأتي به فما انا راضية بذهابك ولا تخرج  
من هذا الدبر الا معاً اما الى القتل واما الى الحياة  
فعدوها والتفت الى الرئيسة فطلب اليها ان تنفذ رسولاً من قبلها يستجلب الدرس  
فبعثت واحداً يعرفه الراعي وبنق به واطلمعه حماد على علامة يتقدم اليها وبعث اليه  
دينارين ولبث ينتظر عودته

اما الرئيسة فقالت لحامد لا يجني عليك يا سيدي اننا في دبر راهبات لا يؤذن  
للرجال دخوله الا اذا نزلوا في دار الاضياف واما اجتماعهم بالراهبات فمحظور فاذا  
رأتك الراهبات مع هند وهن لا يعرفن علاقتكما ساءل الظن فهل تنفضل فتتزل في دار  
الاضياف ريثما يأتي الغد

قال افعل ما تأمرين . وودع هنداً ونزل بصحبة الخادم الى دار الاضياف  
فمرّاً ببربط الخيول فرأى افراساً شاهد بينها فرساً يشبه فرس سلمان فاستبشر واسرع  
الى الدار فلقبه سلمان فهم احدها بالآخر وهما بينهما فاستبشرا معاً فقال سلمان هل  
ظفر سيدي بهند

قال نعم ولكنها راهبة في هذا الدبر  
قال وهل نذرت العفة . فضحك حماد وقال لا وانت هل ظفرت بالامير عبد الله  
قال ظفرت به وبجيلة وامرأته  
قال ابن م

قال سيصلون البنا الليلة او غداً وسيأتون متكرين لانهم كانوا مغنبيين عند سيدي الامير عبدالله ولولاه لكان حموك جلة في عالم الاموات ولكن الامير عبدالله حالما علم بالقبض عليه استرضى الذين امسكوه واطهر للناس انه قتل وخبأه في منزلهم بتلك المزرعة ريثما يتمكن من العثور على هـد او الاجتماع بك فلما وصلت اليهم وأنبأهم بخبرك انقذني لإحبتك واساعدك في البحث عن هند ريثما يقدمون هم اليـنا

فاشرح صدر حماد ايما اشرار وحمد الله على انتضاء الازمة بالتي هي احسن ولم يملك صبراً عن تبشير هند ببقاء والدها حياً

وهم بالرجوع الى الدبر فأرى هـدا واقفة في الشرفة نطل على دار الضيافة لانها لم بعد يرتاح بالها على حماد الا اذا كان امامها فلما رائه عائداً وعليه امارات الدهشة او مات اليو فمظرا اليها وضحك فضحكت هي وقد اشرق وجهها ونسيت كل مناعها وقالت ما وراءك

قال همساً ان والذك ووالذتك قادمان اليـنا غداً

فابرقت اسرتها واسرعت للاقائه عند الباب ولم تعد تعماً بقوانين الدبر . فلما لقيته مدت يدها اليو وصافحته وضغط كل منها على يد الآخر ضغطة ما ادراك ما وراءها . ولا نسل عن حديث القلوب وجواذب العيون

فقالت هند هل انت متحقق قدوم والدي

قال هذا سلمان قد جاء بالخبر اليقين ولكنهم قادمون ومعهم الامير عبدالله متكرين فاحذري ان يلحظ احد ما نحن فيه لئلا نقع في شر اعمالنا فتكون البلية الثانية شرّاً من الاولى

قالت وسأخبرك خبراً جديداً حدث ساعة خروجك من غرفة الرئيسة

قال وما ذلك

قالت ان خادمتنا الامينة التي كانت تسعى في اجتماعنا ولولاهـا لا ادري ما نمّ لنا قد وصلت الدبر الآن بعد ان قضت اياماً بالبحث والتنشيش ولم تكن عالمة بوجودي هنا ولكنها جاءت تنسم الاخبار من الراهبات فلقيني وسررت بها لانها ذات فضل علينا قال لقد اذكرتني بفضل سلمان الشهم الغيور فلا ادري بماذا اكافئه على مروتو وحسن صنيعو . ثم قال فاذهبي الآن الى الرئيسة ودعيها على ان نناقها غداً بعد

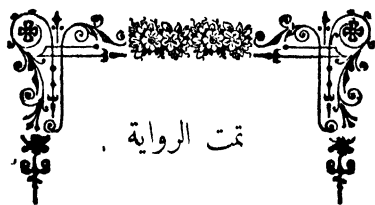
وصول والديك والامير عبدالله واحذري ان تسي اسم احد منهم  
قالت لا تخف من ذلك  
وتحولت وتحول هو الى دار الضيوف ومكث هناك الى صباح اليوم التالي

## الفصل السابع بعد المئة

❖ قرآن سعيد ❖

فاستحسن حماد الخروج لملافاة القادمين في الطريق فخرج وسلمان معه على  
الخيول وهند لا تعلم وقطعا مسافة حتى وصلا عين ماء لا بد للقاء من المدائن الى  
الحيرة من الوقوف عندها فترجلا وجلسا ولم تمض برهة حتى رأيا هندا وخدامتها  
قادمتين مسرعين على الاقدام وهند بنوها الاسود الجديد فيهما وصاح حماد ما الذي  
اتي بك يا هند . قالت سامحك الله الم اقل لك اني لم اعد استطيع العاد عنك لحظة  
مخافة ان نعود الى ما كنا عليه من الفراق . فشكرها وجلسوا ولم يكذب يستنب بهم  
الجلوس حتى رأوا الغبار يصاعد من جهة الفرات فتقدم سلمان لتحقى القادمين فعاد  
ضاحكا مبشرا فنهضوا جميعا وبهاوا لاستقبال القادمين ولكن سلمان عاد فاخبر  
الركب ان حمادا وهندا ينتظرا نكم هنا فقبل وصولهم الى العين ترجلا جميعا وهم جيلة  
مسرعا الى حماد فضمه الى صدره وجعل يقبله والدموع تنساقطه من عينيه واسرعت  
سعدى الى هند وجعلت تقبلها وتبكي ثم تبادل جيلة وسعدى فقبلت سعدى حمادا  
وجيلة هندا وما عبدالله فضل واقفا يتأمل في ذلك المنظر المؤثر فلما انتهت سعدى  
من تقبل حماد تقدم اليه وضمه الى صدره وجعل يقبله ويبكي بكاء مرّا ولم يستطع  
احد ابعاده عنه حتى خافوا عليها وهم لا يعلمون سبب ذلك وبعد برهة انفصل عنه  
وقد نبالت عيناؤه وقال لا تلوموني على ما رأيتم من شدة تعالي بحماد وان ما ترونه من  
دموعي انما هو دموع الفرح فان حمادا ملكي ولدي وصديقي وفخري وسندي ومما  
زادني تعلقا انه قد انتقم لوالده وشهد سقوط دولة الفرس ومعا العار عن لحم ورفع ثقلا  
عن عاتقي حملته منذ نيف وعشرين سنة ثم تقدم عبدالله الى هند فقبلها والجميع يكون  
بكا الفرح وسلمان ينظر اليهم وقلبه يكاد يطير فرحا فلما سكث الجميع وهندا روعهم

وقف سلمان وقال اسمعون لي بكلمة اقولها بين ملكين وملاكين . لقد شاركتكم في  
فرحكم بهذا الاجتماع السعيد فشاركوني بفرحي بمقتل ثعلبة الخائن الذي كان سبب كل  
هذه الالاعاب . ثم نهض جيلة والدموع لا تزال في عينيه وقال اما انا فلا اقدر اصف  
خجلي من ولدي حماد لما سبته له من الشفاء وما بذله هو ورفيقه او قل والله الامير  
عبد الله من الجهد في انقاذنا من الموت فنظر سلمان الى جيلة وقال الا تزال سيدتي  
هند تمنع على سيدي حماد ومن يا ترى افضل لديك حماد ام ثعلبة . فضحكوا جميعاً  
ثم نهض عبد الله وقال اعملوا ايها السادة اننا في خطر عظيم الآن ولم يعد مجلو  
لنا المقام في هذه البلاد لاننا اعداء الفرس بالطبع واعداء المسلمين بالفعل لما ارتكبناه  
من مخالفة اوامر اميرهم فلا شك انهم سيجنون عنا ويبدلون كل سعي في القبض علينا  
فقال سلمان لقد نطقت بالصواب واريد على ذلك اننا لانبرح الحيرة قبل ان  
نعقد للعروسين ثم نذهب حيثما نشاؤون ولو زعل حماد وهند . . . فضحك الجميع  
فقال جيلة ذلك هو الرأي الصواب واذا استحسنتم فلتكن وجهتنا القسطنطينية  
دار الامبراطور هرقل نقضي بقية العمر هناك اذ لم يبق لنا مقام في الشام ولا العراق  
قالوا حسناً ونهضوا الى كنيسة قرب الدبر عقدوا للعروسين بالاختصار  
ولا يجناج الفارسي الى تقدير قيمة تلك الساعة السعيدة فانها من ساعات العمر  
وبعد الاكليل ركب الجميع وساروا متنكرين نحو القسطنطينية فوصلوها بعد بضعة عشر  
يوماً واقاموا فيها حتى قضى الله بما شاء .





# إيماننا الإسلامية

☆ رواية تاريخية غرامية . الطبعة الثانية ☆

« تأليف جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب »

تتضمن على اهم حوادث التاريخ الاسلامي واكثرها تعلقا بالقطر المصري اعني ظهور الاسلام وفتوحاته وخصوصاً فتح مصر وبيان حقيقة اسباب ذلك الفتح وما كان من حال القبط مع الروم وشرح احوالهم وعوائدهم واخلاقهم وملابسهم منذ ثلاثة عشر قرناً او هي عبارة عن تاريخ فتح مصر في صدر الاسلام مع تمثيل حركات الجند وملابسهم وملاولات

القواد في خيامهم وقصورهم وما جال في خواطرهم مكتوباً على اسلوب حكاية  
 يقرأها المطالع ولا يل بل يزداد اشتياقاً لمطالعتها وهو يحب ان يقرأ قصة  
 فكاهية فلا يأتي على آخرها الا وقد فهم تاريخ الفتح وحوادثه كأنه شهده  
 بنفسه ومن ابطالها عمر بن العاص والمقوقس حاكم مصر والاعيرج قائد جند  
 الروم فيها وغيرهم وفي هذه الطبعة فضلاً عما في الطبعة الماضية فتح  
 الاسكندرية وخروج الروم من القطر المصري مدحورين ثمنها ١٠ غروش  
 مصرية واجرة البريد غرشان ولا بأس من ارسال القيمة طوابع بوسطة



## اسْتَبْدَحَ الْمَمَالِكُ

✽ رواية ادبية تاريخية . الطبعة الثانية ✽

( تأليف جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب )

تتضمن هذه الرواية حوادث آخر القرن الماضي وقد مثلت فيها  
 احوال الامراء الممالك ومعاملتهم للرعية وعلاقتهم بالدولة العلية وداخل  
 الروسية ومن ابطالها دلي بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب والشيخ ظاهر  
 العمر وغيرهم ثمنها ٨ غروش مصرية واجرة البوسطة غرش ونصف











